27.1.1

2 10 ?

DATE LABEL

Call No. ع [illegible]

Account No. 2499 Date 27.4.51

J. & K. UNIVERSITY LIBRARY

This book should be returned on or before the last date stamped above. An overdue charges of 6 nP. will be levied for each day. The book is kept beyond that day.

KASHMIR UNIVERSITY
LIBRARY
SRINAGAR

قل الروح من امر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا

كتاب الروح

فى الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل
من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء الاخيار
لشيخ الاسلام شمس الدين ابى عبدالله
محمد الشهير بابن قيم الجوزية
الحنبلى الدمشقى المتوفى
سنة (٧٥١)
قدس الله روحه
ونور ضريحه

ST 01
Ro

ALLAMA IQBAL LIBRARY
2499

(الطبعة الثالثة)

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة
بمحروسة حيدرآباد الدكن
عمرها الله الى اقصى الزمن
سنة (١٣٥٧) هجرية

ع
١٢٨٤٥
ا ٥ ك

قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا

كتاب الروح

في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل
من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء الاخيار

لشيخ الاسلام شمس الدين ابى عبدالله
محمد الشهير بابن قيم الجوزية
الحنبلى الدمشقى المتوفى
سنة (٧٥١)
قدس الله روحه
ونور ضريحه

(الطبعة الثالثة)

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة
بمحروسة حيدرآباد الدكن
عمرها الله الى اقصى الزمن
سنة (١٣٥٧) هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصف بصفات الكمال (١) المنعوت بنعوت الجلال . الذى علم ما كان وما يكون وما هو كائن فى الحال والمآل . وحكم بالموت على كل ذى روح من مخلوقاته . وساوى فيه بين الملك والمملوك والغنى والفقير والشريف والضعيف والعاصى والمطيع من سكان ارضه وسماواته . فهو اول عدل الآخرة بين برياته قبض روح هذا بعد ما عمّر الدنيا وزخرف البناء وتوطنها وليست لحى وطنا وقبض روح الآخر الذى اجتهد فى اصلاح آخرته وجعل الدنيا لجة واتخذ صالح الاعمال فيها سفنا . فشتان ما بين خروج الروحين من الجسدين هذه لها السعادة والهناء . وتلك لها الخيبة والشقاوة والعناء . هذه ترتع فى رياض الجنة وتأوى الى قناديل معلقة فى العرش فى لذة ونعيم . وتلك محبوسة تعذب فى نار الجحيم وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له إله تحبب الى عباده بنعمه وآلائه

---

(١) ستعلم فى اثناء هذه الخطبة انها ليست بقلم ابن القيم ولعلها بقلم البقاعى فان فى كشف الظنون بعد ذكر كتاب الروح لابن القيم ما لفظه ,, اختصره برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعى وسماه سر الروح وتوفى سنة ٨٨٥ اوله ـ الحمد لله المتصف بصفات الكمال ـ الخ ،، وكأنه شبه على صاحب كشف الظنون فزعم ان البقاعى اختصر كتاب ابن القيم والظاهر ان البقاعى انما صدر كتاب ابن القيم بهذه الخطبة وكأنه سماه من عنده سر الروح لان ابن القيم لم يسم كتابه وانما اشتهر بكتاب الروح لانه كتاب فى مضمون الروح ثم صار ذلك علما بالغلبة والله اعلم ـ ح .

وابتدأهم سبحانه وتعالى باحسانه العميم وعطائه فعياذا بعزته جل جلاله ان يختم بالاساءة وقد بدأنا بالاحسان فله سبحانه الحمد والشكر والنعمة والفضل والخلق والامر والثناء الحسن الجميل والامتنان وأشهد أن محمدا صلوات الله وسلامه عليه عبده ورسوله الطيب الروح والجسد سيد ولد آدم وأفضل من قام وركع وسجد الذى انزل عليه فى كتابه العزيز، ومن اصدق من الله قيلا (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وعلى آله وصحبه خير القرون الذين اهتدوا وما بدلوا تبديلا صلاة دائمة بدوام السموات والارض الى ان يرث الله سبحانه وتعالى الارض ومن عليها للحساب والعرض وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذا كتاب عظيم النفع جليل القدر كثير الفائدة ما صنف مثله فى معناه فلا تكاد تجد ما تضمنه من بدائع الفوائد وفوائد القلائد فى كتاب سواه - ويشتمل عل جملة من المسائل تتضمن الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار، وأقوال العلماء الاخيار، لا ادرى أسئل مصنفه قدس الله روحه عنها فأجاب. ام سئل عن البعض ولكن هو اطال الخطاب. فانى رأيته مجردا عن خطبة وسؤال اصلا مبتدئا فيه بقوله (اما المسئلة الاولى هل تعرف الاموات زيارة الاحياء ام لا) فأحببت بعد استخارة الله سبحانه وتعالى ان افتتحه بهذه الخطبة المباركة العظيمة. لكونه كتابا فى ضمن مسائله التى تتأملها وتشاهدها كل درة يتيمة لينشرح صدر الناظر فيه. ولتقوى همته على النظر فى بدائع فوائده ودقائق معانيه. والله سبحانه وتعالى المسؤل المرجو الاجابة ان يعصمنا من الزيغ والزلل. وأن يوفقنا لصالح النية والقول والعمل. وأن يرفع درجات مؤلفه فى جنات النعيم. وأن ينفع به الناظر فيه انه سميع عليم. انه على كل شىء قدير. وبالاجابة جدير. وهو حسبنا ونعم الوكيل -

(قال) الشيخ الامام العالم العامل ترجمان القرآن - ذو الفنون الحسان - شيخ الاسلام قدوة الانام اوحد الحفاظ - فارس المعانى والالفاظ - علامة العلماء

وارث الانبياء عمدة المفسرين بقية المجتهدين شمس الدين ابو عبدالله محمد بن الشيخ الامام العالم العامل شرف الدين ابى بكر بن الشيخ الكبير ايوب بن سعد الشهير بابن قيّم الجوزية الحنبلى الدمشقى قدس الله تعالى روحه ونوّر ضريحه - وجعل ابواب الجنان بين يديه مفتوحة - ولسائر علماء الاسلام - الجهابذة النقاد الاعلام آمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وآله وصحبه اجمعين

(اما المسئلة الاولى وهى هل تعرف الاموات زيارة الاحياء وسلامهم ام لا)

فقال ابن عبد البر ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال، ما من مسلم يمر على قبر اخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، فهذا نص فى انه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام -

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه متعددة انه امر بقتلى بدر فالقوا فى قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم يافلان بن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا فقال والذى بعثنى بالحق ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لايستطيعون جوابا -

وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه -

وقد شرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأمته اذا سلموا على اهل القبور ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل - ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد -

والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به -

قال ابو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن ابى الدنيا فى كتاب القبور باب معرفة الموتى بزيارة الاحياء (حدثنا) محمد بن عون ثنا يحيى بن يمان عن عبدالله بن سمعان عن زيد بن اسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، مامن رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الااستأنس به ورد عليه حتى يقوم (حدثنا) محمد بن قدامة الجوهرى ثنا معن بن عيسى القزاز اخبرنا هشام ابن سعد ثنا زيد بن اسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اذا مر الرجل بقبر اخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لايعرفه فسلم عليه رد عليه السلام (حدثنا) محمد بن الحسين حدثنى يحيى بن بسطام الاصغر حدثنى مسمع حدثنى رجل من آل عاصم الجحدرى قال رأيت عاصما الجحدرى فى منامى بعدموته بسنتين فقلت أليس قد مت؟ قال بلى قلت فأين انت؟ قال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزنى فنتلقى اخباركم قال قلت اجسادكم ام ارواحكم؟ قال هيهات بليت الاجسام وإنما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم؟ قال نعم نعلم بها عشية الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمته (وحدثنا) محمد بن الحسين حدثنى بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت اغدو مع محمد بن واسع فى كل غداة سبت حتى نأتى الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها (حدثنى) محمد ثنا عبدالعزيز بن ابان قال ثنا سفيان الثورى قال بلغنى عن الضحاك انه قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له وكيف ذلك؟ قال لمكان يوم الجمعة .

(حدثنا) خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ابى التياح قال كان مطرف يغدو فاذا كان يوم الجمعة ادلج (قال وسمعت ابا التياح) يقول بلغنا انه كان

ينور له فى سوطه فأقبل ليلة حتى اذا كان عند مقابر القوم وهو على فرسه فرأى اهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقالوا هذا مطرف يأتى الجمعة قلت وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الطير قلت وما يقولون؟ قالوا يقولون سلام سلام .

(حدثنى) محمد بن الحسين حدثنى يحيى بن ابى بكير حدثنى الفضل بن موفق بن خال سفيان بن عيينة قال لما مات ابى جزعت عليه جزعا شديدا فكنت آتى قبره فى كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم انى اتيته يوما فبينا انا جالس عند القبر غلبتنى عيناى فنمت فرأيت كأن قبر ابى قد انفرج وكأنه قاعد فى قبره متوشحا اكفانه عليه سحنة الموتى (١) قال فكأنى بكيت لما رأيته قال يابنى ما ابطأ بك عنى قلت وانك لتعلم بمجيئى ؟ قال ما جئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتينى فآنس بك فأسر بك ويسر من حولى بدعائك قال فكنت آتيه بعد ذلك كثيرا .

(حدثنى) محمد حدثنى يحيى بن بسطام حدثنى عثمان بن سودة الطفاوى قال وكانت امه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما احتضرت رفعت رأسها الى السماء فقالت يا ذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى لا تخذلنى عند الموت ولا توحشنى فى قبرى قال فماتت فكنت آتيها فى كل جمعة فأدعو لها واستغفر لها ولاهل القبور فرأيتها ذات يوم فى منامى فقلت لها يا امه كيف انت ؟ قالت اى بنى ان للموت لكربة شديدة وانى بحمد الله لفى برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق الى يوم النشور فقلت لها ألك حاجة ؟ قالت نعم قلت وماهى ؟ قالت لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فانى لأبشر بمجيئك يوم الجمعة اذا اقبلت من اهلك ، يقال لى يا راهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر ويسر بذلك من حولى من الاموات .

(حدثنى) محمد بن عبد العزيز بن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم

---

(١) السحنة ، الهيئة واللون ـ قاموس

وقبل حسناتكم لايزيد على هؤلاء الكلمات قال فأمسيت ذات ليلة وانصرفت الى اهلى ولم آت المقابر فأدعو كما كنت ادعو قال فبينا انا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤنى فقلت ما انتم وماحاجتكم؟ قالوا نحن اهل المقابر قلت ماحاجتكم؟ قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك فقلت وماهى؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعوبها قال قلت فانى اعود لذلك قال فما تركتها بعد -

حدثنى محمد حدثنى احمد بن سهل حدثنى رشدين بن سعد عن رجل عن يزيد بن ابى حبيب ان سليم بن عمير مر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول فقال له بعض اصحابه لو نزلت الى هذه المقابر فبلت فى بعض حفرها فبكى ثم قال سبحان الله والله انى لأستحيي من الاموات كما استحيي من الاحياء ولولا ان الميت يشعر بذلك لما استحييا منه -

(وابلغ) من ذلك ان الميت يعلم بعمل الحى من اقاربه وإخوانه - قال عبدالله بن المبارك حدثنى ثور بن يزيد عن ابراهيم عن ابى ايوب قال تعرض اعمال الاحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع به .

وذكر ابن ابى الدنيا عن احمد بن ابى الحوارى قال حدثنى محمد اخى قال دخل عباد ابن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظنى قال بم اعظك اصلحك الله بلغنى ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى اخضل لحيته -

قال ابن ابى الدنيا وحدثنى محمد بن الحسين حدثنى خالد بن عمرو الاموى حدثنا صدقة بن سليمان الجعفرى قال كانت لى شرة سمجة فمات ابى فأنبت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت ايما زلة فرأيت ابى فى المنام فقال اى بنى ما كان اشد فرحى بك اعمالك تعرض علينا فنشبهها باعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء اشديدا افلا تخزنى فيمن حولى من الاموات . قال فكنت اسمعه بعد ذلك يقول فى دعائه فى السحر وكان جارا لى بالكوفة اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حور . يا مصلح الصالحين ويا هادى المضلين ويا ارحم الراحمين -

وهذا باب فى آثار كثيرة عن الصحابة وكان بعض الانصار من اقارب عبدالله ابن رواحة يقول ، اللهم انى اعوذ بك من عمل اخزى به عند عبدالله بن رواحة ، كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبدالله ۔

ويكفى فى هذا تسميته المسلم عليهم زائرا ولولا انهم يشعرون به لما صح تسميته زائرا فان المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره ، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم ، وكذلك السلام عليهم ايضا فان السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم امته اذا زاروا القبور أن يقولوا سلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية ۔ وهذا السلام الخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد واذا صلى الرجل قريبا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك ۔

(قال) يزيد بن هارون اخبرنا سليمان التيمى عن ابى عثمان النهدى (١) ان ابن ساس خرج فى جنازة فى يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى الى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فوالله ان قلبى ليقظان اذ سمعت صوتا من القبر ، اليك عنى لاتؤذنى فانكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لى مثل ركعتيك احب الى من كذا وكذا ، فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته ۔

(وقال) ابن ابى الدنيا حدثنى الحسين بن على العجلى ثنا محمد بن الصلت ثنا اسمعيل ابن عياش عن ثابت بن سليم ثنا ابو قلابة قال اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت منزلا فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول قد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا خيرا أقرئهم منا السلام فانه يدخل علينا من دعائهم

---

(١) هو عبدالرحمن بن مل ۔ تقريب ۔

نورا مثال الجبال .

(وحدثنى) الحسين العجلى ثنا عبدالله بن نمير ثنا مالك بن مغول عن منصور عن زيد بن وهب قال خرجت الى الجبانة فجلست فيها فاذا رجل قد جاء الى قبر فسواه ثم تحوّل الى فجلس قال فقلت له ما هذا القبر ؟ قال اخ لى فقلت اخ لك ؟ فقال اخ لى فى الله رأيته فيما يرى النائم فقلت فلان عشت الحمدلله رب العالمين قال قد قلتها لأن اقدر على ان اقولها احب الىّ من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فان فلانا قام فصلى ركعتين لأن اكون اقدر على ان اصليهما احب الىّ من الدنيا وما فيها (حدثنى) ابوبكر التيمى ثنا عبدالله بن صالح حدثنى الليث ابن سعد حدثنى حميد الطويل عن مطرف بن عبدالله الحرشى قال خرجنا الى الربيع فى زمانه فقلنا ندخل يوم الجمعة لشهودها وطريقنا على المقبرة قال فدخلنا فرأيت جنازة فى المقبرة فقلت لو اغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها قال فاعتزلت ناحية قريبا من قبر فركعت ركعتين خففتهما لم ارض اتقانهما ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمنى وقال ركعت ركعتين لم ترض اتقانهما ؟ قلت قد كان ذلك ، قال تعملون ولا تعلمون ولا نستطيع ان نعمل لأن اكون ركعت مثل ركعتيك احب الىّ من الدنيا بحذافيرها فقلت من ها هنا ؟ فقال كلهم مسلم وكلهم قد أصاب خيرا فقلت من ها هنا افضل ؟ فأشار الى قبر فقلت فى نفسى اللهم ربنا اخرجه الىّ فأكلمه قال فخرج من قبره فتى شاب فقلت انت افضل من ها هنا ؟ قال قد قالوا ذلك قلت فبأى شىء نلت ذلك فوالله ما ارى لك ذلك السن فأقول نلت ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله والعمل قال قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك فضلتهم -

وهذه المرائى وإن لم تصح بمجردها لاثبات مثل ذلك فهى على كثرتها وانها لا يحصيها الا الله قد تواطأت على هذا المعنى وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على انها فى العشر الاواخر يعنى ليلة القدر فاذا تواطأت

رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطئ روايتهم له وكتواطئ رأيهم على استحسانه واستقباحه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوه قبيحا فهو عند الله قبيح على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها ـ

وقد ثبت فى الصحيح ان الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه (فروى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى طويلا وحوّل وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكذا؟ فاقبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإنى كنت على اطباق ثلاث لقد رأيتنى وما احد اشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى ولا احب الىّ ان اكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من اهل النار فلما جعل الله الاسلام فى قلبى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ابسط يدك فلأبايعك فبسط يمينه قال فقبضت يدى قال فقال مالك يا عمرو؟ قال قلت اردت ان اشترط قال تشترط ماذا؟ قلت ان يغفرلى قال أما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ وما كان احد احب الىّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اجلّ فى عينى منه وما كنت اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لأنى لم اكن املأ عينى منه ولو مت على تلك الحال لرجوت ان اكون من اهل الجنة، ثم ولينا اشياء ما ادرى ما حالى فيها فاذا انا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فسنوا علىّ التراب سنا ثم اقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا اراجع به رسل ربى فدل على ان الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسرّ بهم ـ

وقد ذكر عن جماعة من السلف انهم اوصوا ان يقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبد الحق يروى ان عبد الله بن عمر امر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة ۰ وممن

رأى ذلك لعلى بن عبدالرحمن وكان الامام احمد ينكر ذلك اولا حيث لم يبلغه فيه اثر ثم رجع عن ذلك -

وقال الخلال فى الجامع كتاب القراءة عند القبور (اخبرنا) العباس بن محمد الدورى ثنا يحيى بن معين ثنا مبشر الحلبى حدثنى عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه قال قال ابى اذا انامت فضعنى فى اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله وسنّ على التراب سنا واقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة وخاتمتها فانى سمعت عبدالله ابن عمر يقول ذلك (قال) عباس الدورى سألت احمد بن حنبل قلت تحفظ فى القراءة على القبر شيئا؟ فقال لا وسألت يحيى بن معين فحدثنى بهذا الحديث -

(قال الخلال) وأخبرنى الحسن بن احمد الوراق ثنى على بن موسى الحداد وكان صدوقا قال كنت مع احمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهرى فى جنازة فلمادفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد بن حنبل يا اباعبدالله ما تقول فى مبشر الحلبى؟ قال ثقة قال كتبت عنه شيئا؟ قال نعم قال فأخبرنى مبشر عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له احمد فارجع وقل للرجل يقرأ -

(وقال) الحسن بن الصباح الزعفرانى سألت الشافعى عن القراءة عند القبر فقال لا بأس بها -

(وذكر) الخلال عن الشعبى قال كانت الانصار اذا مات لهم الميت اختلفوا الى قبره يقرؤن عنده القرآن ۔ قال وأخبرنى ابو يحى الناقد قال سمعت الحسن بن الجروى يقول مررت على قبر اخت لى فقرأت عندها تبارك لمايذكر فيها فجاءنى رجل فقال انى رأيت اختك فى المنام تقول جزى الله ابا على خيرا فقد انتفعت بماقرأ (اخبرنى) الحسن بن الهيثم قال سمعت ابابكر بن الاطروش ابن بنت ابى نصر بن التمار يقول كان رجل يجىء الى قبر امه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس فجاء

فى بعض ايامه فقرأ سورة يس ثم قال اللهم ان كنت قسمت لهذه السورة ثوابا فاجعله فى اهل هذه المقابر فلما كان فى الجمعة التى تليها جاءت امرأة فقالت انت فلان بن فلانة ؟ قال نعم قالت ان بنتالى ماتت فرأيتها فى النوم جالسة على شفير قبرها فقلت ما اجلسك ها هنا ؟ فقالت ان فلان بن فلانة جاء الى قبر امه فقرأ سورة يس وجعل ثوابها لأهل المقابر فاصابنا من روح ذلك اوغفر لنا اونحو ذلك ـ

(وفى النسائى) وغيره من حديث معقل بن يسار المزنى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اقرأوا ،يس، عند موتاكم. وهذا يحتمل ان يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله، لقنوا موتاكم لااله الاالله ، ويحتمل ان يراد به القراءة عند القبر ، والاول اظهر لوجوه . احدها . انه نظير قوله ، لقنوا موتاكم لا اله الا الله ـ

(الثانى) انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد وغبطة من مات عليه بقوله (ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) فتستبشر الروح بذلك فتحب لقاء الله فيحب الله لقاءه فان هذه السورة قلب القرآن ولها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر ـ

وقد ذكر أبوالفرج ابن الجوزى قال كنا عند شيخنا ابى الوقت عبد الاول وهوفى السياق وكان آخر عهدنا به انه نظر الى السماء وضحك وقال (ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) وقضى ـ

(الثالث) ان هذا عمل الناس وعادتهم قديما وحديثا يقرؤن ،يس ، عند المحتضر ـ

(الرابع) ان الصحابة لوفهموا من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ،اقرءوا، يس، عند موتاكم ، قراءتها عند القبر لما اخلوا به وكان ذلك امرا معتادا مشهورا بينهم ـ

(الخامس) ان انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها فى آخر عهده بالدنيا هوالمقصود وأما قراءتها عند قبره فانه لا يثاب على ذلك لأن الثواب اما بالقراءة اوبالاستماع وهوعمل وقد انقطع من الميت ـ

وقد ترجم الحافظ ابو محمد عبد الحق الاشبيلى على هذا فقال ذكر ما جاء ان الموتى يسئلون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم وأعمالهم ثم قال (ذكر) ابو عمر ابن عبدالبر من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مامن رجل يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الاعرفه ورد عليه السلام ۔ ويروى هذا من حديث ابى هريرة مرفوعا قال فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام ۔ (قال) ويروى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مامن رجل يزور قبر اخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم ۔

واحتج الحافظ ابو محمد فى هذا الباب بما رواه ابوداود فى سننه من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مامن احد يسلم علىّ الارد الله علىّ روحى حتى ارد عليه السلام ۔ قال وقال سليمان بن نعيم رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم ؟ قال نعم وأرد عليهم، قال وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر السلام عليكم اهل الديار الحديث ، قال وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه ودعاء من يدعوله ۔

(قال ابو محمد) ويذكر عن الفضل ابن الموفق قال كنت آتى قبر أبى المرة بعدالمرة فأكثر من ذلك فشهدت يوما جنازة فى المقبرة التى دفن فيها فتعجلت لحاجتى ولم آته فلما كان من الليل رأيته فى المنام فقال لى يا بنى لم لاتأتينى ؟ قلت له يا ابت وإنك لتعلم بى اذا اتيتك ؟ قال اى والله يا بنى ازال أطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل الىّ وتقعد عندى ثم تقوم فلاازال انظر اليك حتى تجوز القنطرة ۔

قال ابن ابى الدنيا حدثنى ابراهيم بن بشار الكوفى قال حدثنى الفضل بن الموفق فذكر القصة ۔

وصح عن عمرو بن دينار انه قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون فى

اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم ۔

وصح عن مجاهد انه قال ان الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده ۔

فصل

ويدل على هذا ايضا ما جرى عليه عمل الناس قديما وإلى الآن من تلقين الميت فى قبره ولولا انه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا وقد سئل عنه الامام احمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل .

(ويروى فيه حديث) ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه من حديث ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة يقول ارشدنا رحمك الله ، ولكنكم لا تسمعون ، فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن اماما ، فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف امه ؟ قال ينسبه الى امه حواء .

فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الامصار والاعصار من غير انكار كاف فى العمل به وما اجرى الله سبحانه العادة قط بأن امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهى اكمل الامم عقولا واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر بل سنه الاول للآخر ويقتدى فيه الآخر بالاول فلولا ان المخاطب يسمع والا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه .

وقد روى ابو داود فى سننه باسناد لابأس به ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا لاخيكم التثبيت فانه الآن يسأل . فأخبر أنه

يسأل حينئذ وإذا كان يسأل فانه يسمع التلقين .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الميت يسمع قرع نعالهم اذا ولوا منصرفين .

وذكر عبدالحق عن بعض الصالحين قال مات اخ لى فرأيته فى النوم فقلت يااخى ماكان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال اتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لى لهلكت .

وقال شبيب بن شيبة اوصتنى امى عند موتها فقالت يابنى اذا دفنتنى فقم عند قبرى وقل ياام شبيب قولى لااله الاالله فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت ياام شبيب قولى لااله الا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها فى النوم فقالت يابنى كدت ان اهلك لولا ان تداركنى لااله الا الله فقد حفظت وصيتى يابنى -

وذكر ابن ابى الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة ايوب بن عيينة قالت رأيت سفيان بن عيينة فى النوم فقال جزى الله اخى ايوب عنى خيرا فانه يزورنى كثيرا وقد كان عندى اليوم فقال ايوب نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت الى قبره -

وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين قال صعب لعوف اى اخى اينا مات قبل صاحبه فليترايا له قال اويكون ذلك ؟ قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال قلت اى اخى قال نعم قلت ما فعل بكم ؟ قال غفر لنا بعد المصائب ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قلت اى اخى ماهذا ؟ قال عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرنى فأعطوه اياها ، واعلم اى اخى انه لم يحدث فى اهلى حدث بعد موتى الا قد لحق بى خبره حتى هرة لنا ماتت منذ ايام ، واعلم ان بنتى تموت الى ستة ايام فاستوصوا بها معروفا فلما اصبحت قلت ان فى هذا لمعلما فأتيت اهله فقالوا مرحبا بعوف أهكذا تصنعون بتركة اخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب قال فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت الى القرن فأنزلته فانتثلت مافيه فوجدت الصرة التى فيها الدنانير فبعثت بها الى اليهودى فقلت هل كان لك

على صعب شيء ؟ قال رحم الله صعبا كان من خيار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي له قلت لتخبرني قال نعم اسلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه قال هي والله بأعيانها قال قلت هذه واحدة ـ

قال فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث فينا كذا قال قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ ايام فقلت هاتان اثنتان ـ

قلت اين ابنة اخي؟ قالوا تلعب فأتيت بها فمسستها فاذا هي محمومة فقلت استوصوا بها معروفا فماتت في ستة ايام! ـ

وهذا من فقه عوف رحمه الله وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التي اخبره بها من ان الدنانير عشرة وهي في القرن ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا بجزم عوف بصحة الامر فأعطى اليهودي الدنانير وهذا فقه انما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعل اكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف ان ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لأيتامه وورثته الى يهودي بمنام ـ

ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرها ابوعمر بن عبدالبر وغيره (قال ابوعمر اخبرنا) عبدالوارث بن سفيان ثنا قاسم بن اصبغ ثنا ابوالزنباع روح بن الفرج ثنا سعيد بن عفير وعبدالعزيز ابن يحيى المدني ثنا مالك بن انس عن ابن شهاب عن اسمعيل بن محمد بن ثابت الانصاري عن ثابت بن قيس بن شماس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له يا ثابت أما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ قال مالك فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيدا ـ

(قال ابوعمرو روى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد ثنا عبدالرحمن بن يزيد ابن جابر قال حدثني عطاء الخراساني قال حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) دخل

ابو ها بية وأغلق عليه با به ففقده رسول الله صلى الله عليه وآ له وسلم وأرسل اليه يسأله ما خبره ؟ قال انا رجل شديد الصوت اخاف ان يكون قد حبط عملى قالت لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله (ان الله لايحب كل مختال فخور) فأغلق عليه با به وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وآ له وسلم فارسل اليه فأخبره فقال يارسول الله انى احب الجمال واحب ان اسود قومى فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة . قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى ابى حذيفة ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ اتاه ثابت فى منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت امس مربى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره ان يبعث الى درعى فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآ له وسلم يعنى ابابكر الصديق فقل له ان علىّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها وحدث ابا بكر برؤياه فأجاز وصيته ، قال ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله- انتهى ماذكره ابوعمرو -

فقد اتفق خالد وابوبكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هى فى يده بها وهذا محض الفقه -

واذا كان ابوحنيفة واحمد ومالك يقبلون قول المدعى من الزوجين مايصلح له دون الآخر بقرينة صدقه فهذا اولى -

وكذلك ابوحنيفة يقبل قول المدعى للحائط بوجوه الآجر الى جانبه وبمعاقد القمط -

وقد شرع الله حد المرأة بأيمان الزوج وقرينة تكون لها فان ذلك من اظهر الأدلة على صدق الزوج ـ

وأبلغ من ذلك قتل المقسم عليه فى القسامة بأيمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث ـ

وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم اذا مات فى السفر وأوصى الى رجلين من غير المسلمين فاطلع الورثة على خيانة الوصيين بأنهما يحلفان بالله ويستحقانه وتكون ايمانهما اولى من ايمان الوصيين وهذا انزله الله سبحانه فى آخر الامر فى سورة المائدة وهى من آخر القرآن نزولا ولم ينسخها شئ وعمل بها الصحابة بعده ـ

وهذا دليل على انه يقضى فى الاموال باللوث واذا كان الدم يباح باللوث فى القسامة فلأن يقضى باللوث وهو القرائن الظاهرة فى الأموال اولى وأحرى ـ وعلى هذا عمل ولاة العدل فى استخراج السرقات من السراق حتى ان كثيرا ممن ينكر ذلك عليهم يستعين بهم اذا سرق ماله ـ

وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذى شهد بين يوسف الصديق وامرأة العزيز انه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المرأة ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك بل حكاه عنه تقريرا له ـ

واخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن نبى الله سليمان بن داود انه حكم بين المرأتين اللتين تداعتا الولد للصغرى بالقرينة التى ظهرت له لما قال ائتونى بالسكين اشق الولد بينكما فقالت الكبرى نعم رضيت بذلك للتسلى بفقد ابن صاحبتها وقالت الاخرى لا تفعل هو ابنها فقضى به لها للشفقة والرحمة التى قامت بقلبها حتى سمحت به للأخرى ويبقى حيا وتنظر اليه ـ

وهذا من احسن الاحكام وأعدلها وشريعة الاسلام تقرر مثل هذا وتشهد بصحته وهل الحكم بالقافة والحاق النسب بها للاعتماد على قرائن الشبه مع اشتباهها وخفائها غالبا ـ

والمقصود ان القرائن التى قامت فى رؤيا عوف بن مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقصر عن كثير من هذه القرائن بل هى اقوى من مجرد وجوه الآجر ومعاقد القمط وصلاحية المتاع للمدعى دون الآخر فى مسئلة الزوجين والصانعين وهذا ظاهر لاخفاء به وفطر الناس وعقولهم تشهد بصحته وبالله التوفيق -

والمقصود جواب السائل وان الميت اذا عرف مثل هذه الجزئيات وتفاصيلها فمعرفته بزيارة الحى له وسلامه عليه ودعائه له اولى وأحرى -

فصل

المسئلة الثانية وهى ان ارواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ام لا

فهى ايضا مسئلة شريفة كبيرة القدر وجوابها ان الارواح قسمان، ارواح معذبة وارواح منعمة، فالمعذبة فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى، والارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وروح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الرفيق الاعلى قال الله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.) وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من احب فى هذه الدور الثلاثة -

(وروى) جرير عن منصور عن ابى الضحى عن مسروق قال قال اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبغى لنا ان نفارقك فى الدنيا فاذا مت رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) -

(وقال الشعبى) جاء رجل من الانصار وهو يبكى الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما يبكيك يا فلان؟ فقال يا نبى الله والله الذى لااله الا هو لأنت احب

الى من اهلى ومالى والله الذى لا اله الا هو لأنت احب الى من نفسى ، وأنا اذكرك انا واهلى فيأخذنى كذا حتى اراك فذكرت موتك وموتى فعرفت انى لن اجامعك الا فى الدنيا وانك ترفع فى النبيين وعرفت انى ان دخلت الجنة كنت فى منزل ادنى من منزلك ، فلم يرد النبى صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الى قوله (وكفى بالله عليما) وقال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) اى ادخلى فى جملتهم وكونى معهم وهذا يقال للروح عند الموت .

(وفى قصة الاسراء) من حديث عبدالله بن مسعود قال لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم لقى ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم حتى اجمعوا الحديث الى عيسى فقال عيسى عهدالله الى فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال قال فأهبط فأقتله ويرجع (الناس - ١) الى بلادهم فتستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء الاشربوه ولايمرون بشىء الا افسدوه فيجأرون الى فأدعو (٢) الله فيميتهم فتجأر الارض الى الله من ريحهم ويجأرون الى فادعو ويرسل الله السماء بالماء فيحمل اجسامهم فيقذفها فى البحر ثم ينسف الجبال وتمد الارض مد الأديم فعهدالله الى اذا كان كذلك فان الساعة من الناس كالحامل المتم لايدرى اهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا اونهارا . ذكره الحاكم والبيهقى وغيرهما .

وهذا نص فى تذاكر الارواح العلم .

وقد اخبرالله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم يستبشرون بالذين لم يلحقوابهم من خلفهم وانهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة اوجه (احدها) انهم عند ربهم يرزقون واذا

---

(١) من المستدرك (٢) هكذا فى المستدرك ووقع فى الأصل الى الله فيدعو

كانوا احياء فهم يتلاقون (الثانى) انهم انما استبشروا باخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم (الثالث) ان لفظ يستبشرون يفيد فى اللغة انهم يبشر بعضهم بعضا مثل يتباشرون -

وقد تواترت المرائى بذلك (فمنها) ماذكره صالح بن بشير (١) قال رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا فقال اما والله لقد اعقبنى ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت فى اى الدرجات انت ؟ قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين -

(وقال) عبدالله بن المبارك رأيت سفيان الثورى فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه -

(وقال) صخر بن راشد رأيت عبدالله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قدمت ؟ قال بلى قلت فما صنع الله بك ؟ قال غفر لى مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى ؟ قال بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا -

(وذكر) ابن ابى الدنيا (٢) من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن يقظة بنت راشد قالت كان مروان المحلمى لى جارا وكان قاضيا مجتهدا قالت فمات فوجدت عليه وجدا شديدا قالت فرأيته فيما يرى النائم قلت ابا عبدالله ما صنع بك ربك ؟ قال ادخلنى الجنة قلت ثم ماذا ؟ قال ثم رفعت الى اصحاب اليمين قلت ثم ماذا ؟ قال ثم رفعت الى المقربين قلت فمن رأيت من اخوانك ؟ قال رأيت الحسن وابن سيرين وميمون بن سياه . قال حماد قال هشام بن حسان فحدثتنى ام عبدالله وكانت من خيار نساء اهل البصرة قالت رأيت فيما يرى النائم كأنى دخلت دارا حسنة ثم دخلت بستانا فذكرت، من حسنه ما شاء الله فاذا انا فيه برجل متكىء على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الاكاويب قالت فانى لمتعجبة من حسن ما أرى اذ قيل هذا مروان المحلمى اقبل فوثب فاستوى جالسا

---

(١) هو ابو بشر المرى البصرى مات سنة (١٧٦) خلاصه (٢) هو عبدالله بن محمد مات سنة (٢٨١) خلاصه -

على سريره قالت واستيقظت من منامى فاذا جنازة مروان قدمّر بها على بابى تلك الساعة

وقدجاءت سنة صريحة بتلاقى الارواح وتعارفها (قال) ابن ابى الدنيا حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع اخبرنى فضيل بن سليمان النميرى حدثنى يحيى بن عبدالرحمن ابن ابى لبيبة عن جده قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه ام بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لايزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم والذى نفسى بيده يا ام بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤس الشجر وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة الا جاءته ام بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام ـ

(وذكر) ابن ابى الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال اهل القبور يتوكفون الأخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان؟ فيقول صالح . ما فعل فلان؟ يقول صالح . ما فعل فلان؟ فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا ـ

(وقال) صالح المرى بلغنى ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التى تخرج اليهم كيف كان مأواك وفى اى الجسدين كنت فى طيب ام خبيث؟ ثم بكى حتى غلبه البكاء ـ

(وقال) عبيد بن عمير اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الركب مافعل فلان؟ مافعل فلان؟ فاذا قال توفى ولم يأتهم قالوا ذهب به الى امه الهاوية

(وقال) سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب ـ

(وقال) عبيد بن عمير ايضا لوانى آيس من لقاء من مات من اهلى لألفانى قدمت كمدا ـ

(وذكر) معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة ان ابارهم المسمعى حدثه ان اباايوب الانصارى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان نفس

المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عندالله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ما ذا فعل فلان؟ وما ذا فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلى قالوا انالله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية -

وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام حدثنى مسمع بن عاصم قال رأيت عاصما الجحدرى فى منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قدمت؟ قال بلى قلت وأين انت؟ قال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزنى فنتلقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم؟ قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح -

فصل

وأما المسئلة الثالثة وهى هل تلاقى ارواح الاحياء وارواح الاموات ام لا

فشواهد هذه المسئلة وأدلتها اكثر من ان يحصيها الا الله تعالى والحس والواقع من اعدل الشهود بها فتلتقى ارواح الاحياء والاموات كما تلتقى ارواح الاحياء وقدقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) -

(قال) ابوعبدالله بن منده ثنا احمد بن محمد بن ابراهيم ثنا عبدالله بن حسين الحرانى ثنا جدى احمد بن شعيب ثنا موسى بن اعين عن مطرف عن جعفر بن ابى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية قال بلغنى ان ارواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى ويرسل ارواح الاحياء الى اجسادها -

وقال ابن ابى حاتم فى تفسيره ثنا عبدالله بن سليمان ثنا الحسين ثنا عامر ثنا اسباط عن السدى فى قوله تعالى (والتى لم تمت فى منامها) قال يتوفاها فى منامها فيلتقى روح الحى وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحى الى جسده فى الدنيا الى بقية اجلها وتريد روح الميت ان ترجع الى جسده فتحبس ــ وهذا احدالقولين فى الآية وهوان الممسكة من توفيت وفاة الموت اولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا القول انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها الى جسدها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية اجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى ــ

والقول الثانى فى الآية ان الممسكة والمرسلة فى الآية كلاهما توفى وفاة النوم فمن استكملت اجلها امسكها عنده فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل اجلها ردها الى جسدها لتستكمله واختار شيخ الاسلام هذاالقول وقال عليه يدل القرآن والسنة قال فانه سبحانه ذكر امساك التى قضى عليها الموت من هذه الانفس التى توفاها وفاة النوم وأما التى توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بامساك ولا بارسال بل هى قسم ثالث ــ

والذى يترجح هوالقول الاول لانه سبحانه اخبر وفاتين وفاة كبرى وهى وفاة الموت ووفاة صغرى وهى وفاة النوم وقسم الارواح قسمين قسما قضى عليها بالموت فأمسكها عنده وهى التى توفاها وفاة الموت وقسما لها بقية اجل فردها الى جسدها الى استكمال اجلها وجعل سبحانه الامساك والارسال حكمين للوفاتين المذكورتين اولا فهذه ممسكة وهذه مرسلة واخبر أن التى لم تمت هى التى توفاها فى منامها فلو كان قد قسم وفاة النوم الى قسمين وفاة موت ووفاة نوم لم يقل (والتى لم تمت فى منامها) فانها من حين قبضت ماتت وهوسبحانه قداخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك (فيمسك التى قضى عليها الموت)

ولمن نصر هذاالقول ان يقول قوله تعالى (فيمسك التى قضى عليها الموت) بعدأن توفاها وفاة النوم فهوسبحانه توفاها اولا وفاة نوم ثم قضى عليها الموت بعدذلك

والتحقيق ان الآية تتناول النوعين فانه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات فى النوم اوفى اليقظة ويرسل نفس من لم يمت فقوله (يتوفى الانفس حين موتها) يتناول من مات فى اليقظة ومن مات فى المنام -

وقد دل على التقاء ارواح الاحياء والاموات ان الحى يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحى فيصادف خبره كما اخبر فى الماضى والمستقبل وربما اخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه وربما اخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته -

وأبلغ من هذا انه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه احدا من العالمين -

وأبلغ من هذا انه يخبره انك تأتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما اخبر ، وربما اخبره عن امور يقطع الحى انه لم يكن يعرفها غيره ، وقد ذكرنا قصة الصعب ابن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له ، وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس واخباره لمن رآه بدرعه وماعليه من الدين -

وقصة صدقة بن سليمان الجعفرى واخبار ابنه له بما عمل من بعده ، وقصة شبيب ابن شيبة وقول امه له بعد الموت جزاك الله خيرا حيث لقنها لا اله الا الله وقصة الفضل بن الموفق مع ابنه واخباره اياه بعلمه بزيارته -

وقال سعيد بن المسيب التقى عبدالله بن سلام سلمان الفارسى فقال احدهما للآخر إن مت قبلى فالقنى فاخبرنى ما لقيت من ربك وإن انا مت قبلك لقيتك فاخبرتك فقال الآخر وهل تلتقى الاموات والاحياء ؟ قال نعم ارواحهم فى الجنة تذهب حيث شاء قال فمات فلان فلقيه فى المنام فقال توكل وأبشر فلم ار مثل التوكل قط

وقال العباس بن عبدالمطلب كنت أشتهى ان ارى عمر فى المنام فما رأيته الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغى ان كاد عرشى ليهد لولا ان لقيت رؤفا رحيما -

ولما حضرت شريح بن عابد الثمالى الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود

بنفسه فقال يا ابا الحجاج ان قدرت على ان تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل قال وكانت كلمة مقبولة فى اهل الفقه قال فمكث زمانا لايراه ثم رآه فى منامه فقال له أليس قدمت ؟ قال بلى قال فكيف حالك ؟ قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا الا الاحراض قلت وما الاحراض ؟ قال الذين يشار اليهم بالاصابع فى الشيء ـ

وقال عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز رأيت ابى فى النوم بعد موته كأنه فى حديقة فدفع الىّ تفاحات فأولتهن الولد فقلت اى الاعمال وجدت افضل ؟ فقال الاستغفار اى بنى ـ

ورأى مسلمة بن عبدالملك عمر بن عبدالعزيز بعد موته فقال يا اميرالمؤمنين ليت شعرى الى اى الحالات صرت بعد الموت ؟ قال يامسلمة هذا اوان فراغى والله ما استرحت الا الآن قال قلت فأين انت يا اميرالمؤمنين ؟ قال مع أئمة الهدى فى جنة عدن ـ

(قال) صالح البراد رأيت زرارة بن اوفى بعد موته فقلت رحمك الله ماذا قيل لك وماذا قلت؟ فأعرض عنى قلت فما صنع الله بك ؟ قال تفضل علىّ بجوده وكرمه قلت فأبو العلاء بن يزيد اخو مطرف ؟ قال ذاك فى الدرجات العلى قلت فأى الاعمال ابلغ فيما عندكم ؟ قال التوكل وقصر الامل ـ

(وقال) مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علىّ السلام فقلت مايمنعك ان تردالسلام ؟ قال انا ميت فكيف ارد عليك السلام فقلت له ماذا لقيت بعد الموت ؟ قال لقيت والله اهوالا وزلازل عظاما شدادا قال قلت له فما كان بعد ذلك ؟ قال وماتراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات، وعفالنا عن السيئات ، وضمن عنا التبعات ، قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه ، قال فلبث بعد ذلك اياما مريضا ثم انصدع قلبه فمات ـ

(وقال) سهيل اخو حزم رأيت مالك بن دينار بعد موته فقلت يا ابا يحيى ليت شعرى ماذا قدمت به على الله قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن

بالله عز وجل -

(ولما مات) رجاء بن حيوة رأته امرأة عابدة فقالت يا ابا المقدام الى ما صرتم ؟ قال الى خير ولكن فزعنا بعدكم فزعة ظننا ان القيامة قد قامت ، قالت قلت ومم ذلك ؟ قال دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها -

(وقال جميل) بن مرة كان مورق العجلى لى اخا وصديقا فقلت له ذات يوم اينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فليخبره بالذى صار اليه قال فمات مورق فرأت اهلى فى منامها كأنه اتانا كما كان يأتى فقرع الباب كما كان يقرع قالت فقمت ففتحت له كما كنت افتح وقلت ادخل يا ابا المعتمر الى باب اخيك فقال كيف ادخل وقد ذقت الموت ؟ انما جئت لأعلم جميلا بما صنع الله بى أعلميه انه قد جعلنى فى المقربين -

(ولما مات) محمد بن سيرين حزن عليه بعض اصحابه حزنا شديدا فرآه فى المنام فى حال حسنة فقال يا اخى قد أراك فى حال يسرّنى فما صنع الحسن ؟ قال رفع فوقى بسبعين درجة ، قلت ولم ذاك وقد كنا نرى انك افضل منه ؟ قال ذاك بطول حزنه -

(وقال ابن عيينة) رأيت سفيان الثورى فى النوم فقلت اوصنى قال اقلّ من معرفة الناس -

(وقال عمار) بن سيف رأيت الحسن بن صالح فى منامى فقلت قد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك فتخبرنا به فقال أبشر فانى لم ار مثل حسن الظن بالله شيئا -

(ولما مات) ضيغم العابد رآه بعض اصحابه فى المنام فقال أما صليت علىّ ؟ قال فذكرت علة كانت فقال أما لو كنت صليت علىّ ربحت رأسك -

(ولما ماتت) رابعة رأتها امرأة من اصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس وكانت كفنت فى جبة وخمار من صوف فقالت لها مافعلت الجبة التى كفنتك فيها وخمار الصوف ؟ قالت والله انه نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترين علىّ وطويت

اكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكمل لى ثوابها يوم القيامة ، قالت فقلت لها لهذا كنت تعملين ايام الدنيا ؟ فقالت وما هذا عند مارأيت من كرامة الله لأوليائه فقلت لها فما فعلت عبدة بنت ابى كلاب ؟ فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات العلى ، قالت قلت وبم وقد كنت عند الناس اعبد منها ؟ فقالت انها لم تكن تبالى على اى حال اصبحت من الدنيا اوأمست ، فقلت فما فعل ابو مالك تعنى ضيغما ؟ فقالت يزور الله تبارك وتعالى متى شاء ، قالت قلت فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت بخ بخ اعطى والله فوق ما كان يأمل ، قالت قلت مرينى بأمر أتقرب به الى الله تعالى قالت عليك بكثرة ذكر الله فيوشك ان تغتبطى بذلك فى قبرك ـ

(ولما مات) عبدالعزيز بن سليمان العابد رآه بعض اصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه اكليل من لؤلؤ فقال كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الامر هناك ؟ قال أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه الا ان رحمةالله وارت عنا كل عيب وما تلقانا الا بفضله ـ

(وقال) صالح بن بشر لما مات عطاء السلمى رأيته فى منامى فقلت يا ابا محمد ألست فى زمرة الموتى ؟ قال بلى ، قلت فما ذاصرت اليه بعد الموت ؟ قال صرت والله الى خير كثير ورب غفور شكور ، قال قلت أما والله لقد كنت طويل الحزن فى دارالدنيا ، فتبسم وقال والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما ، فقلت ففى اى الدرجات انت ؟ قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ـ

(ولما مات) عاصم الجحدرى رآه بعض اهله فى المنام فقال أليس قدمتّ ؟ قال بلى قال فأين انت ؟ قال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزنى فنتلقى اخباركم ، قال قلت اجسادكم ام ارواحكم ؟ قال هيهات بليت الاجساد وإنما تتلاقى الارواح

(ورئى) الفضيل بن عياض بعد موته فقال لم ار للعبد خيرا من ربه ـ

(وكان مرة الهمدانى) قد سجد حتى اكل التراب جبهته فلما مات رآه رجل من اهله فى منامه وكأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدرى فقال ماهذا الاثر الذى ارى بوجهك ؟ قال كسى موضع السجود بأكل التراب له نورا، قال قلت فما منزلتك فى الآخرة ؟ قال خير منزل، دار لا ينتقل عنها اهلها ولا يموتون -

(وقال ابو يعقوب) القارى رأيت فى منامى رجلا آدما طوالا والناس يتبعونه قلت من هذا؟ قالوا اويس القرنى فاتبعته فقلت اوصنى يرحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فأرشدنى رحمك الله فأقبل على فقال ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك، ثم ولى وتركنى -

(وقال ابن السماك) رأيت مسعرا فى النوم فقلت اى الاعمال وجدت افضل؟ قال مجالس الذكر (وقال الاجلح) رأيت سلمة بن كهيل فى النوم فقلت اى الاعمال وجدت افضل؟ قال قيام الليل (وقال) ابو بكر بن ابى مريم رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت مافعلت ياوفاء؟ قال نجوت بعد كل جهد قلت فأى الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله عزوجل (وقال الليث بن سعد عن موسى بن وردان انه رأى عبدالله بن ابى حبيبة بعد موته فقال عرضت على حسناتى وسيئاتى فرأيت فى حسناتى حبات رمان التقطتهن فأكلتهن، ورأيت فى سيئاتى خيطى حرير كانا فى قلنسوتى -

(وقال) سنيد بن داود حدثنى ابن اخى جويرية بن اسماء قال كنا بعبادان فقدم علينا شاب من اهل الكوفة متعبد فمات بها فى يوم شديد الحر فقلت نبرد ثم نأخذ فى جهازه فنمت فرأيت كأنى فى المقابر فاذا بقبة جوهر تتلألأ حسنا وأنا انظر اليها اذ انفلقت فأشرفت منها جارية ما رأيت مثل حسنها فأقبلت على فقالت بالله لا تحبسه عنا الى الظهر قال فانتبهت فزعا وأخذت فى جهازه وحفرت له قبرا فى الموضع الذى رأيت فيه القبة فدفنته فيه. وقال عبدالملك بن عتاب الليثى رأيت عامر بن عبدقيس فى النوم فقلت أى الاعمال وجدت افضل؟ قال ما أريد به وجه الله عزوجل. وقال يزيد بن هارون رأيت اباالعلاء ايوب بن مسكين فى المنام فقلت مافعل بك ربك؟ قال غفر لى قلت بماذا؟ قال بالصوم والصلاة، قلت أرأيت منصور ابن زاذان؟ قال هيهات ذلك نرى قصره من بعيد. وقال يزيد بن نعامة هلكت

جارية فى طاعون الجارف فلقيها ابوها بعد موتها فقال لها يابنية اخبرينى عن الآخرة، قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان فى صحيفة عملى احب الى من الدنيا وما فيها وقال كثير بن مرة رأيت فى منامى كأنى دخلت درجة علياء فى الجنة فجعلت اطوف بها وأتعجب منها فاذا انا بنساء من نساء المسجد فى ناحية منها فذهبت حتى سلمت عليهن ثم قلت بما بلغتن هذه الدرجة ؟ قلن بسجدات وتكبيرات وقال مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز عن فاطمة بنت عبدالملك امرأة عمر بن عبدالعزيز قالت انتبه عمر بن عبدالعزيز ليلة فقال لقد رأيت رؤيا معجبة قالت فقلت جعلت فداءك فأخبرنى بها فقال ما كنت لأخبرك بها حتى اصبح فلما طلع الفجر خرج فصلى ثم عاد الى مجلسه ، قالت فاغتنمت خلوته فقلت اخبرنى بالرؤيا التى رأيت ، قال رأيت كأنى رفعت الى ارض خضراء واسعة كأنها بساط اخضر واذا فيها قصر ابيض كأنه الفضة واذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول اين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب اين رسول الله ، (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل ذلك القصر قال ثم ان آخر خرج من ذلك القصر فنادى اين ابو بكر الصديق اين ابن ابى قحافة ، اذ أقبل ابو بكر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عمر بن الخطاب ، فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عثمان بن عفان ، فأقبل حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى ، اين على بن ابى طالب ، فأقبل حتى دخل ذلك حتى لقصر ثم ان آخر خرج فنادى ، اين عمر بن عبدالعزيز ، قال عمر فقمت حتى دخلت ذلك القصر قال فدفعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقوم حوله فقلت بينى وبين نفسى اين اجلس ، فجلست الى جنب ابى عمر بن الخطاب فنظرت فاذا ابو بكر عن يمين النبى صلى الله عليه وآله وسلم واذا عمر عن يساره فتأملت فاذا بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ابى بكر رجل فقلت من هذا الرجل الذى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ابى بكر ؟ فقال .

هذا عيسى بن مريم فسمعت هاتفا يهتف وبيني وبينه ستر نور يا عمر بن عبدالعزيز تمسك بما انت عليه واثبت على ما انت عليه ثم كأنه اذن لى فى الخروج فخرجت من ذلك القصر فالتفت خلفى فاذا انا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول الحمدلله الذى نصرنى وإذا على بن ابى طالب فى اثره خارج من ذلك القصر وهو يقول الحمد لله الذى غفرلى -

وقال سعيد بن ابى عروبة عن عمر بن عبدالعزيز رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابوبكر وعمر جالسان عنده فسلمت فبينا انا جالس اذأتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا انظر فما كان بأسرع من ان خرج علّى وهو يقول قضى لى ورب الكعبة وما كان بأسرع من ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفرلى ورب الكعبة -

وقال حماد بن ابى هاشم جاء رجل الى عمر بن عبدالعزيز فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وابوبكر عن يمينه وعمر عن شماله وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس فقال لك يا عمر اذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبى بكر وعمر فاستحلفه عمر بالله ارأيت هذه الرؤيا؟ فحلف فبكى عمر -

(وقال) عبدالرحمن بن غنم رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس ابلق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول (ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) ثم التفت عن يمينه وشماله يقول يا ابن رواحة يا ابن مظعون (الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين) ثم صافحنى وسلم علّى -

(وقال) قبيصة بن عقبة رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك؟ فقال -

نظرت الى ربى عيانا فقال لى   هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد
فقدكنت قواما اذا الليل قددجا   بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اى قصر تريده   وزرنى فانى منك غير بعيد

(وقال سفيان) بن عيينة رأيت سفيان الثورى بعد موته يطير فى الجنة من نخلة شجرة ومن شجرة الى نخلة وهو يقول (لمثل هذا فليعمل العاملون) فقيل له بما ادخلت الجنة ؟ قال بالورع بالورع ، قيل له فما فعل على بن عاصم ؟ قال ما نراه الامثل الكوكب ـ

(وكان) شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام حافظين وكانا جليلين قال ابو احمد البريدى فرأيتهما بعد موتهما فقلت ابا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال وفقك الله لحفظ ما اقول ـ

حبانى الهى فى الجنان بقبة لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لى الرحمن يا شعبة الذى تبحر فى جمع العلوم فأكثرا
تنعم بقربى اننى عنك ذو رضا وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا
كفا مسعرا عزا بأن سيزورنى واكشف عن وجهى الكريم لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا ولم يألفوا فى سالف الدهر منكرا

قال احمد بن محمد اللبدى رأيت احمد بن حنبل فى النوم فقلت يا اباعبدالله ما فعل اللهبك ؟ قال غفر لى ثم قال يا احمد ضُربت فىّ ستين سوطا ؟ قلت نعم يارب قال هذا وجهى قدأبحتك فانظر اليه ـ

وقال ابو بكر احمد بن محمد بن الحجاج حدثنى رجل من اهل طرسوس قال دعوت الله عزوجل ان يرينى اهل القبور حتى اسألهم عن احمد بن حنبل ما فعل الله به ؟ فرأيت بعد عشر سنين فى المنام كأن اهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادرونى بالكلام فقالوا ايا هذا كم تدعوالله عزوجل ان يريك ايانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى قال ابو محمد عبد الحق وهذا الكلام من اهل القبور انماهو اخبارعن علودرجة احمد بن حنبل وارتفاع مكانه وعظم منزلته فلم يقدروا ان يعبروا عن صفة حاله وعما هوفيه الابهذا وما هو فى معناه ـ

(وقال ابو جعفر) السقاء صاحب بشر بن الحارث رأيت بشر الحافى ومعروف

الكرخى وهما جائيان فقلت من اين؟ فقالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى -

(وقال) عاصم الجزرى رأيت فى النوم كأنى لقيت بشر بن الحارث فقلت من اين يا ابا نصر؟ قال من عليين ، قلت فما فعل احمد بن حنبل؟ قال تركته الساعة مع عبدالوهاب الوراق بين يدى الله عزوجل يأكلان ويشربان ، قلت له فأنت قال علم قلة رغبتى فى الطعام فأباحنى النظر اليه -

(وقال) ابو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث فى النوم بعد موته فقلت ابانصر ما فعل الله بك؟ قال الطفنى ورحمنى وقال لى يابشر لو سجدت لى فى الدنيا على الجمر ما اديت شكر ما حشوت قلوب عبادى منك وأباح لى نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدنى ان يغفر لمن تبع جنازتى ، فقلت ما فعل ابو نصر التمار؟ فقال ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره (قال) عبدالحق لعله اراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لان نعيمها نصفان نصف روحانى ونصف جسمانى فيتنعمون اولا بالروحانى فاذا ردت الارواح الى الاجساد اضيف لهم النعيم الجسمانى الى الروحانى ، وقال غيره نعيم الجنة مرتب على العلم والعمل وحظ بشر من العمل كان اوفى من حظه فى العلم - والله اعلم -

(وقال) بعض الصالحين رأيت ابا بكر الشبلى فى المنام وكأنه قاعد فى مجلس الرصافة بالموضع الذى كان يقعد فيه وإذابه قدأقبل وعليه ثياب حسان فقمت اليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له من اقرب اصحابك اليك؟ قال الهجهم بذكرالله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله -

(وقال) ابو عبدالرحمن الساحلى رأيت ميسرة بن سليم فى المنام بعد موته فقلت له طالت غيبتك فقال السفر طويل ، فقلت له فماالذى قدمت عليه؟ فقال رخص لى لأنا كنا نفتى بالرخص ، فقلت فماتأمرنى به؟ قال اتباع الآثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار -

(وقال) ابوجعفر الضرير رأيت عيسى بن زاذان بعد موته فقلت ما فعل الله

بك؟ فانشأ يقول ـ

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى   وأكاويب معها للشراب
يترنمن بالكتاب جميعا   يتمشين مسبلات الثياب

(وقال) بعض اصحاب ابن جريج رأيت كأنى جئت الى هذه المقبرة التى بمكة فرأيت على عامتها سرادقا ورأيت منها قبرا عليه سرادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فسلمت عليه فاذا مسلم بن خالد الزنجى فسلمت عليه وقلت يا ابا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة فقال انى كنت كثير الصيام فقلت فأين قبر ابن جريج واين محله ؟ فقد كنت اجالسه وانا احب ان اسلم عليه فقال هكذا بيده هيهات وأدارا صبعه السبابة واين قبر ابن جريج رفعت صحيفته فى عليين ـ

ورأى حماد بن سلمة فى النوم بعض اصحاب فقال له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لى طال ما كددت نفسك فى الدنيا فاليوم اطيل راحتك وراحة المتعبين ـ

وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه او قلت هذه منامات وهى غير معصومة فتأمل من رأى صاحبا له أو قريبا أو غيره فاخبره بأمر لا يعلمه الاصاحب الرؤيا أو اخبره بمال دفنه اوحذره من امر يقع اوبشره بامر يوجد فوقع كما قال اواخبره بانه يموت هو او بعض اهله الى كذا وكذا فيقع كما اخبر، اواخبره بخصب أوجدب اوعدو أو نازلة اومرض اوبغرض له فوقع كما اخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب ـ

وأبطل من قال ان هذه كلها علوم وعقائد فى النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم وهذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التى يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما ونحن لا ننكر أن الامر قد يقع كذلك ـ

وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد بل كثير من مرائى

الناس انماهى من مجرد صور واعتقاد هم المطابق وغير المطابق -

فان الرؤيا على ثلاثة انواع ، رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا من حديث النفس -

والرؤيا الصحيحة اقسام، منها الهام يلقيه الله سبحانه فى قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده فى المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره -

ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها -

ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من اهله واقاربه واصحابه وغيرهم كما ذكرنا -

ومنها عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له -

ومنها دخول روحه الى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الأحياء والموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التى هى عند الناس من جنس المحسوسات -

وهذا موضع اضطرب فيه الناس (فمن قائل) ان العلوم كلها كامنة فى النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت اكمل كانت علومها ومعارفها هناك اكمل وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لاتحصل بدون التجرد لكن لوتجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذى بعث به رسوله وعلى تفاصيل ما اخبربه عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهى والأسماء والصفات والأفعال وغير ذلك بما لايعلم الابالوحى ، ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه اسهل واقرب واكثر مما يحصل للنفس المنغمسة فى الشواغل البدنية -

(ومن قائل) ان هذه المرائى علوم علقها الله فى النفس ابتداء بلاسبب وهذا قول منكرى الاسباب والحكم والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة -

(**ومن قائل**) ان الرؤيا امثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده الفه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ما رآه الرائى فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه ـ

وهذا **أقرب** من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها اسباب آخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها بعضا ومن القاء الملك الذى فى القلب والروع ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلاواسطة ـ

(**وقد ذكر**) ابو عبدالله بن منده الحافظ فى (كتاب النفس والروح) من حديث محمد بن حميد ثنا عبدالرحمن بن مغراء الدوسى ثنا الازهر بن عبدالله الازدى عن محمد بن عجلان عن سالم بن عبدالله عن ابيه قال لقى عمر بن الخطاب على بن ابى طالب فقال له يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت ، ثلاث اسألك عنهن عندك منهن علم ؟ فقال على بن ابى طالب وماهن ؟ فقال الرجل يحب الرجل ولم يرمنه خيرا ، والرجل يبغض الرجل ولم يرمنه شرا ، فقال على نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، ان الارواح جنود مجندة تلتقى فى الهواء فتشأم فما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف ، فقال عمر واحداة قال عمر ، والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينا هو وما نسيه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، ما فى القلوب قلب الاوله سحابة كسحابة القمر بينا القمر مضئ اذ تجللته سحابة فأظلم اذ تجلت فأضاء وبينا القلب يتحدث اذ تجللته سحابة فنسى اذ تجلت عنه فيذكر قال عمر اثنتان قال ، والرجل يرى الرؤيا فمنها مايصدق ومنها مايكذب ؟ فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، ما من عبد ينام يتملى نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى التى تكذب ، فقال عمر ثلاث كنت فى طلبهن فالحمدلله الذى اصبتهن قبل الموت ـ

(**وقال**) بقية بن الوليد حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الحضرمى قال قال عمر بن الخطاب عجبت لرؤيا الرجل يرى الشىء لم يخطر له على بال فيكون

كأخذ بيده ويرى الشيء فلا يكون شيئا فقال على بن ابى طالب يا امير المؤمنين يقول الله عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) قال والاراح يعرج بها فى منامها فما رأت وهى فى السماء فهو الحق فاذا ردت الى اجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل ، قال فجعل عمر يتعجب من قول على قال ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروى عن ابى الدرداء ۔

(وذكر) الطبرانى من حديث على بن ابى طلحة ان عبدالله بن عباس قال لعمر ابن الخطاب يا امير المؤمنين اشياء اسألك عنها قال سل عما شئت قال يا امير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب ؟ فقال له عمر ان على القلب طخاوة كطخاوة القمر فاذا تغشت القلب نسى ابن آدم فاذا انجلت ذكر ما كان نسى وأما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب فان الله عز وجل يقول (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) فمن دخل منها فى ملكوت السماء فهى التى تصدق وما كان منها دون ملكوت السماء فهى التى تكذب ۔

(وروى) ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعينى عن ابى عثمان الاصبحى عن ابى الدرداء قال اذا نام الانسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش فان كان طاهرا اذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود ۔

(وروى) جعفر بن عون عن ابراهيم الهجرى عن ابى الاحوص عن عبد الله بن مسعود انه قال ان الارواح جنود مجندة تتلاقى فتشأم كما تشأم الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ۔

ولم يزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذرى ۔

اظل نهارى مستهاما وتلتقى   مع الليل روحى فى المنام وروحها

فان قيل ؟ فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة

بعيدة ويكون المرئى يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما؟ قيل هذا اما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم او يكون حديث نفس من الرائى تجرد له فى منامه كما قال حبيب بن اوس —

سقيا لطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالاخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب —

والمقصود أن ارواح الاحياء تتلاقى فى النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات (قال) بعض السلف ان الارواح تتلاقى فى الهواء فتتعارف او تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير اوشر قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها فى دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شئ ولا يغلط فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من ام الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير وشر فى دينه ودنياه ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه او يقدمه وينذره من معصية ارتكبها او همّ بها ويحذره من مكروه انعقدت اسبابه ليعارض تلك الاسباب باسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله فى الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل احد طرق ذلك تلاقى الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه اورئى له، وكم ممن استغنى وأصاب كنزا ودفينا عن منام —

وفى (كتاب المجالسة) لأبى بكر احمد بن مروان المالكى عن ابن قتيبة عن ابى حاتم عن الاصمعى عن المعتمر بن سليمان عمن حدثه قال خرجنا مرة فى سفر وكنا ثلاثة نفر فنام احدنا فرأينا مثل المصباح خرج من انفه فدخل غارا قريبا منه ثم رجع فدخل انفه فاستيقظ يمسح وجهه وقال رأيت عجبا رأيت فى هذا الغار كذا وكذا فدخلناه فوجدنا فيه بقية من كنز كان —

وهذا عبدالمطلب دل فى النوم على زمزم وأصاب الكنز الذى كان هناك -

وهذا عمير بن وهب اتى فى منامه فقيل له قم الى موضع كذا وكذا من البيت فاحفره تجد مال ابيك وكان ابوه قد دفن مالا ومات ولم يوص به فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم وتبرا كثيرا فقضى دينه وحسن حاله وحال اهل بيته وكان ذلك عقب اسلامه فقالت له الصغرى من بناته ياابت ربنا هذا الذى حبانا بدينه خير من هبل والعزى ولولا انه كذلك ماورثك هذا المال وإنما عبدته اياما قلائل -

قال على بن ابى طالب القيروانى العابر وماحديث عمير هذا وإستخراجه المال بالمنام بأعجب مما كان عندنا وشاهدناه فى عصرنا بمدينتنا من ابى محمد عبدالله البغانشى(١) وكان رجلا صالحا مشهورا برؤية الاموات وسؤالهم عن الغائبات ونقله ذلك الى اهلهم وقراباتهم حتى اشتهر بذلك وكثر منه فكان المرؤ يأتيه فيشكو اليه ان حميمه قدمات من غير وصية وله مال لا يهتدى مكانه فيعده خيرا ويدعو الله تعالى فى ليلته فيتراآى له الميت الموصوف فيسأله عن الامر فيخبره به -

(فمن نوادره) ان امرأة عجوزا من الصالحات توفيت ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة فجاءت اليه صاحبة الوديعة وشكت اليه ما نزل بها وأخبرته باسمها واسم الميتة صاحبتها ثم عادت اليه من الغد فقال لها تقول لك فلانة عندى من سقف بيتى سبع خشبات تجدى الدنانير فى السابعة فى خرقة صوف ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها -

(قال) وأخبرنى رجل لا اظن به كذبا استأجرتنى امرأة من اهل الدنيا على هدم دار لها وبنائها بمال معلوم فلما اخذت فى الهدم لزمت الفعلة هى ومن معها فقلت مالك؟ قالت والله مالى الى هدم هذه الدار من حاجة لكن ابى مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له كثير شىء فخلت ان ماله مدفون فعمدت الى هدم الدار لعلى اجد شيئا، فقال لها بعض من حضرنا لقد فاتك ما هو أهون عليك من هذا قالت وما هو؟ قال فلان تمضين اليه وتسألينه ان يبيت قصتك الليلة فلعله يرى اباك فيدلك

---

(١) التعايشى

على مكان ماله بلا تعب ولا كلفة فذهبت اليه ثم عادت الينا فزعمت انه كتب اسمها واسم ابيها عنده فلما كان من الغد بكرت الى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل فقالت ان الرجل قال لى رأيت اباك وهو يقول المال فى الحنية قال فجعلنا نحفر تحت الحنية وفى جوانبها حتى لاح لى شق وإذا المال فيه قال فأخذنا فى التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول مال ابى كان اكثر من هذا ولكنى اعود إليه فمضت فأعلمته ثم سألته المعاودة فلما كان من الغد أتت وقالت انه قال لها ان اباك يقول لك احفرى تحت الجابية المربعة التى فى مخزن الزيت قال ففتحت المخزن فاذا بجابية مربعة فى الركن فأزلناها وحفرنا تحتها فوجدنا كوزا كبيرا فأخذته ثم دام بها الطمع فى المعاودة ففعلت فرجعت من عنده وعليها الكآبة فقالت زعم انه رآه وهو يقول له قد أخذت ما قدر لها وأما ما بقى فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه الى من قدر له والحكايات فى هذا الباب كثيرة جدا ـ

وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له فى منامه فكثير جدا (وقد حدثنى) غير واحد ممن كان غير مائل الى شيخ الاسلام ابن تيمية انه رآه بعد موته وسأله عن شىء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب ـ

وبالجملة فهذا امر لاينكره الا من هو اجهل الناس بالارواح واحكامها وشانها وبالله التوفيق ـ

فصل

واما المسئلة الرابعة وهى ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده

فقد اختلف الناس فى هذا فقالت طائفة تموت الروح وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت ـ

قالوا وقد دلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى

وجه ربك ذوا الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شىء هالك الاوجهه) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى بالموت قالوا وقدقال تعالى عن اهل النار انهم قالوا (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) فالموتة الاولى هذه المشهودة وهى للبدن والاخرى للروح -

وقال آخرون لاتموت الارواح فانها خلقت للبقاء وإنما تموت الابدان قالوا وقددلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله فى اجسادها ولوماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقدقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عندربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) - هذا مع القطع بأن ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت -

والصواب ان يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان اريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت وإن اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهى لاتموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم او فى عذاب كما سيأتى ان شاءالله تعالى بعد هذا وكما صرح به النص انها كذلك حتى يردها الله فى جسدها وقد نظم احمد بن الحسين الكندى هذا الاختلاف فى قوله -

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم   الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

فان قيل فعند النفخ فى الصور هل تبقى الارواح حية كما هى او تموت ثم تحيا ؟ قيل قد قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاءالله) فقد استثنى الله سبحانه بعض من فى السموات ودن فى الارض من هذا الصعق -

فقيل هم الشهداء هذا قول ابى هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير -

وقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره -

وقيل هم الذين فى الجنة من الحور العين وغيرهم ومن فى النار من اهل العذاب وخزنتها قاله ابو اسحق بن شاقلا من اصحابنا .

وقد نص الامام احمد على ان الحور العين والولدان لايمتن عند النفخ فى الصور وقد اخبر سبحانه ان اهل الجنة (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وهذا نص على انهم لايموتون غير تلك الموتة الاولى فلوماتوا مرة ثانية لكانت موتتان وأما قول اهل النار (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) فتفسير هذه الآية التى فى البقرة وهى قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فكانوا امواتا وهم نطف فى اصلاب آبائهم وفى ارحام امهاتهم ثم احياهم بعد ذلك ثم اماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس فى ذلك اماتة ارواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ فى الصور لايلزم منه موتها ففى الحديث الصحيح ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادرى افاق قبلى ام جوزى بصعقة يوم الطور .

فهذا صعق فى موقف القيامة اذا جاءالله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الارض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة اخرى وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال ابو عبد الله القرطبى ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال وقد قال شيخنا احمد بن عمرو ظاهر حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هى بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضى ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى ممن لم يمت من الانبياء وهذا باطل (وقال) القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتستقل الاحاديث والآثار ورد عليه ابو العباس القرطبى فقال يرد هذا قوله فى الحديث الصحيح انه حين

يخرج من قبره يلقى موسى آخذ ابقائمة العرش قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع -

قال ابو عبدالله وقال شيخنا احمد بن عمر والذى يزيح هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء فى الدنيا واذا كان هذا فى الشهداء كان الانبياء بذلك احق وأولى مع انه قد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الارض لاتأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس وفى السماء وخصوصا بموسى وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام. الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الانبياء انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال فى الملائكة فانهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر انهم احياء فاذا نفخ فى الصور نفخة الصعق صعق كل من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فأما صعق غير الانبياء فموت وأما صعق الانبياء فالاظهر أنه غشية فاذا نفخ فى الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشى عليه افاق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث المتفق على صحته، فأكون اول من يفيق، فنبينا اول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الا موسى. فانه حصل فيه ترددهل بعث قبله من غشيته اوبقى على الحالة التى كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لأنه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى ولا يلزم من فضيلة واحدة افضليته على نبينا مطلقا لأن الشيء الجزئى لايوجب امراكليا، انتهى -

قال ابو عبد الله القرطبى ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وإن حمل على صعقة الموت عند النفخ فى الصور فيكون ذكر يوم القيامة يراد به اوائله فالمعنى اذا نفخ فى الصور نفخة البعث كنت اول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادرى افاق قبلى ام جوزى بصعقة الطور -

قلت وحمل الحديث على هذا لايصح لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ترددهل افاق موسى قبله ام لم يصعق بل جوزى بصعقة الطور فالمعنى لا ادرى أصعق ام لم يصعق، وقد قال فى الحديث فأكون اول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وآله وسلم يصعق فيمن يصعق وان الترددحصل فى موسى هل صعق وأفاق قبله من صعقته ام لم يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهى صعقة الموت لكان صلى الله عليه وآله وسلم قد جزم بموته وترددهل مات موسى ام لم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لاصعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان الارواح كلها تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على ان موت الخلائق عندالنفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ وأمامن ذاق الموت اومن لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت موتة ثانية والله اعلم۔

(فان قيل) فكيف تصنعون بقوله فى الحديث ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الارض فأجد موسى باطشا بقائمة العرش؟ قيل لاريب ان هذا اللفظ قدورد هكذا ومنه نشأ الاشكال ولكنه دخل فيه على الراوى حديث فى حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا۔

والحديثان هكذا (احدهما) ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون اول من يفيق۔ (والثانى) هكذا، انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة، ففى الترمذى وغيره من حديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الاتحت لوائى وأنا اول من تنشق عنه الارض ولافخر، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح۔
فدخل على الراوى هذا الحديث فى الحديث الآخر وكان شيخنا ابوالحجاج الحافظ (١) يقول ذلك۔

---

(١) هوجمال الدين المزى محدث الشام۔ مات ثانى عشر صفر سنة (٧٤٢) كذا تذكرة الحفاظ۔ ح۔

فان قيل فما تصنعون بقوله ، فلا ادرى افاق قبلى ام كان ممن استثنى الله عزوجل والذين استثناهم الله انما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة كما قال الله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض الا من شاء الله) ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة قيل هذا والله اعلم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله فلا ادرى افاق قبلى ام جوزى بصعقة الطور فظن بعض الرواة ان هذه الصعقة هى صعقة النفخة وان موسى داخل فيمن استثنى منها وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعا فان الافاقة حينئذ هى افاقة البعث فكيف يقول لا ادرى أبعث قبلى ام جوزى بصعقة الطور فتأمله ، وهذا بخلاف الصعقة التى يصعقها الخلائق يوم القيامة اذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم فانهم يصعقون جميعا ، وأما موسى صلى الله عليه وسلم فان كان لم يصعق معهم فيكون قدحوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلى عوضا من صعقة الخلائق لتجلى الرب يوم القيامة ، فتأمل هذا المعنى العظيم ، ولو لم يكن فى الجواب الا كشف هذا الحديث وشأنه لكان حقيقا ان يعض عليه بالنواجذ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق -

فصل

وأما المسئلة الخامسة وهى ان الارواح بعد مفارقة الابدان إذا تجردت بأى شىء يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى وهل تشكل اذا تجردت بشكل بدنها الذى كانت فيه وتلبس صورته ام كيف يكون حالها -

فهذه مسئلة لا تكاد تجد من تكلم فيها ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل ولا سيما على اصول من يقول بأنها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل و قدر ولا شخص فهذا السؤال على اصولهم مما لا جواب لهم عنه وكذلك من يقول هى عرض من اعراض البدن فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تميز لها بعد الموت بل لا وجود لها على اصولهم بل تعدم وتبطل

باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحى ولا يمكن جواب هذه المسئلة الاعلى اصول اهل السنة التى تظاهرت عليها ادلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل والقول انها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجئ وتتحرك وتسكن وعلى هذا اكثر من مائة دليل قد ذكرناها فى كتابنا الكبير فى معرفة الروح والنفس وبينا بطلان ماخالف هذا القول من وجوه كثيرة وان من قال غيره لم يعرف نفسه ـ

وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض والتوفى والرجوع وصعودها الى السماء وفتح ابوابها لها وغلقها عنها فقال تعالى (ولو ترى اذالظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم) وقال تعالى (ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد وقال تعالى (ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها) فأخبر أنه سوى النفس كما اخبر أنه سوى البدن فى قوله (الذى خلقك فسواك فعدلك) فهو سبحانه سوى نفس الانسان كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع لتسوية النفس والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له ـ

ومن ههنا يعلم انها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فانها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر ابدن وينتقل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه فاشد الاشياء ارتباطا وتناسبا وتفاعلا وتأثرا من احدهما بالآخر الروح والبدن ولهذا يقال لها عند المفارقة اخرجى ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب واخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ـ

وقال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فوصفها بالتوفى والامساك والارسال كما وصفها بالدخول والخروج والرجوع والتسوية ـ

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان بصر الميت يتبع نفسه اذا قبضت ـ وأخبر أن الملك يقبضها فتاخذها الملائكة من يده فيوجد لها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض اوكانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض ـ والاعراض لاريح لها ولا تمسك ولا تؤخذ من يد الى يد ـ

وأخبر أنها تصعد الى السماء ويصلى عليها كل ملك لله بين السماء والارض وانها تفتح لها ابواب السماء فتصعد من سماء الى سماء حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عزوجل فتوقف بين يديه ويأمر بكتابة اسمه فى ديوان اهل عليين اوديوان اهل سجين ثم ترد الى الارض وان روح الكافر تطرح طرحا وانها تدخل مع البدن فى قبره للسؤال ـ

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بان نسمة المؤمن وهى روحه طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يردها الله الى جسدها ـ

وأخبر أن ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وأخبر أن الروح تنعم وتعذب فى البرزخ الى يوم القيامة ـ

وقد أخبر سبحانه عن ارواح قوم فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا قبل يوم القيامة وقد أخبر سبحانه عن الشهداء بأنهم احياء عند ربهم يرزقون وهذه حياة ارواحهم ورزقها داروالا فالابدان قد تمزقت وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الحياة بان ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا ؟ قالوا اى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا نريد ان تردأرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى ـ

(وصح) عنه صلى الله عليه وآله وسلم ان اروح الشهداء فى طير خضر تعلق من ثمر الجنة وتعلق بضم اللام اى تأكل العلقة ـ

(وقال) ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اصيب اخوانكم

بأحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا اطيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) الآيات رواه الامام احمد وهذا صريح فى اكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها وسيأتى مزيد تقرير لذلك عن قريب ان شاء الله تعالى ـ

واذا كان هذا شان الارواح فتميزها بعد المفارقة يكون اظهر من تميز الابدان والاشتباه بينها ابعد من اشتباه الابدان فان الابدان تشتبه كثيرا واما الارواح فقل ما تشتبه ـ

يوضح هذا انا لم نشاهد أبدان الانبياء والصحابة والائمة وهم متميزون فى علمنا اظهر تميز وليس ذلك التميز راجعا الى مجرد ابدانهم وان ذكر لنا من صفات ابدانهم ما يختص به احدهم من الآخر بل التميز الذى عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات ارواحهم وما قام بها ، وتميز الروح عن الروح بصفاتها اعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته ، ألا ترى ان بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيرا وبين روحيهما اعظم التباين والتميز ، وأنت ترى اخوين شقيقين مشتبهين فى الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين ، فاذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما فى غاية الظهور ـ

واخبرك بأمر اذا تأملت احوال الأنفس والأبدان شاهدته عيانا قل ان ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعا إلا وجدته مركبا على نفس تشاكله وتناسبه وقل ان ترى آفة فى بدن الا وفى روح صاحبه آفة تناسبها ولهذا تأخذ اصحاب الفراسة احوال النفوس من اشكال الابدان واحوالها فقل ان تخطئ ذلك ـ

(ويحكى) عن الشافعى رحمه الله فى ذلك عجائب ـ

وقلّ ان ترى شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتياد ـ واذا كانت الارواح العلوية وهم الملائكة متميزا بعضهم عن بعض من غير اجسام تحملهم وكذلك الجن فتميز الارواح البشرية اولى ـ

فصل

(وأما المسئلة السادسة وهى ان الروح هل تعاد الى الميت فى قبره وقت السؤال ام لا)

فقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر هذه المسئلة وأغنانا عن اقوال الناس حيث صرح باعادة الروح اليه (فقال) البراء بن عازب كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو يلحد له فقال اعوذ بالله من عذاب القبر، ثلاث مرات ثم قال ان العبد اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التى كانوا يسمونه فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله تعالى فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى

بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك بهذا ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة قال فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرّك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له من انت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير فيقول انا عملك الصالح ، فيقول رب أقم الساعة حتى ارجع الى اهلى ومالى ، قال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب قال فتتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الريح الخبيث ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح اسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير اوتهوى به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا ادرى ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا ادرى فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من انت ؟ فوجهك الوجه

الذى يجىء بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة ، رواه الامام احمد وابوداود وروى النسائى وابن ماجه اوله و رواه ابوعوانة الاسفرائنى فى صحيحه -

وذهب الى القول بموجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث من سائر الطوائف -

وقال ابو محمد بن حزم فى كتاب الملل والنحل له وأما من ظن ان الميت يحيا فى قبره قبل يوم القيامة فخطأ ان الآيات التى ذكرناها تمنع من ذلك يعنى قوله تعالى (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيا فى قبره لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن الا من احياه الله تعالى آية لنبى من الانبياء ، كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ، والذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، ومن خصه نص ، وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فصح بنص القرآن ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى جسده الا الى الاجل المسمى وهو يوم القيامة ، وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه رأى الارواح ليلة اسرى به عندسماء الدنيا من عن يمين آدم ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاوة ، واخبر يوم بدر اذ خاطب الموتى انهم قدسمعوا قوله قبل ان تكون لهم قبور ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا ، وأعلم انهم سامعون قوله مع ذلك ، فصح ان الخطاب والسماع لأرواحهم فقط بلاشك ، وأما الجسد فلاحس له وقد قال تعالى (وما انت بمسمع من فى القبور) فنفى السمع عمن فى القبور وهى الاجساد بلاشك ولا يشك مسلم ان الذى نفى الله عزوجل عنه السمع هو غير الذى اثبت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السمع -

قال ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسئلة ولو صح ذلك عنه لقلنا به قال وانما تفرد بهذه الزيادة من رد الارواح فى القبور الى الاجساد المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوى تركه شعبة وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبى وهو احد الائمة ماجازت للمنهال بن عمرو قط شهادة فى الاسلام على ماقد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك ـ

قال وهذا الذى قلنا هو الذى صح ايضا عن الصحابة ـ

ثم ذكر من طريق ابن عيينة عن منصور بن صفية عن امه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فأبصر ابن الزبير مطروحا قبل ان يقبر فقيل له هذه اسماء بنت ابى بكر الصديق فمال ابن عمر اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشىء وان الارواح عند الله فقالت امه وما يمنعنى وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل ـ

(قلت) ما ذكره ابو محمد فيه حق وباطل اما قوله من ظن ان الميت يحيا فى قبره فخطأ فهذا فيه اجمال ان اراد به الحياة المعهودة فى الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص ـ

وان اراد به حياة اخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة فى الدنيا ليسأل ويمتحن فى قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله صلى الله عليه و آله وسلم فتعاد روحه فى جسده، وسنذكر الجواب عن تضعيفه للحديث ان شاء الله تعالى ـ

وأما استدلاله بقوله تعالى (قالوا ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فلا ينفى ثبوت هذه الاعادة العارضة للروح فى الجسد كما ان قتيل بنى اسرائيل الذى احياه الله بعد قتله ثم اماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمسئلة معتدا بها فانه حيى لحظة بحيث قال فلان قتلنى ثم خرّ ميتا على ان قوله ثم تعاد روحه فى جسده

لايدل

لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق۔

وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الاحكام (احدها) تعلقها به فى بطن الام جنينا (الثانى) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع) تعلقها به فى البرزخ فانها وإن فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة وقد ذكرنا فى اول الجواب من الاحاديث والآثار مايدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا۔

وأما قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فامساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لاينافى ردها الى جسدها الميت فى وقت ما رداعارضا لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا۔

واذا كان النائم روحه فى جسده وهو حى وحياته غير حياة المستيقظ فان النوم شقيق الموت فهكذا الميت اذا اعيدت روحه الى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه الى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت فتأمل هذا يزيح عنك اشكالات كثيرة۔

وأما اخبار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن رؤية الانبياء ليلة اسرى به فقد زعم بعض اهل الحديث ان الذى رآه اشباحهم وأرواحهم قال فانهم احياء عند ربهم، وقد رأى ابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور، ورأى موسى قائما فى قبره يصلى، وقد نعت الانبياء لما رآهم نعت الاشباح فرأى موسى آدما ضربا طوالا كأنه من رجال شنوءة، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما اخرج من ديماس،

ورأى ابراهيم فشبهه بنفسه ـ

ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا هذه الرؤية انما هى لأرواحهم دون اجسادهم والاجساد فى الارض قطعا انما تبعث يوم بعث الاجساد ولم تبعث قبل ذلك اذلو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الارض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعا ولو كانت قد بعثت الاجساد من القبور لم يعدهم الله اليها بل كانت فى الجنة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم الجنة على الانبياء حتى يدخلها هو وهو اول من يستفتح باب الجنة وهو اول من تنشق عنه الارض على الاطلاق لم تنشق عن احد قبله ـ

ومعلوم بالضرورة ان جسده صلى الله عليه وآله وسلم فى الارض طرى مطرا وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء

ولولم يكن جسده فى ضريحه لما اجاب بهذا الجواب ـ

وقدصح عنه ان الله وكّل بقبره ملائكة يبلغونه عن امته السلام ـ

وصح عنه انه خرج بين ابى بكر وعمر وقال هكذا نبعث ـ

هذا مع القطع بأن روحه الكريمة فى الرفيق الاعلى فى اعلى عليين مع ارواح الانبياء ـ

وقد صح عنه انه رأى موسى قائما يصلى فى قبره ليلة الاسراء ورآه فى السماء السادسة او السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر واشراف عليه وتعلق به بحيث يصلى فى قبره ويرد سلام من سلم عليه وهى فى الرفيق الاعلى ـ

ولاتنافى بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وأنت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين فى غاية التجاور والقرب وان كان بينهما بعد المشرقين وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وإن كان جسداهما

متجاورين متلاصقين -

وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن فانها تصعد الى مافوق السموات ثم تهبط الى الارض ما بين قبضها ووضع الميت فى قبره وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل فى مثله وكذلك صعودها وعودها الى البدن فى النوم واليقظة وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فانها فى السماء وشعاعها فى الارض ، قال شيخنا وليس هذا مثلا مطابقا فان نفس الشمس لاتنزل من السماء والشعاع الذى على الارض ليس هو الشمس ولاصفتها بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل وأماقول الصحابة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قتلى بدر كيف تخاطب اقواما قد جيفوا مع اخباره بسماعهم كلامه فلا ينفى ذلك رد ارواحهم الى اجسادهم ذلك الوقت ردا يسمعون به خطابه والاجساد قد جيفت فالخطاب للارواح المتعلقة بتلك الاجساد التى قد فسدت -

وأماقوله تعالى (وما انت بمسمع من فى القبور) فسياق الآية يدل على ان المراد منها ان الكافر الميت القلب لاتقدر على اسماعه اسماعا ينتفع به كما ان من فى القبور لا تقدر على اسماعهم اسماعا ينتفعون به ولم يرد سبحانه ان اصحاب القبور لا يسمعون شيئا البتة كيف وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم انهم يسمعون خفق نعال المشيعين وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذى يسمع وأخبر أن من سلم على اخيه المؤمن رد عليه السلام -

هذه الآية نظير قوله (انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذاولوا مدبرين) وقد يقال نفى اسماع الصم مع نفى اسماع الموتى يدل على ان المراد عدم اهلية كل منهما للسماع وان قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان اسماعها ممتنعا بمنزلة خطاب الميت والاصم وهذا حق ولكن لاينفى اسماع الارواح بعد الموت اسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالابدان فى وقت ما فهذا غير الاسماع

المنفى والله اعلم وحقيقة المعنى انك لاتستطيع ان تسمع من لم يشأ الله ان يسمعه ان انت الا نذير اى انما جعل الله لك الاستطاعة على الانذار الذى كلفك اياه لاعلى اسماع من لم يشأ الله اسماعه ۔

وأما قوله ان الحديث لايصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوى۔ فهذا من مجازفته رحمه الله فالحديث صحيح لاشك فيه وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان منهم عدى بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد ۔

(قال) الحافظ ابوعبدالله بن منده فى (كتاب الروح والنفس) اخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ثنا محمد بن اسحاق الصفار انا ابوالنضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلسنا وجلس كأن على اكتافنا فلق الصخر وعلى رؤسنا الطير فأرم قليلا، والارمام السكوت، فلما رفع رأسه قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى رحمة الله ورضوانه فتنسل (١) نفسه كما تقطر القطرة من السقاء فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فتفتح له السماء ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربو كل سماء فاذا انتهى الى العرش كتب كتابه فى عليين ويقول الرب عزوجل ردوا عبدى الى مضجعه فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فيرد الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الارض بأنيابهما ويفحصان الارض بأشعارهما فيجلسانه ثم يقال له ياهذا من ربك؟ فيقول ربى الله، فيقولان صدقت، ثم يقال له مادينك؟ فيقول دينى الاسلام، فيقولان صدقت، ثم يقال له من نبيك؟ فيقول محمد رسول الله، فيقولان صدقت،

---

(١) الظاهر، فتسيل – ح

يفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول جزاك الله خيرا فوالله ما علمت ان كنت لسريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فيقول وأنت فجزاك الله خيرا فمن انت؟ فقال انا عملك الصالح ، ثم يفتح له باب الى الجنة فينظر الى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة ، وإن الكافر اذا كان فى دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من النار وحنوط من نار قال فيجلسون منه مدّ بصره وجاء ملك الموت فيجلس عند رأسه ثم قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى غضب الله وسخطه فتفرق روحه فى جسده كراهية ان تخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من الصوف المبلول فاذا اخرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فتغلق دونه فيقول الرب عزوجل ردوا عبدى الى مضجعه فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فترد روحه الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الارض بأنيابهما ويفحصان الارض بأشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان يا هذا من ربك؟ فيقول لا ادرى ، فينادى من جانب القبر لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول جزاك الله شرا فوالله ما علمت ان كنت لبطيئا عن طاعة الله سريعا فى معصية الله فيقول ومن انت؟ فيقول انا عملك الخبيث ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة رواه الامام احمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن ابى النضر -

ففيه ان الارواح تعاد الى القبر وأن الملكين يجلسان الميت ويستنطقانه -

(ثم ساقه) ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن البراء بن عازب قال كنا فى جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانتهينا الى القبر ولم يلحد ووضعت الجنازة وجلس رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان المؤمن اذا احتضر أتاه ملك الموت فى احسن صورة وأطيبه ريحا (١) فجلس عنده لقبض روحه وأتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا منه على بعيد فاستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا صارت الى ملك الموت ابتدرها الملكان فأخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا به الى الجنة فتفتح له ابواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التى فتحت لها ابواب السماء ؟ ويسمى بأحسن الاسماء التى كان يسمى بها فى الدنيا ، فيقال هذه روح فلان فاذا صعد بها الى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يدى الله عند العرش فيخرج عملها من عليين فيقول الله عز وجل للمقربين اشهدوا انى قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد فى عليين فيقول الله عز وجل ردوا روح عبدى الى الارض فانى وعدتهم انى اردهم فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) فاذا وضع المؤمن فى قبره فتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر الى ما اعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عد رأسه الى النار فيقال له انظر ماصرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شىء احب اليه من قيام الساعة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وضع المؤمن فى لحده تقول له الارض ان كنت لحبيبا الىّ وأنت على ظهرى فكيف اذا صرت اليوم فى بطنى سأريك ما اصنع بك فيفسح له فى قبره مد بصره ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وضع الكافر فى قبره اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول لا ادرى فيقولان له لا دريت فيضربانه ضربة فيصير رمادا ثم يعاد فيجلس فيقال له ما قولك فى هذا الرجل ؟ فيقول اى رجل ؟ فيقولان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول قال الناس انه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيضربانه ضربة فيصير رمادا -

هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم احدا من

---

(١) كذا فى الاصل - ولعله - وأطيبها ريحا - ح -

ائمة الحديث طعن فيه بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه اصلا من اصول الدين فى عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الارواح وصعودها الى بين يدى الله ثم رجوعها الى القبر وقول ابى محمد لم يروه غير زاذان فوهم منه بل رواه عن البراء غير زاذان ورواه عنه عدى بن ثابت ومجاهد ابن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد جمع الدارقطنى طرقه فى مصنف مفرد، وزاذان من الثقات روى عن اكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم فى صحيحه قال يحيى بن معين ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه هو ثقة لاتسأل عن مثل هؤلاء وقال ابن عدى احاديثه لابأس بها اذاروى عن ثقة -

وقوله ان المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهى قوله فتعاد روحه فى جسده وضعفه، فالمنهال احد الثقات العدول، قال ابن معين المنهال ثقة وقال العجلى كوفى ثقة، وأعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء وهذا لايوجب القدح فى روايته واطراح حديثه وتضعيف ابن حزم له لا شىء فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه فى جسده وقدبينا انه لم يتفرد بها بل قدرواها غيره قد روى ماهو ابلغ منها اونظيرها كقوله فترد اليه روحه. وقوله فتصير الى قبره فيستوى جالسا، وقوله فيجلسانه، وقوله فيجلس فى قبره، وكلها احاديث صحاح لامغمز فيها. وقد أعلّ غيره بأن زاذان لم يسمعه من البراء وهذه العلة باطلة فان اباعوانة الاسفرائينى رواه فى صحيحه باسناده وقال عن ابى عمرو زاذان الكندى قال سمعت البراء بن عازب، وقال الحافظ ابو عبدالله بن منده هذا اسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء -

ولو نزلنا عن حديث البراء فسائر الاحاديث الصحيحة صريحة فى ذلك مثل حديث ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجى ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقول ذلك حتى

تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقولون فلان (١) فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عز وجل ، واذا كان الرجل السوء قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله ازواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقولون فلان ، فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانها لن تفتح لك ابواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا معوق ثم يقال فما كنت تقول فى الاسلام ماهذا الرجل ؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فآمنا وصدقنا - وذكر تمام الحديث -

قال الحافظ ابو نعيم هذا حديث متفق على عدالة ناقليه اتفق الامامان محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج على ابن ابى ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد ابن يسار وهم من شرطهما ، ورواه المتقدمون الكبار عن ابن ابى ذئب مثل ابن ابى فديك وعبدالرحيم بن ابراهيم ، انتهى ، ورواه عن ابن ابى ذئب غير واحد -

(وقد احتج) ابو عبد الله بن منده على اعادة الروح الى البدن بأن قال حدثنا محمد ابن الحسين بن الحسن ثنا محمد بن يزيد النيسابورى ثنا حماد بن قيراط ثنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبدالرحمن الصائغ البلخى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس انه قال بينما رسول الله صلى عليه وآله وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الآية (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم) الآية قال والذى نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار ، ثم قال فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر اليهم ما ترى غيرهم وإن كنتم ترون انهم -

---

(١) فى نسخه - فلان بن فلان -

ينظرون (١) اليكم مع كل منهم اكفان وحنوط فان كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجى ايتها النفس الطيبة الى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ماهو خير من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فلهم ألطف وأرأف من الوالدة بولدها ثم يسلّون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه وكنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه قال فلهى اشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرها كل ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو أشد لزوما لها من المرأة اذا ولدتها ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالروح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وعلى جسد خرجت منه قال فيصعدون بها ولله عز وجل خلق فى الهواء لا يعلم عدتهم الا هو فيفوح لهم منها ريح اطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون ويفتح لهم ابواب السماء فيصلى عليها كل ملك فى كل سماء قربهم حتى ينتهى بها بين يدى الملك الجبار فيقول الجبار جل جلاله مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الرب عز وجل للشىء مرحبا رحب له كل شىء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة أدخلوها الجنة وأروها مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فانى قضيت انى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فوالذى نفس محمد بيده لهى اشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول اين تذهبون بى الى ذلك الجسد الذى كنت فيه ؟ قال فيقولون انا مأمورون بهذا فلابد لك منه فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله وأكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه ـ

فدل هذا الحديث ان الروح تعاد بين الجسد والاكفان وهذا عود غير التعلق

---

(١) هكذا فى المنقول عنه ـ والظاهر ـ انه ينظر اليكم ـ ح

الذى كان لها فى الدنيا بالبدن وهو نوع آخر وغير تعلقها به حال النوم وغير تعلقها به وهى فى مقرها بل هو عود خاص للمساءلة ـ

قال شيخ الاسلام الاحاديث الصحيحة المواترة تدل على عود الروح الى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلاروح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط والاحاديث الصحيحة ترده ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص ـ

وهذا يتضح بجواب المسئلة

وهى قول السائل هل عذاب القبر على النفس والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس فى النعيم والعذاب ام لا؟ ـ وقد سئل شيخ الاسلام عن هذه المسئلة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال «بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما فى هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن. وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام، وفى المسئلة اقوال شاذة ليست من اقوال اهل السنة والحديث، قول من يقول ان النعيم والعذاب لايكون الاعلى الروح وأن البدن لاينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ويقوله كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرّون بمعاد الابدان لكن يقولون لايكون ذلك فى البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن فى البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هى المنعمة او المعذبة فى البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من اهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة فهذا القول ليس

من الا قوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم فى عذاب القبر ثلاثة اقوال ، احدها ، انه على الروح فقط ، الثانى ، انه عليها وعلى البدن بواسطتها ، الثالث ، انه على البدن فقط وقد يضم الى ذلك القول الثانى وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هى الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الا قوال الشاذة ثلاثة فالقول الثانى الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لاتنعم ولاتعذب وإنما الروح هى الحياة وهذا يقوله طوائف من اهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضى ابى بكر وغيره وينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا قول باطل وقد خالف اصحابه ابو المعالى الجوينى وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة ان الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة او معذبة والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة ابعد عن اقوال اهل الاسلام وان كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الاسلام بل من يظن انه من اهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام -

والقول الثالث الشاذ قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم ولاعذاب بل لايكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لاتبقى بعد فراق البدن وأن البدن لاينعم ولايعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال فى امر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فانهم مقرون بالقيامة الكبرى -

فصل

فاذا عرفت هذه الاقوال الباطلة فلتعلم ان مذهب سلف الامة وأئمتها ان الميت اذا مات يكون فى نعيم اوعذاب وان ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى

بعد مفارقة البدن منعمة اومعذبة وأنها تتصل بالبدن احيانا ويحصل له معها النعيم اوالعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ـ

فصل

ونحن نثبت ماذكرناه فأما احاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى الصحيحين عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان فى كبير أما احدهما فكان لايستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا ـ

(وفى صحيح مسلم) عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلته ونحن معه اذحادت به فكادت تلقيه فاذا أقبر ستة اوخمسة اوأربعة فقال من يعرف اصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل انا ، قال فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا فى الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى اسمع منه ثم اقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا نعوذ بالله من عذاب النار ، قال تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها ومابطن ، قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منهاوما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال ـ

(وفى صحيح مسلم) وجميع السنن عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع ، من عذاب جنهم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ـ

(وفى صحيح مسلم) ايضا وغيره عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن ، اللهم انى اعوذبك من

عذاب جهنم وأعوذبك من عذاب القبر وأعوذبك من فتنة المحيا والممات وأعوذبك من فتنة المسيح الدجال ـ

(وفى الصحيحين) عن ابى ايوب قال خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب فى قبورها ـ

(وفى الصحيحين) عن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت علىّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت ان اهل القبور يعذبون فى قبورهم، قالت فكذبتها ولم انعم ان اصدقها قالت فخرجت ودخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ان عجوزا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت ان اهل القبور يعذبون فى قبورهم قال صدقت انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد فى صلاة الا يتعوذ من عذاب القبر ـ

(وفى صحيح ابن حبان) عن ام مبشر قالت دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب ؟ قال انهم ليعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم ـ

قال بعض اهل العلم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم اذا مغلت الى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالاسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بنى عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام فان اصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى قال فاذا سمعت الخيل عذاب القبر احدث لها ذلك فزعا وحرارة تذهب بالمغل ـ

(وقد قال) عبدالحق الاشبيلى حدثنى الفقيه ابوالحكم بن برخان وكان من اهل العلم والعمل انهم دفنوا ميتا بقريتهم فى شرف اشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا بالدابة قد أقبلت مسرعة الى القبر فجعلت اذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت اذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى ـ

قال ابوالحكم فذكرت عذاب القبر وقول النبى صلى الله عليه وسلم انهم ليعذبون

عذابا تسمعه البهائم ـ

ذكر لنا هذه الحكاية ونحن نسمع عليه كتاب مسلم لما انتهى القارئ الى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم ـ

وهذا السماع واقع على اصوات المعذبين (قال) هناد بن السرى فى كتاب الزهد حدثنا وكيع من الاعمش عن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على فذكرت ذلك له فقال والذى نفسى بيده انهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم اصواتهم ـ

(قلت) وأحاديث المسئلة فى القبر كثيرة كما فى الصحيحين والسنن عن البراء ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال المسلم اذا سئل فى قبره فشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول لله فذلك قول الله (يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وفى لفظ نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك؟ فيقول الله ربى ومحمد نبيى فذلك قول الله (يثبّت الله الذين آمنو بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) ـ

وهذا الحديث قدرواه اهل السنن والمسانيد مطولا كما تقدم ـ

وقد صرح فى هذا الحديث باعادة الروح الى البدن وباختلاف اضلاعه وهذا بين فى ان العذاب على الروح والبدن مجتمعين ـ

وقد روى مثل حديث البراء قبض الروح والمسئلة والنعيم والعذاب ابو هريرة (وحديثه) فى المسند وصحيح ابى حاتم ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الميت اذا وضع فى قبره انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عندرجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن

من

يساره فتقول الزكاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان ما قبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أخذت للغروب فيقال له هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول دعونى حتى اصلى فيقولون انك ستصلى اخبرنا عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه وما تشهد عليه ؟ فيقول محمد ، أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عندالله ، فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقال له هذا مقعدك وما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته فى النسم الطيب وهى طير معلق فى شجر الجنة قال فذلك قول الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وذكر فى الكافر ضد ذلك الى ان قال ثم يضيق عليه فى قبره الى ان تختلف فيه اضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى (فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى) -

(وفى الصحيحين) من حديث قتادة عن انس ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الميت اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع خفق نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن فيقول اشهد أنه عبدالله ورسوله ، قال فيقول انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيراهما جميعا ، قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا يملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون ، ثم رجع الى حديث انس قال فأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس ، فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين -

(وفى صحيح ابى حاتم) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اذا قبر احدكم اوالانسان اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ؟ (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو قائل ما كان يقول فان كان مؤمنا قال هو عبدالله ورسوله أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان له إن كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فيه ويقال له نم فيقول أرجع الى اهلى ومالى فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال لا ادرى كنت اسمع الناس يقولون شيئا فكنت اقوله فيقولان له كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلايزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وهذا صريح فى ان البدن يعذب ـ

(وعن ابى هريرة) ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا احتضر المؤمن اتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى ايتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما اطيب هذه الريح التى جاءتكم من الارض! فيأتون به ارواح المؤمنين فلهم اشد فرحا به من احدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ قال فيقولون دعوه يستريح فانه كان فى غم الدنيا فاذا قال اتاكم فيقولون انه ذهب به الى امه الهاوية ، وإن الكافر اذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى مسخوطا عليك الى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الارض فيقولون ما انتن هذه الروح (١) حتى يأتوا به ارواح الكفار ، رواه النسائى والبزار ومسلم مختصرا ـ

(وأخرجه ابو حاتم فى صحيحه) وقال ان المؤمن اذا حضره الموت حضرته ملائكة الرحمة فاذا قبض جعلت روحه فى حريرة بيضاء فينطلق بها الى باب السماء فيقولون ما وجدنا ريحا اطيب من هذه فيقال ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقال دعوه يستريح فانه كان فى غم الدنيا وأما الكافر اذا قبضت نفسه ذهب بها

---

(١) الريح ـ هكذا فى سنن النسائى ـ

الى الارض فتقول خزنة الارض ما وجدنا ريحا انتن من هذه! فيبلغ بها الى الارض السفلى ـ

(وروى النسائى فى سننه) من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا الذى تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهد له سبعون الفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه ، قال النسائى يعنى سعد بن معاذ ـ

(وروى) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقبر ضغطة لو نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ ، رواه من حديث شعبة ـ

(وقال) هناد بن السرى ثنا محمد بن فضيل عن ابيه عن ابن ابى مليكة قال ما اجير من ضغطة القبر احد ولا سعد بن معاذ الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها ـ

(قال) وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال لقد بلغنى انه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون الف ملك لم ينزلوا الى الارض قط ، ولقد بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة ـ

(وقال) على بن معبد ثنا عبيدالله عن زيد بن ابى انيسة عن جابر عن نافع قال اتينا صفية بنت ابى عبيد امرأة عبدالله بن عمر وهى فزعة فقلنا ماشأنك ؟ فقالت جئت من عند بعض نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت فحدثتنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان كنت لأرى لو أن احدا اعفى من عذاب القبر لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة (وحدثنا) مروان بن معاوية عن العلاء ابن المسيب عن معاوية العبسى عن زاذان بن عمرو (١) قال لما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فجلس عند القبر فتربد وجهه ثم سرى عنه فقال له اصحابه رأينا وجهك آنفا ثم سرى عنك فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت ابنتى

---

(١) هكذا فى الاصل ولعله ـ عن زاذان عن عمر او ابن عمر ـ ح ـ

وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله نفرج عنها وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين (وحدثنا) شعيب عن ابن دينار عن ابراهيم الغنوى عن رجل قال كنت عند عائشة رضى الله عنها فمرت جنازة صبى صغير فبكت فقلت لها ما يبكيك يا ام المؤمنين؟ فقالت هذا الصبى بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر ـ

ومعلوم ان هذا كله للجسد بواسطة الروح ـ

فصل

وهذا كما انه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة ۔ قال المروزى قال ابو عبدالله عذاب القبر حق لاينكره الاضال مضل ۔ وقال حنبل قلت لأبى عبدالله فى عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقرّ بها، كلما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اسناد جيد اقررنا به، اذا لم نقرّ بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله امره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) قلت له وعذاب القبر حق؟ قال حق يعذبون فى القبور ۔ قال وسمعت ابا عبدالله يقول نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يسأل فى قبره (فيثبتّ الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فى القبر ـ

وقال احمد بن القاسم قلت يا ابا عبدالله تقرّ بمنكر ونكير وما يروى فى عذاب القبر؟ فقال سبحان الله نعم نقر بذلك ونقوله، قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا او تقول ملكين؟ قال منكر ونكير، قلت يقولون ليس فى حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعنى انهما منكر ونكير ـ

وأما اقوال اهل البدع والضلال فقال ابو الهذيل والمريسى من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين، والمسئلة فى القبر انما تقع فى ذلك الوقت ـ

وأثبت الجبائى وابنه والبلخى عذاب القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على اصولهم ـ

وقال كثير من المعتزلة لايجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقريع الملكين له -

وقال الصالحى وصالح قبة عذاب القبر يجرى على المؤمن من غير رد الارواح الى الاجساد والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح ، و هذا قول جماعة من الكرامية -

وقال بعض المعتزلة ان الله سبحانه يعذب الموتى فى قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لايشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قالوا وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام فاذا عاد عليهم العقل احسوا بألم الضرب -

وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسا مثل ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل ، وهو قول المريسى ، فهذه اقوال اهل الحيرة والضلالة -

فصل

ومما ينبغى ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أولم يقبر فلوأكلته السباع اوأحرق حتى صار رمادا ونسف فى الهواء اوصلب اوغرق فى البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى القبور -

(وفى صحيح البخارى) عن سمرة بن جندب قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال فان رأى احد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى احد منكم رؤيا؟ قلنا لا، قال لكنى رأيت الليلة رجلين اتيانى فأخذا بيدى وأخرجانى الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة اوفهر فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده

الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه، قلت ما هـذا؟ قالا انطلق فانطلقنا الى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فاذا خمدت رجعوا، فقلت ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فاذا اراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان فقلت ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى اصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دار الم ار قط احسن منها فيها شيوخ وشبان ثم صعدابى فأدخلانى دارا هى احسن وأفضل، قلت طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت قالا نعم الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة، والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به الى يوم القيامة، وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة، والذى رأيته فى النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذى فى اصل الشجرة فابراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذى يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الاولى دار عامة المؤمنين، وأما هـذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبرئيل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا قصر مثل السحابة قالا ذلك منزلك، قلت دعانى ادخل منزلى قالا انه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته اتيت منزلك -

وهذا نص فى عذاب البرزخ فان رؤيا الانبياء وحى مطابق لما فى نفس الامر - (وقد ذكر) الطحاوى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال امر بعبد من عباد الله ان يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على ما جلدتمونى؟ قالوا انك

صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره -

(وذكر البيهقى) حديث الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الآية (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) الا انه قال اتى بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى اقصى بصره فسار وسار معه جبريل فاتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبرئيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة (وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء من ذلك قال ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة ، قال ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم من قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا ياكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتى المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ، ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شىء الا قصفته (١) يقول الله تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا رجل من امتك عليه امانة لايستطيع اداءها وهو يزيد عليها ، ثم اتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء قال ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم اتى على جحر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال ماهذا

---

(١) سقط هنا شىء - وفى الخصائص - لايمر بها ثوب الا شقته ولاشىء الا خرقته قال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق

يا جبريل ؟ قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع وذكر الحديث ـ

وذكر البيهقى ايضا فى حديث الاسراء من رواية ابى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فصعدت انا وجبريل فاستفتح جبريل فاذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ، ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ، ثم مضيت هنية فاذا انا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها احد وإذا بأخونة اخرى عليها لحم قد أروح ونتن وعندها ناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام ، قال ثم مضيت هنية فاذا انا بأقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطأهم فيصيحون قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء (الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) قال ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم مشافرهم كمشافر الابل فتفتح افواههم فيلقمون الجمر ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يصيحون قلت من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ، ثم مضيت هنية فاذا انا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزوانى ، ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم اخيك قلت من هؤلاء؟ قال الهمازون من امتك ـ وذكر الحديث بطوله ـ

وفى سنن ابى داود من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم ـ

وقال ابو داود الطيالسى فى مسنده ، حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن

عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتى على قبرين فقال انهما ليعذبان فى غير كبير أما احدهما فكان يأكل لحوم الناس وأما الآخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فوضع نصفها على هذا القبر ونصفها على هذا القبر وقال عسى ان يخفف عنهما ما دامتا رطبتين ۔

وقد اختلف الناس فى هذين هل كانا كافرين او مؤمنين؟ فقيل كانا كافرين وقوله وما يعذبان فى كبير يعنى بالاضافة الى الكفر والشرك قالوا ويدل عليه ان العذاب لم يرتفع عنهما وإنما خفف، وايضا فانه خفف مدة رطوبة الجريدة فقط، وايضا فانهما لو كانا مؤمنين اشفع فيهما ودعا لهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرفع عنهما بشفاعته، وايضا ففى بعض طرق الحديث انهما كانا كافرين وهذا التعذيب زيادة على تعذيبهما بكفرهما وخطاياهما وهو دليل على ان الكافر يعذب بكفره وذنوبه جميعا ۔ وهذا اختيار ابى الحكم بن برخان ۔

وقيل كانا مسلمين لنفيه صلى الله عليه وآله وسلم التعذيب بسبب غير السببين المذكورين ولقوله وما يعذبان فى كبير والكفر والشرك اكبر الكبائر على الاطلاق ولا يلزم ان يشفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسلم يعذب فى قبره على جريمة من الجرائم فقد أخبر عن صاحب الشملة الذى قتل فى الجهاد ان الشملة تشتعل عليه نارا فى قبره وكان مسلما مجاهدا ولا يعلم ثبوت هذه اللفظة وهى قوله كانا كافرين ولعلها لو صحت وكلا فهى من قول بعض الرواة، والله اعلم۔ وهذا اختيار ابى عبدالله القرطبى ۔

فصل

وأما المسئلة السابعة وهى قول السائل ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه ۔

قالوا فانا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانا تأجج ولو كشفنا حاله فى

حالة من الاحوال اوجدناه لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله وكيف يفسح مد بصره او يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التى تؤنسه او توحشه ؟ قال اخوانهم من اهل البدع والضلال وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة قائله قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لايسأل ولايجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت اجزاؤه فى اجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف تسأل اجزاؤه مع تفرقها وكيف يتصور مسئلة الملكين لمن هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النار وكيف يضيق عليه حتى تلتئمه اضلاعه؟ ونحن نذكر امورا يعلم بها الجواب ـ

فصل

(الامر الاول) ان يعلم ان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته بل اخبارهم قسمان (احدهما ماتشهد به العقول والفطر (الثانى) مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التى اخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالا فى العقول اصلا وكل خبر يظن ان العقل يحيله فلايخلو من احد امرين ، اما ان يكون الخبر كذبا عليهم او يكون ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها انها معقول صريح قال تعالى (ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) وقال تعالى (أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) والنفوس لا تفرح بالمحال، وقال تعالى (يا ايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) والمحال لايشفى ولايحصل به

هدى ولا يفرح به ـ فهذا امر من لم يستقر فى قلبه خير ولم يثبت له على الإسلام قدم وكان احسن احواله الحيرة والشك .

فصل

(الامر الثانى) ان يفهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .

وقد حصل باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب مالا يعلمه الا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله اصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الاسلام بل هو اصل كل خطأ فى الاصول والفروع ولاسيما إن اضيف اليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم فى بعض الاشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله والله المستعان .

وهل اوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف اهل البدع الا سوء الفهم عن الله ورسوله حتى صار الدين بأيدى اكثر الناس هو موجب هذه الافهام، والذى فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت اليه ولا يرفع هؤلاء به رأسا ، ولكثرة امثلة هذه القاعدة تركناها فانا لو ذكرناها لزادت على عشرة الوف حتى انك لتمر على الكتاب من اوله الى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغى فى موضع واحد ـ وهذا انما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ماجاء به الرسول وأما من عكس الامر بعرض ماجاء به الرسول على ما اعتقده وانتحله وقلد فيه من احسن به الظن فليس يجدى الكلام معه شيئا فدعه وما اختاره لنفسه وولّه ماتولى واحمد الذى عافاك مما ابتلاه به .

فصل

(الامر الثالث) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثا ، دار الدنيا، ودار البرزخ ، ودار

القرار، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل احكام دار الدنيا على الابدان والارواح تبعالها ولهذا جعل احكامه الشرعية مرتبة على يظهر ما من حركات اللسان والجوارح وإن اضمرت النفوس خلافه، وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان تبعالها فكما تبعت الارواح الابدان فى احكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هى التى باشرت اسباب النعيم والعذاب تبعت الابدان الارواح فى نعيمها وعذابها والارواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم فالابدان هنا ظاهرة والارواح خفية والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان خفية فى قبورها تجرى احكام البرزخ على الارواح فتسرى الى ابدانها نعيما اوعذابا كما تجرى احكام الدنيا على الابدان فتسرى الى ارواحها نعيما اوعذابا فأحط بهذا الموضع علما واعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك انموذجا فى الدنيا من حال النائم فان ماينعم به او يعذب فى نومه يجرى على روحه اصلا والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر فى البدن تأثيرا مشاهدا فيرى النائم فى نومه انه ضرب فيصبح وأثر الضرب فى جسمه، ويرى انه قد اكل اوشرب فيستيقظ وهو يجد اثر الطعام والشراب فى فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك انك ترى النائم يقوم فى نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهونائم لاشعور له بشىء من ذلك، وذلك ان الحكم لماجرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولودخلت فيه لاستيقظ وأحس فاذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك الى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا فى البرزخ بل اعظم فان تجرد الروح هنالك اكمل وأقوى وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الارواح والاجساد ظاهرا باديا اصلا.

ومتى اعطيت هذا الموضع حقه تبين لك ان ما اخبر به الرسول من عذاب القبر

ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أوروضة من رياض الجنة مطابق للعقل وإنه حق لامرية فيه وان من اشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه اتى كما قيل ٠

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك انك تجد النائمين فى فراش واحد وهذا روحه فى النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه ، وهذا روحه فى العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه وليس عند احدهما خبر بما عند الآخر فأمر البرزخ اعجب من ذلك.

فصل

(الامر الرابع) ان الله سبحانه جعل امر الآخرة يوم كان متصلا بها غيبا وحجبها عن ادراك المكلفين فى هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك ان الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الاكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته وتارة بقلبه حيث لايتمكن من نطق ولا اشارة ٠

(وقد سمع) بعض المحتضرين يقول اهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه ٠

(وأخبرنى) شيخنا عن بعض المحتضرين فلا ادرى أشاهده او أخبر عنه انه سمع وهو يقول عليك السلام هاهنا فاجلس ، وعليك السلام ها هنا فاجلس ٠

(وقصة) خير النساج رحمه الله مشهورة حيث قال عند الموت اصبر عافاك الله فان ما امرت به لا يفوت وما امرت به يفوت ثم استدعى بماء فتوضأ وصلى ثم قال امض لما امرت به ومات ٠

(وذكر) ابن ابى الدنيا ان عمر بن عبد العزيز لما كان فى يوم الذى مات فيه قال أجلسونى فأجلسوه فقال ، انا الذى امرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ، ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقالوا انك لتنظر نظرا شديدا ياامير المؤمنين فقال انى لأرى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض -

(وقال) مسلمة بن عبدالملك لما احتضر عمر بن عبدالعزيز كنا عنده فى قبة فأومى الينا ان اخرجوا فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقى عنده وصيف فسمعناه يقرأ هذه الآية (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للتقين) ما انتم بانس ولا جان ثم خرج الوصيف فأومى الينا ان ادخلوا فدخلنا فاذا هو قد قبض .

(وقال) فضالة بن دينار حضرت محمد بن واسع وقد سجى للموت فجعل يقول مرحبا بملائكة ربى ولا حول ولا قوة الا بالله، وشممت رائحة طيب لم اشم قط اطيب منها ثم شخص ببصره فمات .

والآثار فى ذلك اكثر من ان تحصر .

وأبلغ وأكفى من ذلك كله قول الله عزوجل (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) اى اقرب اليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لاترونهم فهذا أول الامر وهو غير مرئى لنا ولا مشاهد وهو فى هذه الدار .

ثم يمد الملك يده الى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لايرونه ولايسمعونه ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة اطيب من رائحة المسك والحاضرون لايرون ذلك ولايشمونه .

ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لايرونهم .

ثم تأتى الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول قدّمونى قدّمونى او الى اين تذهبون بى ولا يسمع الناس ذلك فاذا وضع فى لحده وسوى عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه بل لونقر له حجر فأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة اليه فان هذه الاجسام الكثيفة لا تمنع خرق الارواح لها ، بل الجن لا يمنعها ذلك ، بل قد جعل الله سبحانه الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن تبعا فيكون البدن فى لحد اضيق من ذراع وقد فسح له

مدّ بصره تبعا لروحه وأما عصرة القبر حتى تختلف بعض اجزاء الموتى
حس ولا عقل ولا فطرة ولو قدّر أن احدا نبش عن ميت فوجد اضلاعه كما هى لم تختلف لم يمنع ان تكون قد عادت الى حالها بعد العصرة فليس مع الزنادقة والملاحدة الامجرد تكذيب الرسول .

ولقد اخبر بعض الصادقين انه حفر ثلاثة اقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على احد الأقبر فقال احدهما لصاحبه اكتب فرسخا فى فرسخ ثم وقف على الثانى فقال اكتب ميلا فى ميل ثم وقف على الثالث فقال اكتب فترا فى فتر ثم انتبه فجىء برجل غريب لا يؤبه له فدفن فى القبر الاول ثم جىء برجل آخر فدفن فى القبر الثانى ثم جىء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت فى القبر الضيق الذى سمعه يقول فترا فى فتر والفتر ما بين الابهام والسبابة .

فصل

(الامر الخامس) ان النار التى فى القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وانما هى من نار الآخرة وخضرها وهى اشد من نار الدنيا فلا يحس به اهل الدنيا فان الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التى عليه وتحته حتى يكون اعظم حرا من جمر الدنيا ولو مسها اهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل اعجب من هذا ان الرجلين يدفنان احدهما الى جنب الآخرة وهذا فى حفرة من حفر النار لا يصل حرّها الى جاره وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها الى جاره .

وقدرة الرب تعالى اوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا الله من آيات قدرته فى هذه الدار ما هو اعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما الا من وفقه الله وعصمه .

فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فاذا شاء الله سبحانه ان يطلع على ذلك بعض عبيده اطلعه وغيبه عن غيره اذ لو اطلع العباد

كلهم لزالت كلمة التكليف والايمان بالغيب ولما تدافن الناس كما فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع .

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مرّ بمن يعذب فى قبره (وحدثنى) صاحبنا ابوعبدالله محمد بن الرزيز الحرانى انه خرج من داره بعد العصر بآمد الى بستان قال فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت فى وسطه فجعلت امسح عينى وأقول أنائم انا ام يقظان ؟ ثم التفتّ الى سور المدينة وقلت والله ما انا بنائم ثم ذهبت الى اهلى وأنا مدهوش فأتونى بطعام فلم استطع ان آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فاذا به مكاس (١) قد توفى ذلك اليوم .

فرؤية هذه النار فى القبر كرؤية الملائكة والجن تقع احيانا لمن شاء الله ان يريه ذلك (وقد ذكر) ابن ابى الدنيا فى (كتاب القبور) عن الشعبى انه ذكر رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ابوجهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة .

(وذكر) من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله عن ابيه قال بينا انا اسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محقب اداوة اذ مررت بمقبرة فاذا رجل خارج من قبره يلتهب نارا وفى عنقه سلسلة يجرها فقال ياعبدالله انضح ياعبدالله انضح فوالله ما ادرى أعرفنى باسمى ام كما تدعو الناس قال فخرج آخر فقال ياعبدالله لا تنضح ياعبدالله لا تنضح ثم اجتذب السلسلة فأعاده فى قبره - وقال ابن ابى الدنيا وحدثنى ابى ثنا موسى بن داود ثنا حماد بن سلمة عن هشام

---

(١) المكس - الظلم والنقص ويقال مكس اذا جبى مالا - ق -

ابن عروة عن ابيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر بمقبرة فاذا برجل قد خرج من قبر يلهب نارا مصفدا فى الحديد فقال يا عبدالله انضح يا عبدالله انضح قال وخرج آخر يتلوه فقال يا عبدالله لا تنضح يا عبدالله لا تنضح قال وغشى على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج قال وأصبح قد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى ان يسافر الرجل وحده •

(وذكر) من حديث سفيان ثنا داود بن شابور عن ابى قزعة قال مررنا فى بعض المياه التى بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم ما هذا النهيق؟ قالوا هذا رجل كان عندنا كانت امه تكلمه بالشىء فيقول لها انهقى نهيقك فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة •

(وذكر) ايضا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من اهل المدينة وكانت له اخت فى ناحية المدينة فاشتكت وكان يأتيها يعودها ثم ماتت فدفنها فلما رجع ذكر أنه نسى شيئا فى القبر كان معه فاستعان برجل من اصحابه قال فنبشنا القبر و وجدت ذلك المتاع فقال للرجل تنح حتى انظر على اى حال اختى فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر فرجع الى امه فقال ما كان حال اختى فقالت ما تسأل عنها وقد هلكت فقال لتخبرينى قالت كانت تؤخر الصلاة ولا تصلى فيما اظن بوضوء وتأتى ابواب الجيران فتلقم اذنها ابوابهم وتخرج حديثهم •

(وذكر) عن حصين الاسدى قال سمعت مرثد بن حوشب قال كنت جالسا عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شقة وجهه صفحة من حديد فقال له يوسف حدث مرثدا بما رأيت فقال كنت شابا قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت أخرج الى ثغر من هذه الثغور ثم رأيت ان احفر القبور فانى لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبرا وأنا متكىء على تراب قبر آخر اذ جىء بجنازة رجل حتى دفن فى ذلك وسووا عليه فأقبل طائران ايضا من المغرب مثل البعيرين حتى سقط احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ثم اثاراه ثم تدلى

احدهما فى القبر والآخر على شفيره بجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلا لا يملأ جوفى شىء . قال فسمعته يقول ألست الزائر اصهارك فى ثوبين ممصرين تسحبهما كبرا تمشى الخيلاء فقال انا اضعف من ذلك قال فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ماء ودهنا ثم عاد فأعاد اليه القول حتى ضربه ثلاث ضربات كل ذلك يقول ذلك ويذكر أن القبر يفيض ماء ودهنا قال ثم رفع رأسه فنظر الىّ فقال انظر اين هو جالس بلسه الله قال ثم ضرب جانب وجهى فسقطت فمكثت ليالى حتى اصبحت قال ثم اخذت انظر الى القبر فاذا هو على حاله .

فهذا الماء والدهن فى رأى العين لهذا الرائى وهو نار تأجج للميت كما اخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال انه يأتى معه بماء ونار فالنار ماء بارد والماء نار تأجج .

وذكر ابن ابى الدنيا ان رجلا سأل ابا اسحاق الفزارى عن النباش هل له توبة؟ فقال نعم ان صحت نيته وعلم الله منه الصدق فقال له الرجل كنت انبش القبور وكنت اجد قوما وجوههم لغير القبلة فلم يكن عند الفزارى فى ذلك شىء فكتب اليه الاوزاعى يخبره بذلك فكتب اليه الاوزاعى تقبل توبته اذا صحت نيته وعلم الله الصدق من قبله وأما قوله انه كان يجد قوما وجوههم لغير القبلة فأولئك قوم ماتوا على غير السنة .

وقال ابن ابى الدنيا حدثنى عبدالمؤمن بن عبدالله بن عيسى القيسى انه قيل لنباش قد تاب ما اعجب ما رأيت ؟ قال نبشت رجلا قال فاذا هو مسمر بالمسامير فى سائر جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه .

قال وقيل لنباش آخر ما اعجب ما رأيت ؟ قال رأيت جمجمة انسان مصبوب فيها رصاص .

قال وقيل لنباش آخر ما كان سبب توبتك؟ قال عامة من كنت انبش كنت اراه محول الوجه عن القبلة .

قلت وحدثنى صاحبنا ابو عبدالله محمد بن مساب السلامى وكان من خيار عباد الله

وكان يتحرى الصدق قال جاء رجل الى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغار المسمار برأسين فأخذها الحداد وجعل يحمى عليها أفلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال من اين لك هذه المسامير ؟ فقال لقيتها فلم يزل به حتى اخبره انه وجد قبرا مفتوحا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على ان اخرجها فلم اقدر فأخذت حجرا فكسرت عظامه وجمعتها قال وأنا رأيت تلك المسامير قلت له فكيف صفتها ؟ قال المسمار صغير برأسين .

(قال) ابن ابى الدنيا وحدثنى ابى عن ابى الحريش عن امه قالت لما حفر ابوجعفر خندق الكوفة حوّل الناس موتاهم فرأينا شابا ممن حوّل عاضا عـلى يده .

(وذكر) عن سماك بن حرب قال مرّ ابوالدرداء بين القبور فقال ما اسكن ظواهرك وفى داخلك الدواهى .

(وقال) ثابت البنانى بينا انا امشى فى المقابر وإذا صوت خلفى وهو يقول ياثابت لايغرّنك سكونها فكم من مغموم فيها فالتفتّ فلم ارا احدا .

(ومر) الحسن على مقبرة فقال يالهم من عسكر ما اسكنهم وكم فيهم من مكروب

(وذكر) ابن ابى الدنيا ان عمر بن عبدالعزيز قال لمسلمة بن عبدالملك يامسلمة من دفن اباك ؟ قال مولاى فلان قال فمن دفن الوليد ؟ قال مولاى فلان قال فأنا احدثك ماحدثنى به انه لما دفن اباك والوليد فوضعهما فى قبورهما وذهب ليحل العقد عنهما وجد وجوههما قدحوّلت فى اقفيتهما فانظر يامسلمة اذا أنامت فالتمس وجهى فانظر هل نزل بى ما نزل بالقوم اوهل عوفيت من ذلك قال مسلمة فلما مات عمر وضعته فى قبره فلمست وجهه فاذا هو مكانه .

(وذكر) ابن ابى الدنيا عن بعض السلف قال ماتت ابنة لى فأنزلتها القبر فذهبت اصلح اللبنة فاذاهى قدحوّلت عن القبلة فاغتممت لذلك غماشديدا فأريتها فى النوم فقالت ياابت اغتممت لما رأيت فان عامة من حولى محوّلين عن القبلة قال كأنها تريد الذين ماتوا مصرين على الكبائر .

(وقال) عمرو بن ميمون سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول كنت فى من دلى الوليد

ابن عبد الملك فى قبره فنظرت الى ركبتيه قد جمعتا فى عنقه فقال ابنه عاش ابى ورب الكعبة فقلت عوجل ابوك ورب الكعبة فاتعظ بها عمر بعده .

(وقال) عمر بن عبدالعزيز ليزيد بن المهلب لما استعمله على العراق يايزيد اتق الله فانى حين وضعت الوليد فى لحده فاذاهو يركض فى اكفانه .

(وقال) يزيد بن هارون اخبر هشام بن حسان عن واصل مولى ابى عيينة عن عمرو بن زهدم عن عبدالحميد بن محمود كنت جالسا عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا انا خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا اذ أتينا ذا الصفاح مات فهيأناه ثم انطلقنا فحفرنا له ولحدنا له فلما فرغنا من لحده اذا نحن بأسود قدملأ اللحد فحفرنا له آخر فاذا به قدملأ لحده فحفرنا له آخر فاذا به فقال ابن عباس ذاك الغل الذى يغل به انطلقوا فادفنوه فى بعضها فوالذى نفسى بيده لوحفرتم الارض كلها لوجدتموه فيه فانطلقنا فوضعناه فى بعضها فلما رجعنا اتينا اهله بمتيع له معنا فقلنا لامرأته ماكان يعمل زوجك ؟ قالت كان يبيع الطعام فيأخذ منه كل يوم قوت اهله ثم يقرض الفضل مثله فيلقيه فيه .

(وقال) ابن ابى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين قال حدثنى ابو اسحاق صاحب الشاط قال دعيت الى ميت لأغسله فلما كشفت الثوب عن وجهه اذا بحية قد تطوقت على حلقه فذكر من غلظها قال فخرجت فلم اغسله فذكروا انه كان يسبّ الصحابة رضى الله عنهم .

(وذكر) ابن ابى الدنيا عن سعيد بن خالد بن يزيد الانصارى عن رجل من اهل البصرة كان يحفر القبور قال حفرت قبرا ذات يوم ووضعت رأسى قريبا منه فأتتنى امرأتان فى منامى فقالت احداهما يا عبدالله نشدتك بالله الاصرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا بها فاستيقظت فزعا فاذا بجنازة امرأة قدجىء بها فقلت القبر وراءكم فصرفتهم عن ذلك القبر فلما كان بالليل اذا أنا بالمرأتين فى منامى تقول احداهما جزاك الله عنا خيرا فلقد صرفت عنا شرا طويلا ، قلت مالصاحبتك لاتكلمنى كما تكلميني انت؟ قالت ان هذه ماتت عن غير وصية وحق لمن مات عن غير وصية

ان لا يتكلم الى يوم القيامة .

وهذه الاخبار وأضعافها وأضعاف اضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما اراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عيانا .

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة اسفار ومن اراد الوقوف عليها فعليه (بكتاب المنامات) لابن ابى الدنيا (وكتاب البستان) للقيروانى وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك وليس عند الملاحدة والزنادقة الا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه .

فصل

(الامر السابع) ان الله سبحانه وتعالى يحدث فى هذه الدار ما هو اعجب من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يراه ولا يسمعه وكذلك غيره من الانبياء وأحيانا يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه قد حجب بنى آدم عن كثير مما يحدثه فى الارض وهو بينهم وقد كان جبريل يقرئ النبى صلى الله ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه .

وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته ان يحدث حوادث يصرف عنها ابصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصرا وسمعا من ان يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن اشهده الله ذلك صعق وغشى عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات فكيف ينكر فى الحكمة الالهية اسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى اذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانا .

ثم ان العبد قادر على ان يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده

بسرعة فكيف يعجز عنه الملك وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير وكيف تعجز قدرته عن ابقائه فى عينيه وعلى صدره لا يسقط عنه وهل قياس امر البرزخ على ما يشاهده الناس فى الدنيا الا محض الجهل والضلال وتكذيب اصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم .

وإذا كان احدنا يمكنه توسعة القبر عشرة اذرع ومائة ذراع وأكثر طولا وعرضا وعمقا ويستر توسيعه عن الناس ويطلع عليه من يشاء فكيف يعجز رب العالمين ان يوسعه ما يشاء على من يشاء ويستر ذلك عن اعين بنى آدم فيراه بنو آدم ضيقا وهو أوسع شيء وأطيبه ريحا وأعظمه اضاءة ونورا وهم لايرون ذلك .

وسر المسئلة ان هذه السعة والضيق والاضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود فى هذا العالم والله سبحانه انما اشهد بنى آدم فى هذه الدار ما كان فيها ومنها فأما ما كان من امر الآخرة فقد اسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به الايمان سببا لسعادتهم فاذا كشف عنهم الغطاء صار عيانا مشاهدا فلو كان الميت بين الناس موضوعا لم يمتنع ان يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه وهذا الواحد منا ينام الى جنب صاحبه فيعذب فى النوم ويضرب ويألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة وقد سرى أثر الضرب والالم الى جسده .

ومن اعظم الجهل استبعاد شق الملك الارض والحجر وقد جعلهما الله سبحانه له كالهواء للطير ولا يلزم من حجبها للاجسام الكثيفة ان تتولج حجبها للأرواح اللطيفة وهل هذا الا من افسد القياس وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

فصل

(الامر الثامن) انه غير ممتنع ان ترد الروح الى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود فهذا المغمى عليه والمسكوت

والمبهوت احياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحياتهم ومن تفرقت اجزاؤه لايمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالا بتلك الاجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون فى تلك الاجزاء شعور بنوع من الالم واللذة وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الجمادات شعورا وإدراكا تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته وتسجدله الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات قال تعالى (وإن من شيء الايسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) فان كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين وكذلك قوله تعالى (يا جبال اوّبى معه) والدلالة لا تختص معيته وحده وكذب على الله من قال التأويب رجع الصدى فان هذا يكون لكل مصوت وقال تعالى (ألم ترأن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) والدلالة على الصانع لاتختص بكثير من الناس وقد قال تعالى (ألم ترأن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون المكذبون وقد أخبر تعالى عن الحجارة ان بعضها يزول عن مكانه ويسقط من خشيته، وقد أخبر عن الارض والسماء انهما يأذنان له وقولهما ذلك اى يستمعان كلامه وانه خاطبهما فسمعا خطابه وأحسنا جوابه فقال لهما (ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين) وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل، وسمعوا حنين الجذع اليابس فى المسجد، فاذا كانت هذه الاجسام فيها الاحساس والشعور فالاجسام التى كانت فيها الروح والحياة اولى بذلك، وقد اشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار اعادة حياة كاملة الى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى وأكل وشرب وتزوج وولد له (كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم - اوكالذى مر على قرية

وهى خاوية على عروشها قال انّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما اوبعض يوم) وكقتيل بنى اسرائيل اوكالذين قالوا لموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأماتهم الله ثم بعثهم من بعدموتهم وكأصحاب الكهف وكقصة ابراهيم فى الطيور الاربعة، فاذا اعاد الحياة التامة الى هذه الاجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة ان يعيد اليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضى بها امره فيها و يستنطقها بها ويعذ بها أو ينعمها بأعمالها وهل انكار ذلك الامجرد تكذيب وعناد وجحود وبالله التوفيق .

فصل

(الامر التاسع) انه ينبغى ان يعلم ان عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو مابين الدنيا والآخرة وقال تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) وهذا البرزخ يشرف اهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمى عذاب القبر ونعيمه وانه روضة اوحفرة نار باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه اعماله وإن تنوعت اسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما فقد ظن بعض الاوائل انه اذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح انه ينجو من ذلك فأوصى بنيه ان يفعلوابه ذلك فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال قم فاذا هو قائم بين يدى الله فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال خشيتك يارب وأنت اعلم فما تلافاه ان رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الاجزاء التى صارت فى هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤس الاشجار فى مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ولو دفن الرجل الصالح فى اتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على ذلك نارا وسموما فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى

ولا يستعصى عليه منها شيء اراده بل هى طلوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ومن انكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته ۰

فصل

(الامر العاشر) ان الموت معاد وبعث اول فان الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى -

فالبعث الاول مفارقة الروح للبدن ومصيرها الى دار الجزاء الاول ۰

والبعث الثانى يوم يرد الله الارواح الى اجسادها ويبعثها من قبورها الى الجنة اوالنار وهو الحشر الثانى ولهذا فى الحديث الصحيح « وتؤمن بالبعث الآخر »فان البعث الاول لاينكره احد وإن انكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين وهما الصغرى والكبرى فى سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور وقداقتضى عدله وحكمته ان جعلها دارى جزاء المحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء انما يكون يوم المعاد الثانى فى دار القرار كما قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون اجوركم يوم القيامة)

وقد اقتضى عدله وأوجبت اسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم ابدان اوليائه وأرواحهم وتعذيب ابدان اعدائه وأرواحهم فلابدأن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به ويذيق بدن الفاجر العاصى له وروحه من الالم والعقوبة ما يستحقه ، هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لادار جزاء لم يظهر فيها ذلك، وأما البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضى الحكمة اظهاره، فاذا كان يوم القيامة الكبرى وفى اهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الابدان والارواح وعذابهما فعذاب البرزخ ونعيمه اول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه وواصل الى اهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة

فى غير موضع دلالة صريحة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيفتح له باب الى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها وفى الفاجر فيفتح له باب الى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ومعلوم قطعا ان البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها فاذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب الى مقعده الذى هو داخله وهذان البابان يصل منهما الى العبد فى هذه الدار اثر خفى محجوب بالشواغل والغواشى الحسية والعوارض ولكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ولايحسن التعبير عنه فوجود الشىء غير الاحساس به والتعبير عنه ، فاذا مات كان وصول ذلك الاثر اليه من ذينك البابين اكمل ، فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك اكمل انتظام فى الدور الثلاث .

فصل

وأما المسئلة الثامنة وهى قول السائل

ما الحكمة فى كون عذاب القبر لم يذكر فى القرآن مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذر ويتقى؟ فالجواب من وجهين ، مجمل ، ومفصل .

اما المجمل فهو ان الله سبحانه وتعالى انزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى(هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة)

والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة باتفاق السلف ، وما اخبر به الرسول عن الله فهو فى وجوب تصديقه والايمان به كما اخبر به الرب تعالى على لسان رسوله ، هذا اصل متفق عليه بين اهل الاسلام لاينكره الامن ليس منهم وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنى اوتيت الكتاب ومثله معه .

وأما الجواب المفصل فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور فى القرآن فى غير

موضع . فمنها . قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) وهذا خطاب لهم عند الموت وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون .

(ومنها) قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب) فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لايحتمل غيره .

(ومنها) قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ، يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ، وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لايعلمون) وهذا يحتمل ان يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو اظهر لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا ، وقد يقال وهو اظهر إن من مات منهم عذب فى البرزخ ومن بقى منهم عذب فى الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم فى الدنيا وفى البرزخ .

(ومنها) قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبدالله بن عباس على عذاب القبر وفى الاحتجاج بها شىء لأن هذا عذاب فى الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الامة وترجمان القرآن لكن من فقهه فى القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر فانه سبحانه اخبر أن له فيهم عذابين ادنى وأكبر فأخبر أنه يذيقهم بعض الادنى ليرجعوا فدل على انه بقى لهم من الادنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال من العذاب الادنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الادنى فتأمله .

وهذا نظير قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فيفتح له طاقة الى النار فيأتيه من حرها وسمومها . ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها فان الذى وصل اليه بعض ذلك

وبقى له اكثره والذى ذاقه اعداء الله فى الدنيا بعض العذاب الادنى وبقى لهم ما هو اعظم منه .

(ومنها) قوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) فذكر هاهنا احكام الارواح عند الموت وذكر فى اول السورة احكامها يوم المعاد الاكبر وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية اذ هى اهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة اقسام كما جعلهم فى الآخرة ثلاثة اقسام .

(ومنها) قوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك فقالت طائفة يقال لها عند الموت وظاهر اللفظ مع هؤلاء فانه خطاب للنفس التى قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فى حديث البراء وغيره فقال لها اخرجى راضية مرضيا عنك وسيأتى تمام تقرير هذا فى المسئلة التى يذكر فيها مستقر الارواح فى البرزخ ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (فادخلى فى عبادى) مطابق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «اللهم الرفيق الاعلى .

وأنت اذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلا وتفسيرا لما دل عليه القرآن وبالله التوفيق .

فصل

وأما المسئلة التاسعة وهى قول السائل ما الاسباب التى تعذب بها اصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين . مجمل . ومفصل . أما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابها لمعاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامتثلت

امره واجتنبت نهيه ولابدنا كانت فيه ابدا فان عذاب القبر وعذاب الآخرة اثر غضب الله وسخطه على عبد فمن اغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب .

وأما الجواب المفصل . فقد اخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان فى قبورهما بمشى احدهما بالنميمة بين الناس وبترك الآخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا، وفى هذا تنبيه على ان الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان اعظم عذابا كما ان فى ترك الاستبراء من البول تنبيها على ان من ترك الصلاة التى الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو اشد عذابا وفى حديث شعبة اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذلك نمام وقد تقدم حديث ابن مسعود رضى الله عنه فى الذى ضرب سوطا امتلأ القبر عليه به نارا، لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومرّ على مظلوم فلم ينصره .

وقد تقدم حديث سمرة فى صحيح البخارى فى تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار، وتعذيب الزناة والزوانى، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى البرزخ .

وتقدم حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى فيه رضخ رؤس اقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة اموالهم، والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم، والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم فى الفتن بالكلام والخطب .

وتقدم حديث ابى سعيد وعقوبة ارباب تلك الجرائم فمنهم من بطونهم امثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا، ومنهم من تفتح افواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من اسافلهم وهم أكلة اموال اليتامى، ومنهم المعلقات

بثديهن وهن الزوانى، ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون، ومنهم من لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمزون اعراض الناس.

وقد أخبرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن صاحب الشملة التى غلها من المغنم انها تشتعل عليه نارا فى قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه، فعذاب القبر من معاصى القلب والعين والاذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع فى الفتنة والداعى الى البدعة والقائل على الله ورسوله مالا علم له به، والمجازف فى كلامه وآكل الربا وآكل اموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة والبرطيل (١) ونحوها وآكل مال اخيه المسلم بغير حق اومال المعاهد وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة، والزانى واللوطى والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له، والمحتال على اسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذى المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما انزل الله والمفتى بخلاف ما شرعه الله والمعين على الاثم والعدوان، وقاتل النفس التى حرم الله والملحد فى حرم الله والمعطل لحقائق اسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والنائحة والمستمع اليها ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع اليهم، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون فى استيفاء ما لهم اذا اخذوه وهضم ما عليهم اذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤن والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذين اذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى

---

(١) البرطيل – الرشوة – ق –

وكفّ عما هو فيه والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلايهتدى ولا يرفع به رأسا فاذ ابلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء عضّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه والذى يقرأ عليه القرآن فلايؤثر فيه وربما استثقل به فاذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعى الطرب وودأن المغنى لايسكت والذى يحلف بالله ويكذب فاذا حلف بالبندق اوبرئ من شيخه اوقريبه اوسراويل الفتوة اوحياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب، والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين اخوانه وأضرابه وهوالمجاهر، والذى لاتأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذى الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه، والذى يؤخر الصلاة الى آخر وقتها وينقرها ولايذكر الله فيها الا قليلا ولايؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولايؤدى ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ولايتورع من لحظة ولالفظة ولا أكلة ولاخطوة ولا يبالى بما حصل المال من حلال اوحرام ولايصل رحمه ولايرحم المسكين ولاالارملة ولااليتيم ولاالحيوان البهيم بل يدعّ اليتيم ولايحض على طعام المسكين ويرائى للعالمين ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها.

ولما كان اكثر الناس كذلك كان اكثر اصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب. ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات وفى باطنها الدواهى والبليات تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا، ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم دارا موشكة بكم زوالا، وخربتم دارا انتم مسرعون اليها انتقالا، عمرتم بيوتا لغيركم منافعها وسكناها. وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها، هذه دار الاستباق ومستودع الاعمال وبيدر الزرع، وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة او حفر من حفر النار.

فصل

وأما المسئلة العاشرة وهى قوله ماهى الاسباب المنجية من عذاب القبر

فجوابها ايضا من وجهين . مجمل ومفصل

أما المجمل فهو تجنب تلك الاسباب التى تقتضى عذاب القبر ومن انفعها ان يجلس الرجل عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه ثم يجدّد له توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على ان لايعاود الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد انفع من هذا النومة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن اراد الله به خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله .

وأما الجواب المفصل فنذكر احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما ينجى من عذاب القبر .

(فمنها) ما رواه مسلم فى صحيحه عن سلمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وأمن الفتان .

(وفى جامع الترمذى) من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر . قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(وفى سنن النسائى) عن رشدين بن سعد عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد

الا الشهيد؟ قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة .

(وعن المقدام بن معد يكرب) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقاربه - رواه ابن ماجه والترمذى وهذا لفظه وقال هذا حديث حسن صحيح .

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما) قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر - قال الترمذى هذا حديث حسن غريب .

(وروينا) فى مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لرجل ألا اتحفك بحديث تفرح به؟ قال الرجل بلى؟ قال اقرأ (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير) احفظها وعلمها اهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل او تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من عذاب النار اذا كانت فى جوفه وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوددت انها فى قلب كل انسان من امتى .

(قال) ابو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان سورة ثلاثين آية شفعت فى صاحبها حتى غفر له (تبارك الذى بيده الملك)

(وفى سنن ابن ماجه) من حديث ابى هريرة رضى الله عنه يرفعه من مات مبطونا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزق من الجنة .

(وفى سنن النسائى) عن جامع بن شداد قال سمعت عبدالله بن يشكر يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا ان رجلا مات ببطنه فاذا هما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال احدهما للآخر ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قتله بطنه لم يعذب فى قبره؟ .

وقال ابو داود الطيالسى فى مسنده ، حدثنا شعبة حدثنى احمد بن جامع بن شداد قال ابى ـ فذكره وزاد فقال الآخر بلى .

(وفى الترمذى) من حديث ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مامن مسلم يموت يوم الجمعة اوليلة الجمعة الاوقاه الله فتنة القبر ، قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وليس اسناده بمتصل . ربيعة بن سيف انما يروى عن ابى عبدالرحمن الحبلى عن عبدالله بن عمرو ولايعرف لربيعة بن سيف سماع من عبدالله بن عمرو ، انتهى .

وقد روى الترمذى الحكيم من حديث ربيعة بن سيف هذا عن عياض بن عقبة الفهرى عن عبدالله بن عمرو .

وقد رواه ابونعيم الحافظ عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ولفظه من مات ليلة الجمعة اويوم الجمعة اجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء ـ تفردبه عمر بن موسى الوجيهى وهو مدنى ضعيف .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة . معناه والله اعلم قد امتحن نفاقه من ايمانه ببارقة السيف على رأسه فلم يفر فلوكان منافقا لما صبر ببارقة السيف على رأسه فدل على ان ايمانه هو الذى حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله و إظهار دينه وإعزاز كلمته فهذا قد أظهر صدق ما فى ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان فى قبره .

قال ابو عبدالله القرطبى اذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق اجل خطرا وأعظم اجرا أن لايفتن لأنه مقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء وقد صح فى المرابط

الذى هو دون الشهيد أنه لايفتن فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد . والاحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين ان الصديق يسأل فى قبره كما يسأل غيره وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأس الصديقين وقد قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما اخبره عن سؤال الملك فى قبره فقال وأنا على مثل حالتى هذه؟ فقال نعم - وذكر الحديث .

وقد اختلف فى الانبياء هل يسألون فى قبورهم على قولين وهما وجهان فى مذهب احمد وغيره ولا يلزم من هذه الخاصية التى اختص بها الشهيد أن يشاركه الصديق فى حكمها وإن كان اعلى منه فخواص الشهداء قد تنتفى عمن هو افضل منهم وإن كان اعلى منهم درجة .

وأما حديث ابن ماجه « من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر » فمن افراد ابن ماجه وفى افراده غرائب ومنكرات ومثل هـذا الحديث مما يتوقف فيه ولا يشهد به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان صح فهو مقيد بالحديث الآخر وهو الذى يقتله بطنه فان صح عنه انه قال المبطون شهيد فيحمل هذا المطلق على ذلك المقيد . والله اعلم -

(وقد جاء) فيما ينجى من عذاب القبر حديث فيه الشفاء رواه ابو موسى المدينى وبيّن علته فى كتابه فى الترغيب والترهيب وجعله شرحاله ، رواه من حديث الفرج بن فضالة ثنا هلال ابو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن فى صفة بالمدينة فقام علينا فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى اتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فردّ ملك الموت عنه ، ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه ، ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم ، ورأيت رجلا من امتى يلهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه أرواه ، ورأيت رجلا من امتى ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا الى

حلقة طرد ومنع فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جنبى، ورأيت رجلا من امتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور، ورأيت رجلا من امتى يتقى وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظلا على رأسه، ورأيت رجلا من امتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المؤمنين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلا من امتى قداحتوشته الزبانية فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم وادخله فى ملائكة الرحمة، ورأيت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عزوجل، ورأيت رجلا من امتى قدذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عزوجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه، ورأيت رجلا من امتى خفّ ميزانه فجاءه أفراطه (١) فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلا من امتى قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عزوجل فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلا من امتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى قدبكى من خشية الله عزوجل فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلا من امتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عزوجل فسكن روعه (٢) ومضى، ورأيت رجلا من امتى يزحف على الصراط يحبو احيانا ويتعلق احيانا فجاءته صلاته علىّ فأقامته على قدميه وانقذته، ورأيت رجلا من امتى انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لااله الاالله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة - قال الحافظ ابو موسى هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب وعمر بن ذر وعلى بن زيد بن جدعان.

ونحو هذا الحديث مما قيل فيه ان رؤيا الانبياء وحى فهى على ظاهرها لا كنحو ماروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال رأيت كأن سيفى انقطع فأولته كذا

---

(١) جمع فرط - والمراد بهم اولاده الذين ماتوا صغارا - ح (٢) ن - رعدته

وكذا - ورأيت بقرا تنحر - ورأيت كأنا فى دار عقبة بن رافع . وقد روى فى رؤياه الطويلة من حديث سمرة فى الصحيح ومن حديث على وابى امامة وروايات هؤلاء الثلاثة قريب بعضها من بعض مشتملة على ذكر عقوبات جماعة من المعذبين فى البرزخ، فأما فى هذه الرواية فذكر العقوبة وأتبعها بما ينجى صاحبها من العمل وراوى هذا الحديث عن ابن المسيب هلال ابو جبلة مدنى لايعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن ابى حاتم عن ابيه . هكذا ذكره الحاكم ابواحمد والحاكم ابوعبدالله ابوجبل بلاهاء وحكيا عن مسلم ورواه عنه الفرج ابن فضالة وهو وسط فى الرواية ليس بالقوى ولا المتروك ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بأبى الخطيب كان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ الاسلام يعظم امر هذا الحديث وقال اصول السنة تشهد له وهو من احسن الاحاديث .

فصل

وأما المسئلة الحادية عشر وهى ان السؤال فى القبر هل هو عام فى حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟ فقال ابوعمر بن عبدالبر فى (كتاب التمهيد) والآثار الدالة تدل على ان الفتنة فى القبر لا تكون الا لمؤمن او منافق من كان منسوبا الى اهل القبلة ودين الاسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه وإنما يسأل عن هذا اهل الاسلام فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون .

والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول وأن السؤال للكافر والمسلم، قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقد ثبت فى الصحيح انها نزلت فى عذاب القبر حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك .

وفى الصحيحين عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم - وذكر

الحديث ـ زاد البخارى وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين هكذا فى البخارى وأما المنافق والكافر بالواو وقد تقدم فى حديث ابى سعيد الخدرى الذى رواه ابن ماجه والامام احمد، كنا فى جنازة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتولى عنه اصحابه جاء ملك وفى يده مطراق فأقعده فقال ماتقول فى هذا الرجل ؟ فان كان مؤمنا قال اشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقول هذا منزلك لو كفرت بربك وأما الكافر والمنافق فيقول لـه ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا ادرى فيقال لادريت ولا اهتديت ثم يفتح لـه باب الى الجنة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما اذا كفرت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله الا الثقلين ، فقال بعض الصحابة يارسول الله ما احد يقوم على رأسه ملك الاهيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء).

(وفى حديث) البراء بن عازب الطويل وأما الكافر اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه ملائكة من السماء معهم مسوح . وذكر الحديث الى ان قال ـ ثم تعاد روحه فى جسده فى قبره ـ وذكر الحديث وفى لفظ ـ فاذا كان كافرا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه ـ فذكر الحديث الى قوله ـ ماهذه الروح الخبيثة؟ فيقولون فلان بأسوإ اسمائه فاذا انتهى به الى سماء الدنيا اغلقت دونه قال يرمى به من السماء ثم قرأ قوله تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير اوتهوى به الريح فى مكان سحيق) قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان من ربك ؟ فيقول هاه لادرى

فيقولان لادريت ، فيقولان ما هذا النبى الذى بعث فيكم ؟ فيقول سمعت الناس يقولون ذلك لاادرى، فيقولان له لادريت وذلك قوله تعالى (ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) وذكر الحديث .

واسم الفاجر فى عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا كقوله تعالى(ان الابرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) وقوله تعالى (كلا ان كتاب الفجار لفى سجين) وفى لفظ آخر فى حديث البراء وان الكافر اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل اليه ملائكة شداد غضاب معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فتنزع روحه كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فاذا اخرجت لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء - وذكر الحديث الى ان قال انه ليسمع خفق نعالهم اذا ولّوا مدبرين فيقال ياهذا من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول لا ادرى فيقال لا دريت - وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء .

وفى حديث عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت عن البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الانصار - وذكر الحديث الى ان قال وإن الكافر اذا كان فى دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من نار - فذكر الحديث الى ان قال فترد روحه الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الارض بأنيابهما ويفحصان الارض بأشعارهما، اصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان يا هذا من ربك ؟ فيقول لا ادرى فينادى من جانب القبر لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه - وذكر الحديث .

ورواه الامام احمد فى مسنده عن ابى النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب - فذكره .

(وفى حديث) محمد بن سلمة عن خصيف عن مجاهد عن البراء قال كنا فى جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فذكر الحديث الى ان قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا وضع الكافر اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول لا ادرى فيقولان له لا دريت ـ الحديث وقد تقدم .

وبالجملة فعامة من روى حديث البراء بن عازب قال فيه وأما الكافر بالجزم وبعضهم قال وأما الفاجر وبعضهم قال وأما المنافق والمرتاب وهذه اللفظة من شك بعض الرواة هكذا فى الحديث لا ادرى اى ذلك قال .

وأما من ذكر الكافر والفاجر فلم يشك ورواية من لم يشك مع كثرتهم اولى من رواية من شك مع انفراده على انه لا تناقض بين الروايتين فان المنافق يسأل كما يسأل الكافر والمؤمن فيثبت الله اهل الايمان ويضل الله الظالمين وهم الكفار والمنافقون .

(وقد جمع) ابو سعيد الخدرى فى حديثه الذى رواه ابو عامر العقدى ثنا عباد بن راشد عن داود بن ابى هند عن ابى نضرة عن ابى سعيد قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة ـ فذكر الحديث وقال وإن كان كافرا اومنافقا يقول له ما تقول فى هذا الرجل؟ فيقول لا ادرى وهذا صريح فى ان السؤال للكافر والمنافق ، وقول ابى عمر رحمه الله وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ، ، فيقال له ليس كذلك بل هو من جملة المسؤلين وأولى بالسؤال من غيره .

وقد اخبر الله فى كتابه انه يسأل الكافر يوم القيامة قال تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) وقال تعالى (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) وقال تعالى (فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين) فاذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يسألون فى قبورهم فليس لما ذكره ابو عمر رحمه الله وجه .

فصل

فصل

وأما المسئلة الثانية عشر وهى ان سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها ؟

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس فقال ابو عبدالله الترمذى (١) انما سؤال الميت فى هذه الامة خاصة لأن الامم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا ابوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة اماما للخلق كما قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) امسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان فى قلبه فأمهلوا فمن هاهنا ظهر امر النفاق وكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان فكانوا بين المسلمين فى ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرج سرهم بالسؤال (وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) .

وخالف فى ذلك آخرون منهم عبدالحق الاشبيلى والقرطبى وقالوا لهذه الامة ولغيرها .

وتوقف فى ذلك آخرون منهم ابوعمر بن عبدالبر فقال وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها ومنهم من يرويه تسال، وعلى هذا اللفظ يحتمل ان تكون هذه الامة خصت بذلك فهذا امر لايقطع عليه .

وقد احتج من خصه بهذه الامة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه الامة تبتلى فى قبورها . وبقوله اوحى الىّ انكم تفتنون فى قبوركم وهذا ظاهر فى الاختصاص بهذه الامة . قالوا ويدل عليه قول الملكين له ماكنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول المؤمن اشهد أنه عبدالله ورسوله فهذا خاص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . وقوله فى الحديث الآخر انكم بى تمتحنون وعنى تسألون .

---

(١) كذا - ولعله الحميدى - ح

وقال آخرون لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الامة دون سائر الامم فان قوله ان هذه الامة إما ان يراد به امة الناس كما قال تعالى (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) وكل جنس من اجناس الحيوان يسمى امة، وفى الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لأمرت بقتلها، وفيه ايضا حديث النبى الذى قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه من اجل ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح الله. وإن كان المراد به امته صلى الله عليه وآله وسلم الذى بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفى سؤال غيرهم من الامم. بل قد يكون ذكرهم اخبارا بأنهم مسئولون فى قبورهم وأن ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الامة وشرفها على سائر الامم.

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم اوحى الىّ انكم تفتنون فى قبوركم.

وكذلك اخباره عن قول الملكين ماهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ هو اخبار لامته بما تمتحن به فى قبورها والظاهر والله اعلم ان كل نبى مع امته كذلك وأنهم معذبون فى قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون فى الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. والله سبحانه وتعالى اعلم.

فصل

(وأما المسئلة الثالثة عشر وهى ان الاطفال هل يمتحنون فى قبورهم)

اختلف الناس فى ذلك على قولين هما وجهان لأصحاب احمد

وحجة من قال انهم يسألون انه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله ان يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر (كما ذكر) مالك فى موطأه عن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم صلى على جنازة صبى فسمع من دعائه، اللهم قه عذاب القبر.

(واحتجوا) بما رواه على بن معبد عن عائشة رضى الله عنها انه مرّ عليها بجنازة

صبي صغير فبكت فقيل لها ما يبكيك يا ام المؤمنين ؟ فقالت هـذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر .

(واحتجوا) بما رواه هناد بن السرى ثنا ابو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان كان ليصلى على المنفوس ما ان عمل خطيئة قط فيقول اللهم اجره من عذاب القبر .

قالوا والله سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه .

قالوا وقد دل عـلى ذلك الاحاديث الكثيرة التى فيها انهم يمتحنون فى الآخرة وحكاه الاشعرى غن اهل السنة والحديث فـاذا امتحنوا فى الآخرة لم يمتنع امتحانهم فى القبور .

(قال الآخرون) السؤال انما يكون لمن عقل الرسول والمرسل فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه ام لا ؟ فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فاما الطفل الذى لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم . ولو رد إليه عقله فى القبر فانه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعـلم به ولا فائدة فى هذا السؤال وهذا بخلاف امتحانهم فى الآخرة فان الله سبحانه يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعة امره وعقولهم معهم فمن اطاعه منهم نجا ومن عصاه ادخله النار فذلك امتحان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت لا انه سؤال عن امر مضى لهم فى الدنيا من طاعة او عصيان كسؤال الملكين فى القبر .

وأما حديث ابى هريرة رضى الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة او فعل معصية قطعا فان الله لا يعذب احدا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الالم الذى يحصل للميت بسبب غيره وان لم يكن عقوبة على عمل عمله . ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه . اى يتألم بذلك ويتوجع منه لا انه يعاقب بذنب الحى (ولا تزر وازرة وزر أخرى .)

وهذا كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم السفر قطعة من العذاب . فالعذاب اعم من العقوبة ـ ولا ريب ان فى القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسرى اثره الى الطفل فيتألم به فيشرع للمصلى عليه ان يسأل الله تعالى له ان يقيه ذلك العذاب . والله اعلم .

فصل

وأما المسئلة الرابعة عشر وهى قوله هل عذاب القبر دائم او منقطع

فجوابها انه نوعان (نوع دائم) سوى ما ورد فى بعض الاحاديث انه يخفف عنهم ما بين النفختين فاذا قاموا من قبورهم قالوا (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا) ويدل على دوامه قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) ويدل ما تقدم فى حديث سمرة الذى رواه البخارى فى رؤيا النبى صلى الله عليه وآله عليه وسلم وفيه فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة .

وفى حديث ابن عباس فى قصة الجريدتين لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا ـ فجعل التخفيف مقيدا بمدة رطوبتهما فقط .

وفى حديث الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شىء ـ وقد تقدم .

وفى الصحيح فى قصة الذى لبس بردين وجعل يمشى يتبختر فخسف الله به الارض فهو يتجاجل فيها الى يوم القيامة .

وفى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة ـ رواه الامام احمد، وفى بعض طرقه، ثم يخرق له خرقا الى النار فيأتيه من غمها ودخانها الى يوم القيامة .

(النوع الثانى) الى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب فى النار مدة ثم يزول عنه العذاب .

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء اوصدقة اواستغفار او ثواب حج اوقراءة تصل اليه من بعض اقاربه او غيرهم وهذا كما يشفع الشافع فى المعذب فى الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته لكن هذه شفاعة قدلا تكون باذن المشفوع عنده والله سبحانه وتعالى لايتقدم احد بالشفاعة بين يديه الامن بعدإذنه فهو الذى يأذن للشافع يشفع اذا اراد أن يرحم المشفوع له ، ولا تغتر بغير هذا فانه شرك وباطل يتعالى الله عنه (من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه ــ ولايشفعون الا لمن ارتضى ــ ما من شفيع الا من بعدإذنه ــ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ــ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) .

(وقد ذكر) ابن ابى الدنيا حدثنى محمد بن موسى الصائغ ثنا عبدالله بن نافع قال مات رجل من اهل المدينة فرآه رجل كأنه من اهل النار فاغتم لذلك ثم انه بعد سابعة او ثامنة رآه كأنه من اهل الجنة فقال ألم تكن قلت انك من اهل النار؟ قال قدكان ذلك الا انه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع فى اربعين من جيرانه فكنت انامنهم .

(قال) ابن ابى الدنيا وحدثنا احمد بن يحيى قال حدثنى بعض اصحابنا قال مات اخى فرأيته فى النوم فقلت ماكان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال اتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعالى لرأيت انه سيضربنى به .

وقال عمرو بن جرير اذا دعا العبد لأخيه الميت اتاه بها ملك الى قبره فقال يا صاحب القبر الغريب هدية من اخ عليك شفيق .

(وقال) بشار بن غالب رأيت رابعة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار بن غالب هداياك تأتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت كيف ذلك ؟ قالت هكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى استجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى بها الذى دعى له من الموتى فقيل هذه هدية فلان اليك .

(قال) ابن ابى الدنيا وحدثنى ابوعبد بن بحير قال حدثنى بعض اصحابنا قال رأيت

اخالى فى النوم بعد موته فقلت أيصل اليكم دعاء الاحياء ؟ قال اى والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه .

وسيأتى ان شاء الله تعالى تمام هذه فى جواب السؤال عن انتفاع الاموات بما تهديه اليهم الاحياء .

فصل

وأما المسئلة الخامسة عشر

وهى اين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل هى فى السماء ام فى الارض؟ وهل هى فى الجنة والنار ام لا ؟ وهل تودع فى اجساد غير اجسادها التى كانت فيها فتنعم وتعذب فيها ام تكون مجردة ؟ .

فهذه مسئلة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهى انما تتلقى من السمع فقط واختلف فى ذلك فقال قائلون ارواح المؤمنين عند الله فى الجنة، شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب ابى هريرة وعبدالله بن عمر رضى الله عنهم .

وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها .

وقالت طائفة الارواح على افنية قبورها .

وقال مالك بلغنى ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت .

وقال الامام احمد فى رواية ابنه عبدالله ارواح الكفار فى النار وأرواح المؤمنين فى الجنة .

وقال ابو عبدالله ابن منده وقال طائفة من الصحابة والتابعين ارواح المؤمنين عند الله عزوجل ولم يزيدوا على ذلك، قال روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت .

وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبدالله ابا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال ان الارض التى يقول الله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر

ان الارض يرثها عبادى الصالحون) قال هى الارض التى يجتمع اليها ارواح المؤمنين حتى يكون البعث وقالوا هى الارض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا وقال كعب ارواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة . وأرواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة تحت جند ابليس .

وقالت طائفة. ارواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت . وقال سلمان الفارسى ارواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار فى سجين . وفى لفظ عنه نسمة المؤمن تذهب فى الارض حيث شاءت .

وقالت طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله . وقالت طائفة اخرى منهم ابن حزم مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها ، قال والذى نقول به فى مستقر الارواح هو ما قاله الله عزوجل ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا نتعداه فهو البرهان الواضح وهو أن الله عزوجل قال (وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فصحّ ان الله تعالى خلق الارواح جملة وكذلك اخبر صلى الله عليه وآله وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل ان يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها فى الاجساد، والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عندالموت ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الاجساد المتولدة من المنى . الى ان قال فصحّ ان الارواح اجساد حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وأنها عارفة مميزة فيبلوهم الله فى الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا ارواح اهل السعادة عن يمين آدم وأرواح اهل

الشقاوة عن يساره وذلك عند منقطع العناصر ويعجل ارواح الانبياء والشهداء الى الجنة .

قال وقد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا الذى قلنا بعينه . قال وعلى هذا اجمع اهل العلم .

قال ابن حزم وهو قول جميع اهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى (فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) وقوله تعالى (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) الى آخرها فلاتزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها فى الاجساد ثم برجوعها الى البرزخ فتقوم الساعة ويعيد الله عزوجل الارواح الى اجسادها ثانية وهى الحياة الثانية ويحاسب، فريق فى الجنة وفريق فى السعير مخلدين ابدا. انتهى .

وقال ابوعمر بن عبد البر أرواح الشهداء فى الجنة وأرواح عامة المؤمنين على افنية قبورهم. ونحن نذكر كلامه وما احتج به ونبين ما فيه .

وقال ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرئ عليه عن مجاهد ليس هى فى الجنة ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها .

وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد انه سأل ابن شهاب عن ارواح المؤمنين فقال بلغنى ان ارواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح الى رياض الجنة تأتى ربها فى كل يوم تسلم عليه .

وقال ابوعمر بن عبد البر فى شرح حديث ابن عمر ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وإن كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله الى يوم القيامة . قال وقد استدل به من ذهب الى ان الارواح على افنية القبور وهواصح ما ذهب اليه فى ذلك والله اعلم لأن الاحاديث بذلك احسن مجيئا وأثبت نقلا من غيرها . قال والمعنى عندى انها قد تكون على افنية قبورها لا على انها تلزم ولاتفارق افنية

القبور كما قال مالك رحمه الله انه بلغنا ان الارواح تسرح حيث شاءت . قال وعن مجاهد انه قال الارواح على افنية القبور سبعة ايام من يوم دفن الميت لاتفارق ذلك . والله اعلم .

وقالت فرقة مستقرها العدم المحض وهذا قول من يقول ان النفس عرض من اعراض البدن كحياته وإدراكه فتعدم بموت البدن كما تعدم سائر الاعراض المشروطة بحياته . وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين كما سنذكر ذلك انشاء الله . والمقصود أن عند هذه الفرقة المبطلة ان مستقر الارواح بعد الموت العدم المحض .

وقالت فرقة مستقرها بعد الموت ارواح أخر تناسب اخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها فى حال حياتها فتصير كل روح الى بدن حيوان يشاكل تلك الارواح فتصير النفس السبعية الى ابدان السباع والكلبية الى ابدان الكلاب والبهيمية الى ابدان البهائم والدنية والسفلية الى ابدان الحشرات . وهذا قول المتناسخة منكرى المعاد ، وهو قول خارج عن اقوال اهل الاسلام كلهم .

فهذا ماتلخص لى من جمع اقوال الناس فى مصير ارواحهم بعد الموت ولاتظفر به مجموعا فى كتاب واحد غير هذا البتة ونحن نذكر مأخذ هذه الاقوال وما لكل قول وما عليه وما هو الصواب من ذلك الذى دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التى من الله بها وهو مرجو الاعانة والتوفيق .

فصل

فأما من قال هى فى الجنة فاحتج بقوله تعالى (فأما إن كان المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) قال وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت وقسم الارواح الى ثلاثة اقسام (مقربين) وأخبر انها فى جنة النعيم (وأصحاب يمين) حكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب (ومكذبة ضالة) وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم . قالوا وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعا ، وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة فى اول السورة فذكر حالها بعد الموت وبعد البعث

واحتجوا بقوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين ان هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك ولا ينا فى ذلك قول من قال ان هذا يقال لها فى الآخرة فانه يقال لها عند الموت وعند البعث وهذه من البشرى التى قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) وهذا التنزل يكون عند الموت ويكون فى القبر ويكون عند البعث وأول بشارة الآخرة عند الموت .

وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب ان الملك يقول لها عند قبضها أبشرى بروح وريحان ، وهذا من ريحان الجنة .

واحتجوا بما رواه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك انه اخبره ان اباه كعب بن مالك كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى حياة يوم يبعثه. قال ابو عمر وفى رواية مالك هذه بيان سماع الزهرى لهذا الحديث من عبدالرحمن بن كعب بن مالك وكذلك رواه يونس عن الزهرى قال سمعت عبدالرحمن بن كعب بن مالك يحدث عن ابيه ، وكذلك رواه الاوزاعى عن الزهرى حدثنى عبدالرحمن بن كعب وقد أعلّ محمد بن يحيى الذهلى هذا الحديث بأن شعيب بن ابى حمزة ومحمد بن اخى الزهرى وصالح بن كيسان رووه عن الزهرى عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن جده كعب فيكون منقطعا ، وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبدالرحمن انه بلغه ان كعب ابن مالك كان يحدث ، قال الذهلى وهذا المحفوظ عندنا وهو الذى يشبهه حديث صالح وشعيب وابن اخى الزهرى وخالفه فى هذا غيره من الحفاظ فحكوا لمالك والاوزاعى ، قال ابو عمر فاتفق مالك ويونس بن يزيد والاوزاعى والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث عن الزهرى عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك

عن ابيه و صححه الترمذى وغيره .

قال ابوعمرو ولا وجه عندى لما قاله محمد بن يحيى من ذلك ولا دليل عليه واتفاق مالك ويونس بن يزيد والاوزاعى ومحمد بن اسحاق اولى بالصواب والنفس الى قولهم وروايتهم اسكن وهم من الحفظ والاتقان بحيث لايقاس بهم من خالفهم فى هذا الحديث . انتهى . وقد قال محمد الذهلى سمعت على بن المدينى يقول ولد كعب خمسة ، عبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، قال الذهلى فسمع الزهرى من عبد الله بن كعب وكان قائد ابيه حين عمى وسمع من عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب وروى عن بشير بن عبدالرحمن بن كعب ولا اراه سمع منه . انتهى. فالحديث ان كان لعبدالرحمن عن ابيه كعب كما قال مالك ومن معه فظاهر وإن كان لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته ان يكون مرسلا من هذا الطريق وموصولا من الاخرى والذين وصلوه ليسوا بدون الذين ارسلوه قدرا ولاعددا فالحديث من صحاح الاحاديث وإنما لم يخرجه صاحبا الصحيح لهذه العلة . والله اعلم .

قال ابوعمر وأما قوله نسمة المؤمن « فالنسمة هاهنا الروح يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث نفسه» حتى يرجعه الله الى جسد يوم يبعثه ، وقيل النسمة الروح والنفس والبدن وأصل هذه اللفظة اعنى النسمة الانسان بعينه وإنما قيل للروح نسمة والله اعلم لأن حياة الانسان بروحه واذا فارقه عدم اوصار كالمعدوم والدليل على ان النسمة الانسان قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من اعتق نسمة مؤمنة ، وقول على رضى الله عنه »والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، وقال الشاعر .

بأعظم منك تقى فى الحساب   اذا النسمات نفضن الغبارا

يعنى اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة . وقال الخليل بن احمد النسمة الانسان قال والنسمة الروح والنسيم هبوب الريح ، وقوله تعلق فى شجر الجنة يروى بفتح اللام وهو الاكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الاكل والرعى

يقول تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين اشجارها والعلوقة والعلوق الاكل والرعى تقول العرب ما ذاق اليوم علوقا اى طعاما قال الربيع بن زياد يصف الخيل

ومجنبات ما يذقن علوقة يمصعن بالمهرات والامهار

وقال الاعشى .

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس فيها الا الرجيع علاق

قلت ومنه قول عائشة والنساء اذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام وأصل اللفظة من التعلق وهو ما يعلق القلب والنفس من الغذاء .

قال واختلف العلماء فى معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم ارواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولادين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم .

قال واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيدا من غير شهيد .

واحتجوا ايضا بما روى عن ابى هريرة ان ارواح الابرار فى عليين وأرواح الفجار فى سجين وعن عبدالله بن عمرو مثل ذلك، قال ابو عمر وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع فى صحة نقله وهو قوله اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وإن كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة .

وقال آخرون انما معنى هذا الحديث فى الشهداء دون غيرهم لأن القرآن والسنة انما يدلان على ذلك . اما القرآن فقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) الآية .

وأما الآثار فذكر حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه من طريق بقى بن مخلد (١) مرفوعا. الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تبارك وتعالى هل تعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتكموها؟ فيقولون لا. غير أنا وددنا انك اعدت ارواحنا فى اجسادنا حتى نقاتل

---

(١) بقى بن مخلد بوزن رضى حافظ الاندلس - ح

مرة اخرى فنقتل فى سبيلك - رواه عن هناد عن اسمعيل بن المختار عن عطية عنه .

(ثم ساق حديث) ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم يعنى يوم احد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا انا احياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب (١) ولا يزهدوا فى الجهاد؟ قال فقال الله عزوجل انا ابلغهم عنكم فأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) والحديث فى مسند احمد وسنن ابى داود .

(ثم ذكر حديث) الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن هذه الآية (لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى الجنة فى ايها شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا؟ قالوا وأى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا - والحديث فى صحيح مسلم .

(قلت وفى صحيح) البخارى عن انس ان ام الربيع بنت البراء وهى ام حارثة ابن سراقة اتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يانبى الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب فان كان فى الجنة صبرت وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ، قال يا ام حارثة انها جنان وإن ابنك اصاب الفردوس الاعلى .

(ثم ساق) من طريق بقى بن مخلد حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا ابن عيينة عن عبيد الله ابن ابى يزيد سمع ابن عباس يقول ارواح الشهداء تجول فى اجواف طير خضر تعلق فى ثمر الجنة .

---

(١) يقال - نكل عن الامر اذا امتنع

(ثم ذكر) عن معمر عن قتادة قال بلغنا ان ارواح الشهداء فى صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة .

(ومن طريق) ابى عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالله ابن عمرو أرواح الشهداء فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة . قال ابوعمر هذه الآثار كلها تدل على انهم الشهداء دون غيرهم وفى بعضها فى صور طير وفى بعضها فى اجواف طير وفى بعضها كطير خضر قال والذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول قول من قال كطير أوصور طير لمطابقته لحديثنا المذكور — يريد حديث كعب بن مالك وقوله فيه نسمة المؤمن كطائر ولم يقل فى جوف طائر .

قال وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله كطير خضر .

قلت والذى فى صحيح مسلم فى اجواف طير خضر .

قال ابوعمر فعلى هذا التأويل كأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق فى شجر الجنة .

قلت لاتنافى بين قوله صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة وبين قوله ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وإن كان من اهل النار، فمن اهل النار وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد كما ان قوله نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة يتناول الشهيد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ترد روحه انهار الجنة وتأكل من ثمارها .

وأما المقعد الخاص به والبيت الذى اعدّه فانه انما يدخله يوم القيامة ويدل عليه ان منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التى اعدّ الله لهم ليست هى تلك القناديل التى تأوى اليها ارواحهم فى البرزخ قطعافهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم فى تلك القناديل المعلقة بالعرش فان الدخول التام الكامل انما

يكون يوم القيامة ودخول الارواح الجنة فى البرزخ امر دون ذلك .

ونظير هذا اهل الشقاء تعرض ارواحهم على النار غدوا وعشيا فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فى البرزخ فتنعم الارواح بالجنة فى البرزخ شيء ، وتنعمها مع الابدان بها يوم القيامة شيء آخر فغذاء الروح من الجنة فى البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث ولهذا قال تعلق فى شجر الجنة اى تأكل العلقة وتمام الاكل والشرب واللبس والتمتع فانما يكون اذا ردت الى اجسادها يوم القيامة فظهر أنه لايعارض هذا القول من السنن شيء ، وإنما تعاضده السنة وتوافقه .

وأما قول من قال ان حديث كعب فى الشهداء دون غيرهم فتخصيص ليس فى اللفظ ما يدل عليه وهو حمل اللفظ العام على اقل مسمياته فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جدا والنبى صلى الله عليه وآله وسلم علق هذا الجزاء بوصف الايمان فهو المقتضى له ولم يعلقه بوصف الشهادة ، ألا ترى ان الحكم الذى اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة كقوله فى حديث المقدام بن معد يكرب للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له فى اول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الايمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فى سبعين انسانا من اقاربه ، فلما كان هذا يختص بالشهيد قال ان للشهيد ولم يقل ان للمؤمن وكذلك قوله فى حديث قيس الجذامى يعطى الشهيد ست خصال ، وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التى علق فيها الجزاء بالشهادة .

وأما ما علق فيه الجزاء بالايمان فانه يتناول كل مؤمن شهيدا كان اوغير شهيد .

وأما النصوص والآثار التى ذكر فى رزق الشهداء وكون ارواحهم فى الجنة فكلها حق وهى لاتدل على انتفاء دخول ارواح المؤمنين الجنة ولاسيما الصديقين الذين هم افضل من الشهداء بلانزاع بين الناس فيقال لهؤلاء ما تقولون فى

ارواح الصديقين هل هى فى الجنة ام لا ؟

فان قالوا انها فى الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول ثبت ان هذه النصوص لاتدل على اختصاص ارواح الشهداء بذلك . وإن قالوا ليست فى الجنة لزمهم من ذلك ان تكون ارواح سادات الصحابة كأبى بكر الصديق وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم رضى الله عنهم ليست فى الجنة وأرواح شهداء زماننا فى الجنة، وهذا معلوم البطلان ضرورة.

فان قيل . فاذا كان هذا حكم لايختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر فى هذه النصوص ؟ قلت التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها وأن هذا مضمون لأهلها ولابد وإن لهم منه اوفر نصيب فنصيبهم من هذا النعيم فى البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الاموات على فرشهم وإن كان الميت على فراشه اعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لايشاركه فيه من هو دونه .

ويدل على هذا ان الله سبحانه جعل ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر فانهم لما بذلوا انفسهم لله حتى اتلفها اعداؤه فيه اعاضهم منها فى البرزخ ابدانا خيرا منها تكون فيها الى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الابدان أكمل من نعيم الارواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن فى صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد فى جوف طير وتأمل لفظ الحديثين فانه قال « نسمة المؤمن طير » فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بأن قال « هى فى جوف طير » ومعلوم انها اذا كانت فى جوف طير صدق عليها انها طير فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضا ويدل على انه حق من عندالله وهذا الجمع احسن من جمع ابى عمر وترجيحه رواية من روى ارواحهم كطير خضر بل الروايتان حق وصواب فهى كطير خضر وفى اجواف طير خضر.

فصل

وأما قول مجاهد ليس هى فى الجنة ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها فقد يحتج لهذا القول بمارواه الامام احمد فى مسنده من حديث ابن اسحاق عن عاصم

ابن عمر عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية .

وهذا لاينا فى كونهم فى الجنة فان ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة فهم فى الجنة وإن لم يصيروا الى مقاعدهم منها. فمجاهد نفى الدخول الكامل من كل وجه، والتعبير يقصر عن الاحاطة بتمييز هذا وأكمل العبارة أدلها على المراد عبارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم عبارة اصحابه . وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلاعلم .

(قال) ابو عبدالله بن منده وروى موسى بن عبيدة عن عبد الله بن يزيد عن ام كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألناه عن هذه الارواح؟ فوصفها صفة ابكى اهل البيت فقال ان ارواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا ألحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا، وان ارواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى الى جحر فى النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا وما وعدتنا .

(وقال) الطبرانى حدثنا ابو زرعة الدمشقى ثنا عبدالله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ارواح المؤمنين؟ فقال فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله ارواح الكفار؟ قال محبوسة فى سجين-رواه ابو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبدالله بن صالح (ورواه) ابو المغيرة عن ابى بكر بن ابى مريم عن ضمرة بن حبيب.

(وذكر) ابو عبدالله بن منده من حديث غنجار عن الثورى عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارواح المؤمنين فى طير خضر كالزرازير تأكل من ثمر الجنة (ورواه) غيره موقوفا .

وذكر يزيد الرقاشى عن انس ، وأبو عبد الله الشامى عن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا عرج ملك الموت بروح المؤمن الى السماء استقبله جبرئيل فى سبعين الفا من الملائكة كل منهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فاذا انتهى به الى العرش خرّ ساجدا فيقول الله عزوجل لملك الموت انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب۔ رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد وأبى عبد الله .

فصل

وأما قول من قال الارواح على افنية قبورها فان اراد أن هذا امر لازم لها لاتفارق افنية القبور أبدا فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها مالم نذكره ان شاء الله .

وإن اراد أنها تكون على افنية القبور وقتا، اولها اشراف على قبورها وهى فى مقرها فهذا حق ولكن لايقال مستقرها افنية القبور .

وقد ذهب الى هذا المذهب جماعة منهم ابو عمر بن عبد البر ، قال فى كتابه فى شرح حديث ابن عمر إن احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى وقد استبدل به من ذهب الى ان الارواح على افنية القبور وهو اصح ماذهب اليه فى ذلك من طريق الاثر ، ألاترى ان الاحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك احاديث السلام على القبور .

قلت ، يريد الاحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا ومثل حديث البراء ابن عازب الذى تقدم وفيه « هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » ومثل حديث انس ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم وفيه انه يرى مقعده من الجنة والنار وأنه يفسح للمؤمن فى قبره سبعين ذراعا ويضيق على الكافر ، ومثل حديث جابر إن هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه اصحابه اتاه ملك ـ الحديث وأنه يرى مقعده من الجنة فيقول دعونى ابشر اهلى فيقال له اسكن فهذا مقعدك ابدا ، ومثل سائر احاديث

عذاب القبر ونعيمه التى تقدمت ، ومثل احاديث السلام على اهل القبور وخطابهم ومعرفتهم بزيارة الاحياء لهم وقد تقدم ذكر ذلك كله .

وهذا القول ترده السنة الصحيحة والآثار التى لا مدفع لها وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من الادلة فهو يتناول الارواح التى هى فى الجنة بالنص وفى الرفيق الاعلى وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة او النار لا يدل على ان الروح فى القبر ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شأنا آخر تكون فى الرفيق الاعلى فى اعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهى فى الملأ الاعلى وإنما يغلط اكثر الناس فى هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التى اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات فى اعلى عليين وترد الى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهى فى مكانها هناك وروح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الرفيق الاعلى دائما ويردها الله سبحانه الى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موسى قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة او السابعة فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما ان يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها فى السماء وقد ثبت ان روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدى العرش ثم ترد الى جسده فى ايسر زمان ، وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات السبع وتقفها بين يدى الله فتسجد له ويقضى فيها قضاءه ويريها الملك ما اعد الله لها فى الجنة ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه ، وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب ان النفس يصعد بها حتى توقف بين يدى الله فيقول تعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ثم اعيدوه الى الارض فيعاد الى القبر وذلك فى مقدار تجهيزه وتكفينه ، فقد صرح به فى حديث ابن عباس حيث قال فيهبطون على

قدر فراغه من غسله وأكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه (وقد ذكر) ابو عبدالله بن منده من حديث عيسى بن عبدالرحمن ثنا ابن شهاب ثنا عامر بن سعد عن اسمعيل بن طلحة بن عبيدالله عن ابيه قال اردت مالى بالغابة فادركنى الليل فاويت الى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ماسمعت احسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عبدالله ألم تعلم ان الله قبض ارواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلايزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانهم الذى كانت به .

ففى هذا الحديث بيان سرعة انتقال ارواحهم من العرش الى الثرى ثم انتقالها من الثرى الى مكانها، ولهذا قال مالك وغيره من الأئمة ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت، ومارواه الناس من ارواح الموتى ومجيئهم اليهم من المكان البعيد امر يعلمه عامة الناس ولايشكون فيه . والله اعلم .

وأما السلام على اهل القبور وخطابهم فلايدل على ان ارواحهم ليست فى الجنة وأنها على افنية القبور فهذا سيد ولد آدم الذى روحه فى اعلى عليين مع الرفيق الاعلى صلى الله عليه وآله وسلم يسلم عليه عند قبره ويرد سلام المسلم عليه وقد وافق ابو عمر رحمه الله على ان ارواح الشهداء فى الجنة ويسلم عليهم عند قبورهم كما يسلم على غيرهم كما علمنا النبى صلى الله عليه وسلم ان نسلم عليهم وكما كان الصحابة يسلمون على شهداء احد وقد ثبت ان ارواحهم فى الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم ولايضيق عطنك عن كون الروح فى الملأ الاعلى تسرح فى الجنة حيث شاءت وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام وللروح شأن آخر غير شأن البدن، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب وكان من النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى يضع ركبتيه بين ركبتيه ويديه على فخذيه وما اظنك يتسع بطانك انه كان حينئذ فى الملأ الاعلى فوق السموات حيث

هو مستقره وقد دنا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا الدنو فان التصديق بهذا له قلوب خلقت له وأهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو اضيق ان يتسع للايمان بالنزول الالهى الى سماء الدنيا كل ليلة وهو فوق سماواته على عرشه لا يكون فوقه شيء البتة بل هو العالى على كل شيء وعلوه من لوازم ذاته. وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف. وكذلك مجيئه الى الارض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها. وكذلك مجيئه اليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى بها احد كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأصبح ربك يطوف فى الارض وقد خلت عليه البلاد. هذا وهو فوق سماواته على عرشه.

فصل

ومما ينبغى ان يعلم ان ما ذكرنا من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها، وأنت ترى احكام الارواح فى الدنيا كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب تفارق الارواح فى كيفياتها وقواها وإبطائها وإسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن وعوائقه فاذا كان هذا وهى محبوسة فى بدنها فكيف اذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت فى اصل شأنها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر.

وقد تواترت الرؤيا من اصناف بنى آدم على فعل الارواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رئى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ابو بكر وعمر فى النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقلتهم.

ومن العجب ان ارواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها اعظم مسافة

وأبعدها فتتسالم وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كأنه جليسه وعشيره فاذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته .

(قال عبد الله بن عمرو) ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط - ورفعه بعضهم الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(وقال) عكرمة ومجاهد اذا نام الانسان فان له سببا يجرى فيه الروح وأصله فى الجسد فيبلغ حيث شاء الله مادام ذاهبا فالانسان نائم فاذا رجع البدن انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع الشمس الذى هو ساقط بالارض فأصله متصل بالشمس. وقد ذكر ابو عبد الله بن منده عن بعض اهل العلم انه قال ان الروح يمتد من منخر الانسان ومركبه وأصله فى بدنه فلو خرج الروح بالكلية لمات كما ان السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة ألاترى ان مركب النار فى الفتيلة وضوؤها وشعاعها يملأ البيت فكذلك الروح تمتد من منخر الانسان فى منامه حتى تأتى السماء وتجول فى البلدان وتلتقى مع ارواح الموتى فاذا أراه الملك الموكل بأرواح العباد ما احب ان يريه وكان المرئ (١) فى اليقظة عاقلا ذكيا صدوقا لا يلتفت فى يقظته الى شيء من الباطل رجع اليه روحه فأدى الى قلبه الصدق مما اراه الله عزوجل على حسب خلقته ، وإن كان خفيفا نزقا يحب الباطل والنظر اليه فاذا نام وأراه الله امرا من خيرأ وشر رجعت روحه اليه فحيث ما رأى. شيئا من مخاريق الشيطان او الباطل وقفت روحه عليه كما تقف فى يقظته فكذلك لا يؤدى الى قلبه فلا يعقل ما رأى لأنه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبرا أن يعبر له وقد خلط الحق بالباطل .

وهذا من احسن الكلام وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته بالارواح وأحكامها .

وأنت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وما هو انفع شيء له ثم يمر بباطل ولهو من غناء او شبهه اوزورأ وغيره فيصغى اليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى اليه فيتخبط

---

(١) اسم مفعول من اراه - اى الشخص الذى اراه الملك ما احب ان يريه - ح .

عليه ذلك الذى سمعه من العلم والحكمة ويلتبس عليه الحق بالباطل فهكذا شأن الارواح عند النوم، وأما بعد المفارقة فانها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التى كانت حظها حال اتصالها بالبدن، وينضاف الى ذلك عذابها بتلك الارادات والشهوات التى حيل بينها وبينها، وينضاف الى ذلك عذاب آخر ينشئه الله لها ولبدنها من الاعمال التى اشتركت معه فيها وهذه هى المعيشة الضنك فى البرزخ والزاد الذى تزود به اليه.

والروح الزكية العلوية المحقة التى لاتحب الباطل ولاتألفه بضد ذلك كله تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التى تلقتها من مشكاة النبوة وتلك الارادات والهمم الزكية وينشئ الله سبحانه لها من اعمالها نعيما ينعمها به فى البرزخ فتصير لها روضة من رياض الجنة ولتلك حفرة من حفر النار.

فصل

وأما قول من قال ارواح المؤمنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك فانه تأدب مع لفظ القرآن حيث يقول الله عزوجل (بل احياء عند ربهم يرزقون).

وقد احتج ارباب هذا القول بحجج (منها) ما رواه محمد بن اسحق الصغانى ثنا يحيى بن ابى بكر ثنا محمد بن عبدالرحمن بن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الميت اذاخرجت نفسه يعرج بها الى السماء حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عزوجل، وإذا كان الرجل السوء يعرج بها الى السماء فانه لا يفتح لها ابواب السماء فترسل من السماء فتصير الى القبر.

وهذا اسناد لاتسأل عن صحته وهو فى مسند احمد وغيره.

وقال ابوداود الطيالسى ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ابى وائل عن ابى موسى الاشعرى قال تخرج روح المؤمن اطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون ما هذا؟ فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت ـ لمحاسن عمله ـ فيقولون مرحبا

بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد بها من الباب الذى كان يصعد منه عمله فتشرق فى السموات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى الى العرش، وأما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون ماهذا ؟ فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت ـ لمساوى عمله ـ فيقولون لامرحبا ردوه فيرد إلى اسفل الارض الى الثرى .

وقال المكى بن ابراهيم عن داود بن يزيد الاودى قال اراه عن عامر الشعبى عن حذيفة بن اليمان انه قال الارواح موقوفة عند الرحمن عزوجل موعدها حتى ينفخ فيها .

وذكر سفيان بن عيينة عن منصور بن صفية عن امه انه دخل ابن عمر المسجد بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب فأتى اسماء يعزيها فقال لها عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث ليست بشىء وإنما الارواح عندالله فقالت ومايمنعنى من الصبر وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايابنى اسرائيل .

(وذكر) جرير عن الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال كنا جلوسا الى كعب والربيع بن خثيم وخالد بن عرعرة فى اناس فجاء ابن عباس فقال هـذا ابن عم نبيكم قال فأوسع له فجلس فقال يا كعب كل مافى القرآن قد عرفت غير اربعة اشياء فأخبرنى عنهن ما سجين وماعليون وما سدرة المنتهى وما قول الله لادريس (ورفعناه مكانا عليا) ؟ قال اماعليون فالسماء السابعة فيها ارواح المؤمنين، وأما سجين فالارض السابعة السفلى وأرواح الكفار تحت جند ابليس ، وأما قول الله سبحانه لادريس (ورفعناه مكانا عليا) فأوحى الله اليه إنى رافع لك كل يوم مثل اعمال بنى آدم وكلم صديقا له من الملائكة ان يكلم له ملك الموت فيؤخره حتى يزداد عملا فحمله بين جناحيه فعرج به حتى اذا كان فى السماء الرابعة لقيه ملك الموت فكلمه فى حاجته فقال وأين هو ؟ قال هو ذا بين جناحى قال فالعجب إنى امرت ان اقبض روحه فى السماء الرابعة فقبض روحه وأما سدرة المنتهى فأنها سدرة على رؤس حملة العرش ينتهى اليها علم الخلائق ثم

ليس لاحد وراءها علم فلذلك سميت سدرة المنتهى .
قال ابن منده ورواه وهب بن جرير عن ابيه ، ورواه يعقوب القمى عن شمر ، ورواه خالد بن عبدالله عن العوام بن حوشب عن القاسم بن عوف عن الربيع ابن خثيم قال كنا جلوسا عند كعب - فذكره .

وذكر يعلى بن عبيد عن الاجلح عن الضحاك قال اذا قبض روح العبد المؤمن عرج به الى السماء الدنيا فينطلق معه المقربون الى السماء الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة حتى ينتهى به الى سدرة المنتهى ، قلت للضحاك لم سميت سدرة المنتهى؟ قال لأنه ينتهى اليها كل شيء من امر الله عز وجل لا يعدوها فيقول ربى ! عبدك فلان، وهو اعلم به منهم فيبعث الله اليه بصك مختوم يؤمنه من العذاب قوله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهذا القول لا ينافى قول من قال هم فى الجنة فان الجنة عند سدرة المنتهى والجنة عند الله وكأن قائله رأى ان هذه العبارة اسلم وأوفق وقد أخبر الله سبحانه ان ارواح الشهداء عنده وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم انها تسرح فى الجنة حيث شاءت .

فصل

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين بالجابية ، وأرواح الكفار بحضرموت ببرهوت . فقال ابو محمد بن حزم هذا من قول الرافضة ، وليس كما قال بل قد قاله جماعة من اهل السنة .

(قال) ابو عبدالله بن منده وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية ثم قال اخبرنا محمد بن محمد بن يونس ثنا احمد بن عاصم ثنا ابو داود سليمان بن داود ثنا همام حدثنى قتادة حدثنى رجل عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو أنه قال ان ارواح المؤمنين تجتمع بالجابية وأن ارواح الكفار تجتمع فى سبخة بحضرموت يقال لها برهوت .

ثم ساق من طريق حماد بن سلمة عن عبدالجليل بن عطية عن شهر بن حوشب ان

كعبار أى عبد الله بن عمرو وقد تكاب الناس عليه يسألونه فقال لرجل سله اين ارواح المؤمنين وأرواح الكفار؟ فسأله. فقال ارواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت .

(قال) ابن منده ورواه ابوداود وغيره عن عبد الجليل، ثم ساق من حديث سفيان عن فرات القزاز عن ابى الطفيل عن على قال خير بئر فى الارض زمزم وشرّ بئر فى الارض برهوت بئر فى حضرموت ، وخير واد فى الارض وادى مكة والوادى الذى اهبط فيه آدم بالهند منه طيبكم ، وشرّ واد فى الارض الاحقاف وهو فى حضرموت ترده ارواح الكفار .

(قال) ابن منده وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن على قال ابغض بقعة فى الارض وادبحضرموت يقال له برهوت فيه ارواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار اسود كأنه قيح تأوى اليه الهوام .

ثم ساق من طريق اسمعيل بن اسحاق القاضى ثنا على بن عبدالله ثنا سفيان ثنا ابان بن تغلب قال قال رجل بتّ فيه ـ يعنى وادى برهوت ـ فكأنما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يادومة يادومة ! قال ابان فحدثنا رجل من اهل الكتاب ان دومة هو الملك الذى على ارواح الكفار (وقال سفيان) وسألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع احد يبيت فيه بالليل .

فهذا جملة ماعلمته فى هذا القول فان اراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وأنها تجمع فى مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب وإن اراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض اهل الكتاب .

فصل

وأما قول من قال انها تجتمع فى الارض التى قال الله فيها (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) فهذا إن كان قاله تفسير الآية فليس هو تفسيرا لها .

وقد اختلف الناس فى الارض المذكورة هنا فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هى ارض الجنة وهذا قول اكثر المفسرين. وعن ابن عباس قول آخر انها الدنيا التى فتحها الله على امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى فى سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى مازوى لى منها.

وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك ارض بيت المقدس.

وهى من الارض التى اورثها الله عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها.

فصل

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة وأرواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة، فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم الرفيق الاعلى. وقد تقدم حديث ابى هريرة ان الميت اذا خرجت روحه عرج بها الى السماء حتى ينتهى بها الى السماء السابعة التى فيها الله عز وجل، وتقدم قول ابى موسى انها تصعد حتى تنتهى الى العرش، وقول حذيفة انها موقوفة عند الرحمن، وقول عبدالله بن عمر إن هذه الارواح عندالله، وتقدم قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان ارواح الشهداء تأوى الى قناديل تحت العرش، وتقدم حديث البراء بن عازب انها تصعد من سماء الى سماء ويشيعها من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة، وفى لفظ الى السماء التى فيها الله عزوجل.

ولكن هذا لايدل على استقرارها هناك بل يصعد بها الى هنالك للعرض على ربها فيقضى فيها امره ويكتب كتابه من اهل عليين او من اهل سجين ثم تعود الى القبر للمسئلة ثم ترجع الى مقرها التى اودعت فيه فأرواح المؤمنين فى عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار فى سجين بحسب منازلهم.

فصل

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم. فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البئر لاتسع ارواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة.

وبالجملة فهذا من ابطل الاقوال وأفسدها وهو افسد من قول من قال انها بالجابية فان ذلك مكان متسع فضاء بخلاف البئر الضيقة.

فصل

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسى والبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان اراد بها فى ارض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هى فى برزخ بينهما فأرواح المؤمنين فى برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأرواح الكفار فى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة وأصله الحاجز بين الشيئين.

فصل

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن يساره فلعمر الله لقد قال قولا يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رآهم كذلك، ولكن لايدل ذلك على تعادلهم فى اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه فى العلو والسعة وهؤلاء عن يساره فى السفل والسجن.

وقد قال ابو محمد بن حزم ان ذلك البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا، قال وذلك عند منقطع العناصر، قال

وهذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر وهى الماء والتراب والنار والهواء .

وهو دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فأى دليل له على هذا القول من كتاب وسنة ؟ وسيأتى اشباع الكلام على قوله اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى .

فان قيل فاذا كانت ارواح اهل السعادة عن يمين آدم وآدم فى السماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء فى ظل العرش والعرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبى صلى الله عليه وآله وسلم هناك فى السماء الدنيا ؟ فالجواب من وجوه (احدها) انه لا يمتنع كونها عن يمينه فى جهة العلو كما كانت ارواح الاشقياء عن يساره فى جهة السفل (الثانى) انه غير ممتنع ان تعرض على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى سماء الدنيا وإن كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) انه لم يخبر أنه رأى ارواح السعداء جميعا هناك بل قال فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعا ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك فى السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك وأرواح السعداء بعضها اعلى من بعض بحسب منازلهم كما ان ارواح الاشقياء بعضها اسفل من بعض بحسب منازلهم ، والله اعلم .

فصل

وأما قول ابى محمد بن حزم ان مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها - فهذا بناء منه على مذهبه الذى اختاره وهو أن الارواح مخلوقة قبل الاجساد وهذا فيه قولان للناس ، وجمهورهم على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا انها خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك اوأحاديث لا تصح كما احتج به ابو محمد ابن حزم من قوله تعالى (وإذأخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآية وبقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) قال فصحّ ان الله

خلق الارواح جملة وهى الانفس ، وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف ، قال وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل ان يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها فى الاجساد والاجساد يومئذ تراب ، وقال لأن الله تعالى خلق ذلك بلفظة ثم التى توجب التعقيب والمهلة ثم اقرّها سبحانه وتعالى حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت .

وسنذكر ما فى هذا الاستدلال عند جواب سؤال السائل عن الارواح هى مخلوقة مع الابدان ام قبلها ؟ اذ الغرض هنا الكلام على مستقر الارواح بعد الموت ، وقوله انها تستقر فى البرزخ الذى كانت فيه قبل خلق الاجساد مبنى على هذا الاعتقاد الذى اعتقده ، وقوله ان أرواح السعداء عن يمين آدم وأرواح الكفار الاشقياء عن يساره حق كما اخبر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوله ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه اقوال اهل الاسلام والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر فى الجنة عند الله وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابو محمد على ان ارواح الشهداء فى الجنة ومعلوم ان الصديقين افضل منهم فكيف تكون روح ابى بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم رضى الله عنهم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا الفلك الادنى وتحت السماء الدنيا وتكون ارواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السموات .

وأما قوله قد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا الذى قلناه بعينه قال وعلى هذا جميع اهل العلم وهو قول جميع اهل الاسلام .

قلت محمد بن نصر المروزى ذكر فى كتاب الرد على ابن قتيبة فى تفسير قوله تعالى (وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم) الآثار التى ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم فى صلبه وأنه اخرجهم مثل الذر وأنه سبحانه قسمهم اذ ذاك

الى شقى وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم ومايصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحاق اجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم (وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اوتقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكر ابو محمد حيث تنقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كائنة قبل خلق الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه اخرجها حينئذ فخاطبها ثم ردها الى صلب آدم وهذا القول وإن كان قد قاله جماعة من السلف والخلف فالقول الصحيح غيره كما ستقف عليه ان شاء الله اذ ليس الغرض فى جواب هذه المسئلة الكلام فى الارواح هل هى مخلوقة قبل الاجساد أم لا حتى لوسلم لأبى محمد هذا كله لم يكن فيه دليل على ان مستقرها حيث تنقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها اولا .

فصل

وأما قول من قال مستقرها العدم المحض . فهذا قول من قال انها عرض من اعراض البدن وهو الحياة وهذا قول الباقلانى ومن تبعه . وكذلك قال ابو الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ولم يعينه بأنه الحياة كما عينه ابن الباقلانى ثم قال هى عرض كسائر اعراض الجسم .

وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه كما تقدم وسائر اعراضه المشروطة بالحياة ومن يقول منهم ان العرض لايبقى زمانين كما يقوله اكثر الاشعرية فمن قولهم ان روح الانسان الآن هى غير روحه قبل وهو لاينفك يحدث له روح ثم تغير ثم روح ثم تغير هكذا ابدا فيبدل له الف روح فأكثر فى مقدار ساعة من الزمان فما دونها فاذا مات فلا روح تصعد الى السماء وتعود الى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها ابواب السموات ولا تنعم ولا تعذب وإنما ينعم ويعذب الجسد اذا شاء الله تنعيمه وتعذيبه رد إليه الحياة فى وقت يريد نعيمه وعذابه وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة .

وقال بعض ارباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب فهو الذى يعذب وينعم حسب .

وهذا قول يرده الكتاب والسنه وإجماع الصحابة وأدلة العقول والفطن والفطرة وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على انها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل وتستفتح لها ابواب السماء وتسجد وتتكلم وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة وتكفن وتحنط فى اكفان الجنة والنار وأن ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة من يده ويشم لها كأطيب نفحة مسك اوأنتن جيفة وتشيع من سماء الى سماء ثم تعاد الى الارض مع الملائكة وأنها اذا خرجت تبعها البصر بحيث يراها وهى خارجة ، ودل القرآن على انها تنتقل من مكان الى مكان حتى تبلغ الحلقوم فى حركتها ، وجميع ما ذكرنا من الادلة الدالة على تلاقى الارواح وتعارفها وأنها اجناد مجندة الى غير ذلك تبطل هذا القول ، وقد شاهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الارواح ليلة الاسراء عن يمين آدم وشماله وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة ، وأن ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر ، وأخبر تعالى عن ارواح آل فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا .

ولما اورد ذلك على ابن الباقلانى لجّ فى الجواب وقال يخرج على هذا احد وجهين إما بأن يوضع عرض من الحياة فى اول جزء من اجزاء الجسم وإما ان يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جسد آخر .

وهذا قول فى غاية الفساد من وجوه كثيرة، وأى قول افسد من قول من يجعل روح الانسان عرضا من الاعراض تتبدل كل ساعة الوفا من المرات فاذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل فهذا قول مخالف للعقل ونصوص الكتاب والسنة والفطرة وهو قول من لم يعرف نفسه، وسيأتى ذكر الوجوه الدالة على بطلان هذا القول

فى موضعه من هذا الجواب ان شاء الله . وهو قول لم يقل به احد من سلف الأمة ولا من الصحابة والتابعين ولا أئمة الاسلام .

فصل

وأما قول من قال ان مستقرها بعد الموت، ابدان أخر غير هذه الابدان . فهذا القول فيه حق وباطل .

فأما الحق فما اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم عن ارواح الشهداء انها فى حواصل طير خضر تأوى الى قناديل معلقة بالعرش هى لها كالأوكار للطائر ، وقد صرح بذلك فى قوله ، جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة – يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ، ويحتمل ان يكون الروح فى صورة طائر وهذا اختيار ابى محمد بن حزم وأبى عمر ابن عبد البر ، وقد تقدم كلام ابى عمر والكلام عليه ، وأما ابن حزم فانه قال معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق – هو على ظاهره لا على ظن اهل الجهل وإنما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم ان نسمة المؤمن طائر يعلق بمعنى انها تطير فى الجنة لا انها تمسخ فى صورة الطير – قال فان قيل ان النسمة مؤنثة – قلنا قد صح عن عربى فصيح انه قال اتتك كتابى فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب ؟ قال أوليس صحيفة وكذلك النسمة تذكر كذلك ، قال وأما الزيادة التى فيها انها فى حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التى تأوى اليها والحديثان معا حديث واحد . وهذا الذى قاله فى غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة غير حديث أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ، والذى ذكره محتمل فى الحديث الاول واما الحديث الثانى فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وآله وسلم اخبر أن أرواحهم فى حواصل طير ، وفى لفظ فى اجواف طير خضر ، وفى لفظ بيض ، وان تلك الطير تسرح فى الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من انهارها ثم تأوى الى قناديل تحت

العرش هى لها كالأوكار للطائر ، وقوله ان حواصل تلك الطير هى صفة القناديل التى تأوى اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير فهاهنا ثلاثة امور صرح بها الحديث ، أرواح ، وطير هى فى اجوافها ، وقناديل هى مأوى لتلك الطير . والقناديل مستقرة تحت العرش لاتسرح والطير تسرح وتذهب وتجىء والارواح فى اجوافها .

فان قيل يحتمل ان تجعل نفسها فى صورة طير لا انها تركب فى بدن طير كما قال تعالى (فى اى صورة ماشاء ركبك) ويدل عليه قوله فى اللفظ الآخر ارواحهم كطير خضر كذلك رواه ابن ابى شيبة حدثنا ابو معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله .

قال ابو عمرو والذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول قول من قال كطير اوصورة طير لمطابقته لحديثنا المذكور — يعنى حديث كعب بن مالك فى نسمة المؤمن .

فالجواب ان هذا الحديث قد روى بهذين اللفظين والذى رواه مسلم فى الصحيح من حديث الأعمش عن مسروق (١) فلم يختلف حديثهما انها فى اجواف طير خضر .

(وأما حديث ابن عباس) فقال عثمان بن ابى شيبة ثنا عبدالله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن اسمعيل بن امية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اصيب اخوانكم يعنى يوم احد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم

---

(١) تأمل ، والذى فى صحيح مسلم عن يحيى بن يحيى وابى بكر بن ابى شيبة عن ابى معاوية ، وعن ابن نمير عن اسباط وابى معاوية ، وعن اسحاق عن جرير وعيسى بن يونس ، كلهم عن الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق ولفظه « فى جوف طير خضر » لكن قال مسلم بعد ذكر ابن نمير « واللفظ له » ح .

و مقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد؟ فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموانا بل احياء عند ربهم يرزقون)

(وأما حديث كعب بن مالك) فهو فى السنن الاربعة ومسند احمد ولفظه للترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ارواح الشهداء فى طير خضر تعلق من ثمر الجنة او شجر الجنة - قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. ولا محذور فى هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب ولا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان اعاضهم من ابدانهم التى مزقوها لله ابدانا خيرا منها تكون مركبا لأرواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم فاذا كان يوم القيامة ردّ أرواحهم الى تلك الابدان التى كانت فيها فى الدنيا .

فان قيل فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح فى ابدان غير ابدانها التى كانت فيها .

قيل هذا المعنى الذى دلت عليه السنة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا كما ان اثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله عزوجل وحقائق اسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما وكذلك مادل عليه العقل والنقل من اثبات افعاله وكلامه بمشيئته ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلين له حلول حوادث كما ان ما دل عليه العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم واستوائه على عرشه وعروج الملائكة والروح اليه ونزولها من عنده وصعود الكلم الطيب اليه وعروج رسوله اليه ودنوه منه حتى صار قاب قوسين اوأدنى وغير ذلك من الادلة حق لا يبطله تسمية الجهمية له حيزا وجهة وتجسيما .

قال الامام احمد «لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين» فان هذا

شأن اهل البدع يلقبون اهل السنة وأقوالها بالالقاب التى ينفرون منها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفى علوه على خلقه وإستوائه على عرشه كما تسمى الرافضة موالاة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وكما تسمى القدرية المجوسية اثبات القدر جبرا فليس الشأن فى الالقاب وإنما الشأن فى الحقائق والمقصود أن (تسمية ـ ١) مادلت عليه السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هـذا المعنى، وانما التناسخ الباطل ماتقوله اعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد أن الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات والطيور التى تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتتنعم فيها او تعذب ثم تفارقها وتحل فى ابدان أخر تناسب اعمالها وأخلاقها وهكذا ابدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والانبياء من اولهم الى آخرهـم وهو كفر بالله واليوم الآخر، وهـذه الطائفة يقولون ان مستقر الارواح بعد المفارقة ابدان الحيوانات التى تناسبها، وهو ابطل قول واخبثه، ويليه قول من قال ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا تبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم والعذاب يقع على اجزاء الجسد اوجزء منه اما عجب اوغيره فيخلق الله فيه الالم واللذة ما إبواسطة ردالحياة اليه كما قاله بعض ارباب هذا القول اوبدون ردالحياة كما قاله آخرون منهم، فهؤلاء عندهم لاعذاب فى البرزخ الاعـلى الاجساد، ومقابلهم من يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط، والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء وتبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومنفردين.

فان قيل فقد ذكرتم اقوال الناس فى مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى نعتقده؟

---

(١) زدنا هذه الكلمة اذ لابد منها ـ ح

قيل الارواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ اعظم تفاوت (فمنها) ارواح فى اعلى عليين فى الملأ الاعلى وهى ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسراء .

(ومنها) ارواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى ارواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه اوغيره كما فى المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله مالى ان قتلت فى سبيل الله ؟ قال الجنة فلما ولّى قال الا الدين سارّنى به جبريل آنفا .

(ومنهم) من يكون محبوسا على باب الجنة كما فى الحديث الآخر رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة .

(ومنهم) من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفسى بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا فى قبره .

(ومنهم) من يكون مقرّه باب الجنة كما فى حديث ابن عباس ، الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية — رواه احمد . وهذا بخلاف جعفر بن ابى طالب حيث ابدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء .

(ومنهم) من يكون محبوسا فى الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية ارضية فان الانفس الارضية لاتجامع الانفس السماوية كما لا تجامعها فى الدنيا والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه بل هى ارضية سفلية ، لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التى كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من احب فى البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ

و يوم المعاد كما تقدم فى الحديث ويجعل روحه يعنى المؤمن مع النسم الطيب اى الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

(ومنها) ارواح تكون فى تنور الزناة والزوانى (وأرواح) فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح فى اعلى عليين ، وروح ارضية سفلية لا تصعد عن الارض .

وأنت اذا تأملت السنن والآثار فى هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ، ولا تظن ان بين الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضا فانها كلها حق يصدق بعضها بعضا، لكن الشأن فى فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وأنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهى اسرع شىء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا وانها تنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم اعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق، وما اشبه حالها فى هذا البدن بحال البدن فى بطن امه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار .

فلهذه الانفس اربع دور كل دار اعظم من التى قبلها (الدار الاولى) فى بطن الام وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث (والدار الثانية) هى الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة (والدار الثالثة) دار البرزخ وهى اوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (والدار الرابعة) دار القرار وهى الجنة والنار فلا دار بعدها والله ينقلها فى هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهى التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها اليها ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها

ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذى فاوت بينها فى درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها فى مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها ، فمن عرفها كما ينبغى شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الامر كله وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه ، وعرف بمعرفة نفسه صدق انبيائه ورسله وأن الذى جاؤا به هو الحق الذى تشهد به العقول وتقر به الفطر وما خالفه فهو الباطل .

وبالله التوفيق .

فصل

(وأما المسئلة السادسة عشر وهى هل تنتفع أرواح الموتى بشىء من سعى الاحياء ام لا)

(فالجواب) انها تنتفع من سعى الاحياء بأمرين مجمع عليهما بين اهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير (احدهما) ما تسبب اليه الميت فى حياته (والثانى) دعاء المسلمين له واستغفارهم والصدقة والحج على نزاع ما الذى يصل من ثوابه هل هو ثواب الانفاق او ثواب العمل ، فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية انما يصل ثواب الانفاق .

واختلفوا فى العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فمذهب الامام احمد وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض اصحاب ابى حنيفة نص على هذا الامام احمد فى رواية محمد بن يحيى الكحال قال قيل لابى عبدالله الرجل يعمل الشىء من الخير من صلاة او صدقة او غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه اولأمه؟ قال ارجو أو قال الميت يصل اليه كل شىء من صدقة اوغيرها . وقال ايضا اقرأ آية الكرسى ثلاث مرات وقل هو الله احد وقل اللهم ان فضله لأهل المقابر .

والمشهور من مذهب الشافعى ومالك ان ذلك لا يصل .

وذهب بعض اهل البدع من اهل الكلام أنه لا يصل الى الميت شىء البتة لادعاء ولا غيره .

فالدليل على انتفاعه بما تسبب اليه فى حياته ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث ، من صدقة جارية، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له . فأستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على انها منه فانه هو الذى تسبب اليها (وفى سنن ابن ماجه) من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره اوولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه اونهرا أكراه اوصدقة اخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته .

(وفى صحيح مسلم) ايضا من حديث جرير بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شىء . وهذا المعنى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان .

(وفى المسند) عن حذيفة قال سأل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فامسك القوم ثم ان رجلا اعطاه فأعطى القوم فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم من سنّ خيرا فاستنّ به كان له اجره ومن اجور من تبعه غير منتقص من اجورهم شيئا ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزروه ومن اوزار من تبعه غير منتقص من اوزارهم شيئا .

وقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاتقتل نفس ظلما الا كان على بن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل فاذا كان هذا فى العذاب والعقاب ففى الفضل والثواب اولى وأحرى .

فصل

والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والاجماع وقواعد الشرع .

(أما القرآن) فقوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالايمان) فأثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الاحياء ٠

وقد يمكن ان يقال انما انتفعوا باستغفارهم لأنهم سنوا لهم الايمان بسبقهم اليه فلما اتبعوهم فيه كانوا كالمستنين فى حصوله لهم، لكن قددل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الامة على الدعاء له فى صلاة الجنازة ٠

(وفى السنن) من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء ٠

(وفى صحيح مسلم) من حديث عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطاء كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار ٠

(وفى السنن) عن واثلة بن الاسقع قال صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت اهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم ٠

وهذا كثير فى الاحاديث بل هو المقصود بالصلاة على الميت وكذلك الدعاء له بعد الدفن ٠

(وفى السنن) من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل ٠

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم (كما فى صحيح مسلم) من حديث بريدة بن الحصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم اذا

خرجوا الى المقابر أن يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافيه .

(وفى صحيح مسلم) ان عائشة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم كيف تقول اذا استغفرت لأهل القبور ؟ قال قولى السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا ان شاء الله بكم للاحقون .

(وفى صحيحه) عنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج فى ليلتها من آخر الليل الى البقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد .

ودعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم للاموات فعلا وتعليما ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرا بعد عصر اكثر من ان يذكر وأشهر من ان ينكر وقد جاء ان الله يرفع درجة العبد فى الجنة فيقول أنى لى هذا فيقال بدعاء ولدك لك .

فصل

وأما وصول ثواب الصدقة (ففى الصحيحين) عن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ان امى افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها اجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم .

(وفى صحيح البخارى) عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ان سعد بن عبادة توفيت امه وهو غائب عنها فأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ان امى توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها ؟ قال نعم قال فانى اشهدك ان حائطى المخراف صدقة عنها .

(وفى صحيح مسلم) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ان ابى مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى عنه ان اتصدق عنه ؟ قال نعم .

(وفى السنن ومسند احمد) عن سعد بن عبادة انه قال يارسول الله ان ام سعد

ماتت فأى الصدقة افضل؟ قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد.

(عن) عبدالله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر فى الجاهلية ان ينحر مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين وأن عمرا سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال أما ابوك فلو اقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك – رواه الامام احمد.

فصل

وأما وصول ثواب الصوم (ففى الصحيحين) عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه.

(وفى الصحيحين) ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله امى ماتت وعليها صوم شهر أفاقضيه عنها؟ قال نعم فدين الله احق ان يقض.

(وفى رواية) جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله ان امى ماتت وعليها صوم نذر أفاصوم عنها؟ قال أفرأيت لوكان على امك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها؟ قالت نعم قال فصومى عن امك. وهذا اللفظ للبخارى وحده تعليقا.

(وعن بريدة رضى الله عنه) قال بينا انا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذأتته امرأة فقالت انى تصدقت على امى بجارية وانها ماتت فقال وجب اجرك وردها عليك الميراث فقالت يا رسول الله انه كان عليها صوم شهر أفاصوم عنها؟ قال صومى عنها، قالت انها لم تحج قط أفاحج عنها؟ قال حجى عنها. رواه مسلم. وفى لفظ صوم شهرين.

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما) ان امرأة ركبت البحر فنذرت إن الله نجاها ان تصوم شهرا فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها اوأختها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها ان تصوم عنها. رواه اهل السنن والامام احمد.

وكذلك روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم وصول ثواب بدل الصوم وهو الاطعام.

(ففى السنن) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين . رواه الترمذى وابن ماجه - قال الترمذى ولا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه والصحيح عن ابن عمر من قوله موقوفا .

(وفى سنن ابى داود) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا مرض الرجل فى رمضان ولم يصم اطعم عنه ولم يكن عنه قضاء وإن نذر قضى عنه وليه .

فصل

وأما وصول ثواب الحج ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان امى نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال حجى عنها أرأيت لو كان على امك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله احق بالقضاء .

وقد تقدم حديث بريدة وفيه ان امى لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال حجى عنها .

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما) قال ان امرأة سنان بن سلمة الجهنى سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امها ماتت ولم تحج أفيجزئ ان تحج عنها ؟ قال نعم لو كان على امها دين فقضته عنها ألم يكن يجزئ عنها ، رواه النسائى .

(وروى) ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن انها مات ولم يحج قال حجى عن ابنك .

(وروى) ايضا عنه قال قال رجل يا نبى الله ان ابى مات ولم يحج أفأحج عنه ؟ قال أرأيت لو كان على ابيك دين أكنت قاضيه ؟ قال نعم ، قال فدين الله احق .

وأجمع المسلمون على ان قضاء الدين يسقطه من ذمته ولو كان من اجنبى او من غير تركته ، وقد دل عليه حديث ابى قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال له النبى صلى الله عليه وسلم الآن بردت عليه جلدته .

وأجمعوا على ان الحى اذا كان له فى ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه انه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحى .

فاذا

فاذاسقط من ذمة الحى بالنص والاجماع مع امكان ادائه له بنفسه ولولم يرض به بل رده فسقوطه من ذمة الميت بالابراء حيث لايتمكن من ادائه اولى وأحرى، واذا انتفع بالابراء والاسقاط فكذلك ينتفع بالهبة والاهداء، ولافرق بينهما فان ثواب العمل حق المهدى الواهب فاذاجعله للميت انتقل اليه، كما ان ماعلى الميت من الحقوق من الدين وغيره هومحض حق الحى فاذا ابرأه وصل الابراء اليه وسقط من ذمته فكلاهما حق للحى فأى نص اوقياس اوقاعدة من قواعد الشرع يوجب وصول احدهما ويمنع وصول الأخرى .

هذه النصوص متظاهرة على وصول ثواب الاعمال الى الميت اذا فعلها الحى عنه وهذامحض القياس فان الثواب حق للعامل فاذا وهبه لأخيه المسلملم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله فى حياته وإبرائه له منه بعد موته .

وقد نبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بوصول ثواب الصوم الذى هومجرد ترك ونية تقوم بالقلب لايطلع عليه الا الله وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة التى هى عمل باللسان تسمعه الاذن وتراه العين بطريق الاولى .

ويوضحه ان الصوم نية محضة وكف النفس عن المفطرات وقد أوصل الله ثوابه الى الميت فكيف بالقراءه التى هى عمل ونية بل لاتفتقر الى النية فوصول ثواب الصوم الى الميت فيه تنبيه على وصول سائر الاعمال .

والعبادات قسمان، مالية وبدنية، وقد نبه، الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية، فالانواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار وبالله التوفيق .

قال المانعون من الوصول قال الله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقال (ولاتجزون الاما كنتم تعملون) وقال (لهاما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث . صدقة جارية عليه . او ولد صالح يدعوله . او علم ينتفع به من بعد

فاخبر أنه انما ينتفع بما كان تسبب اليه فى الحياة وما لم يكن قد تسبب اليه فهو منقطع عنه .

وايضا فحديث ابى هريرة رضى الله عنه المتقدم وهو قوله ان مما يلحق الميت من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ـ الحديث يدل على انه انما ينتفع بما كان قد تسبب فيه .

وكذلك حديث انس يرفعه سبع يجرى على العبد اجرهن وهو فى قبره بعد موته من علم علما ، اوأكرى نهرا ، اوحفر بئرا ، اوغرس نخلا ، اوبنى مسجدا ، او ورث مصحفا ، اوترك ولدا صالحا يستغفر له بعد موته .

وهذ يدل على ان ما عدا ذلك لايحصل له منه ثواب وإلا لم يكن للحصر معنى .

قالوا والاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم والاعمال لا توجب الثواب وإنما هو مجرد تفضل الله وإحسانه فكيف يحيل العبد على مجرد الفضل الذى لايجب على الله بل ان شاء آتاه وإن لم يشأ لم يؤته وهو نظير حوالة الفقير على من يرجو أن يتصدق عليه ، ومثل هذا لا يصح اهداؤه وهبته كصلة ترجى من ملك لا لتحقق حصولها .

وايضا فالايثار باسباب الثواب مكروه وهو الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذى هو غاية فاذا كره الايثار بالوسيلة فالغاية اولى وأحرى .

وكذلك كره الامام احمد التأخر عن الصف الاول وإيثار الغير به لمافيه من الرغبة عن سبب الثواب ، قال احمد فى رواية حنبل وقد سئل عن الرجل يتأخر عن الصف الاول ويقدم اباه فى موضعه قال مايعجبنى هو يقدر أن يبرّ أباه بغير هذا .

قالوا وايضا لوساغ الاهداء الى الميت لساغ نقل الثواب والاهداء الى الحى .

وايضا لوساغ ذلك لساغ لهذا نصف الثواب وربعه وقيراط منه .

وايضا لوساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد أن يعمله لنفسه وقد قلتم انه لا بدأن ينوى حال الفعل اهداؤه الى الميت وإلا لم يصل اليه فاذا ساغ له نقل الثواب فاى فرق بين ان ينوى قبل الفعل اوبعده .

وأيضا لوساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات على الحى كما يسوغ اهداء ثواب التطوعات التى يتطوع بها .

قالوا وإن التكاليف امتحان وابتلاء لا تقبل البدل فان المقصود منها عين المكلف العامل المأمور المنهى فلا يبدل المكلف الممتحن بغيره ولا ينوب غيره عنه فى ذلك اذ المقصود طاعته هو نفسه وعبوديته ولوكان ينتفع باهداء غيره له من غير عمل منه لكان اكرم الاكرمين اولى بذلك وقدحكم سبحانه انه لا ينتفع الابسعيه وهذه سنته تعالى فى خلقه وقضاؤه كما هى سنته فى امره وشرعه فان المريض لاينوب عنه غيره فى شرب الدواء والجائع والظمآن والعارى لاينوب عنه غيره فى الاكل والشرب واللباس . قالوا ولو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه . قالوا ولهذا لايقبل الله اسلام احد ولاصلاته عن صلاته فاذا كان رأس العبادات لا يصح اهداء ثوابه فكيف فروعها .

قالوا وأما الدعاء فهو سؤال ورغبة الى الله ان يتفضل على الميت ويسامحه ويعفو عنه وهذا إهداء ثواب عمل الحى اليه .

قال المقتصرون على وصول العبادات التى تدخلها النيابة كالصدقة والحج العبادات نوعان نوع لا تدخله النيابة بحال كالاسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لايتعداه ولا ينقل عنه كما انه فى الحياة لايفعله احد عن احد ولاينوب فيه عن فاعله غيره .

ونوع تدخله النيابة كرد الودائع وأداء الديون وإخراج الصدقة والحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لأنه يقبل النيابة ويفعله العبد عن غيره فى حياته فبعد موته بالطريق الاولى والاحرى .

قالوا وأما حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه ، فجوابه من وجوه .

(احدها) ماقاله مالك فى موطأه قال لايصوم احد عن احد . قال وهو امر مجمع عليه عندنا لاخلاف فيه .

(الثانى) ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى روى حديث الصوم عن الميت

وقد روى عنه النسائى (اخبرنا) محمد بن عبدالاعلى ثنا يزيد بن زريع ثنا حجاج الاحول ثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لايصلى احد عن احد .

(الثالث) انه حديث اختلف فى اسناده هكذا قال صاحب المفهم فى شرح مسلم .

(الرابع) انه معارض بنص القرآن كما تقدم من قوله تعالى(وأن ليس للانسان الاماسعى) .

(الخامس) انه معارض بما رواه النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لايصلى احد عن احد ولايصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدا من حنطة .

(السادس) انه معارض بحديث محمد بن عبدالرحمن بن ابى ليلى عن نافع عن ابن عمر رضى‌الله عنهما عن النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه .

(السابع) انه معارض بالقياسِ الجلى على الصلاة والاسلام والتوبة فان احدا لا يفعلها عن احد . قال الشافعى فيما تكلم به عن على خبر ابن عباس لم يسم ابن عباس ما كان نذر أم سعد فاحتمل ان يكون نذر حج اوعمرة اوصدقة فأمره بقضائه عنها . فأما من نذر صلاة او صياما ثم مات فانه يكفر عنه فى الصوم ولا يصام عنه ولا يصلى عنه ولا يكفر عنه فى الصلاة ثم قال فان قيل أفروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر احدا أن يصوم عن أحد؟ قيل نعم روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فان قيل فلم لا تأخذ به ؟ قيل حديث الزهرى عن عبيدالله عن ابن عباس رضى‌الله عنهما عن النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم نذرا ولم يسمه مع حفظ الزهرى وطول مجالسة عبيدالله لابن عباس فلما جاء غيره عن رجل عن ابن عباس بغير ما فى حديث عبيدالله اشبه ان لا يكون محفوظا . فان قيل فتعرف الرجل الذى جاء بهذا الحديث يغلط عن ابن عباس ؟ قيل نعم روى اصحاب ابن عباس عن ابن عباس

انه قال لابن الزبير إن الزبير حل من متعة الحج فروى هذا عن ابن عباس انها متعة النساء . وهذا غلط فاحش .

فهذا الجواب عن فعل الصوم . وأما فعل الحج فانما يصل منه ثواب الانفاق وأما افعال المناسك فهى كأفعال الصلاة انما تقع عن فاعلها .

قال اصحاب الوصول ليس فى شىء مما ذكرتم ما يعارض ادلة الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ومقتضى قواعد الشرع ونحن نجيب عن كل ما ذكرتموه بالعدل والانصاف .

أما قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) فقد اختلف طرق الناس فى المراد بالآية . فقالت طائفة المراد بالانسان ها هنا الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له بالادلة التى ذكرناها . قالوا وغاية ما فى هذا التخصيص وهو جائز اذا دل عليه الدليل .

وهذا الجواب ضعيف جدا ومثل هذا العام لا يراد به الكافر وحده بل هو للمسلم والكافر وهو كالعام الذى قبله وهو قوله تعالى (ان لا تزر وازرة وزر أخرى) والسياق كله من اوله الى آخره كالصريح فى ارادة العموم لقوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) وهذا يعم الشر والخير قطعا ويتناول البر والفاجر والمؤمن والكافر كقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وكقوله فى الحديث الالهى يا عبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وهو كقوله تعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) ولا يغتر بقول كثير من المفسرين فى لفظ الانسان فى القرآن الانسان هاهنا ابو جهل والانسان هاهنا عقبة بن ابى معيط والانسان هاهنا الوليد بن المغيرة فالقرآن اجل من ذلك بل الانسان هو الانسان من حيث هو من غير اختصاص بواحد بعينه كقوله تعالى (ان الانسان لفى خسر) و (ان الانسان لربه لكنود) و (ان الانسان خلق هلوعا) و (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) و (ان الانسان

لظلوم كفار) (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) فهذا شأن الانسان من حيث ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه وتوفيقه له ومنته عليه لا من ذاته فليس له من ذاته الا هذه الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذى حبّب الى عبده الايمان وزيّنه فى قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وهو الذى كتب فى قلبه الايمان . والذى يثبت انبياءه ورسله وأولياءه على دينه وهو الذى يصرف عنهم السوء والفحشاء . وكان يرتجز بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

وقد قال تعالى (وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) وقال تعالى (وما يذكرون الا ان يشاء الله) (وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) فهو رب جميع العالم ربوبية شاملة لجميع ما فى العالم من ذوات وأفعال وأحوال .

وقالت طائفة الآية اخبار بشرع من قبلنا وقد دل شرعنا على انه له ما سعى وما سعى له وهذا ايضا اضعف من الاول او من جنسه فان الله سبحانه اخبر بذلك اخبار مقرر له محتج به لا اخبار مبطل له ولهذا قال (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى) فلو كان هذا باطلا فى هذه الشريعة لم يخبر به اخبار مقرر له محتج به .

وقالت طائفة اللام بمعنى على اى وليس على الانسان الا ما سعى . وهذا ابطل من القولين الاولين فانه قلب موضوع الكلام الى ضد معناه المفهوم منه ولا يسوغ مثل هذا ولا تحتمله اللغة ، وأما نحو (ولهم اللعنة) فهى على بابها اى نصيبهم وحظهم وأما ان العرب تعرف فى لغاتها لى درهم بمعنى علىّ درهم فكلا .

وقالت طائفة فى الكلام حذف تقديره (وأن ليس للانسان الا ما سعى) او سعى له وهذا ايضا من النمط الاول فانه حذف ما لا يدل السياق عليه بوجه وقول على الله وكتابه بلا علم .

وقالت طائفة اخرى الآية منسوخة بقوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) وهذا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وهذا

ضعيف ايضا ولايرفع حكم الآية بمجرد قول ابن عباس رضى الله عنهما ولاغيره انها منسوخة والجمع بين الآيتين غير متعذر ولاممتنع فان الابناء تبعوا الآباء فى الآخرة كما كانوا تبعالهم فى الدنيا وهذه التبعية هى من كرامة الآباء وثوابهم الذى نالوه بسعيهم وأما كون الابناء لحقوابهم فى الدرجة بلاسعى منهم فهذا ليس هولهم وانما هوللآباء اقرالله اعينهم بالحاق ذريتهم بهم فى الجنة وتفضل على الابناء بشىء لم يكن لهم كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين والخلق الذين ينشئهم للجنة بغير اعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلاخير قدموه ولاعمل عملوه فقوله تعالى (ان لا تزروا زرة وزر أخرى) وقوله (وأن ليس للانسان الاما سعى) آيتان محكمتان يقتضيهما عدل الرب تعالى وحكمته وكماله المقدس ، والعقل والفطرة شاهدان بهما فالاولى تقتضى انه لا يعاقب بجرم غيره والثانية تقتضى انه لايفلح الابعمله وسعيه فالاولى تؤمن العبد من اخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا والثانية تقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه كما عليه اصحاب الطمع الكاذب فتأمل حسن اجتماع هاتين الآيتين .

ونظيره قوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر اخرى ـ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) فحكم سبحانه لعباده بأربعة احكام هى غاية العدل والحكمة (احدها) ان هدى العبد بالايمان والعمل الصالح لنفسه لالغيره (الثانى) ان ضلاله بفوات ذلك وتخلفه عنه على نفسه لاعلى غيره (الثالث) ان احدا لايؤاخذ بجريرة غيره (الرابع) انه لايعذب احدا الابعد إقامة الحجة عليه برسله . فتأمل ما فى ضمن هذه الاحكام الاربعة من حكمته تعالى وعدله وفضله ، والرد على اهل الغرور والاطماع الكاذبة ، وعلى اهل الجهل بالله وأسمائه وصفاته .

وقالت طائفة اخرى ، المراد بالانسان هاهنا الحى دون الميت وهذا ايضا من النمط الاول فى الفساد .

وهذا كله من سوء التصرف فى اللفظ العام وصاحب هذا التصرف لاينفذ تصرفه

فى دلالات الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها وما يتبادر الى الذهن منها وهو تصرف فاسد قطعا يبطله السياق والاعتبار وقواعد الشرع وأدلته وعرفه وسبب هذا التصرف السيئ ان صاحبه يعتقد قولا ثم يرد كلما دل على خلافه بأى طريق اتفقت له فالادلة المخالفة لما اعتقده عنده من باب الصائل لايبالى بأى شيء دفعه . وأدلة الحق لاتتعارض ولا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا .

وقالت طائفة اخرى وهو جواب ابى الوفاء بن عقيل ، قال الجواب الجيد عندى ان يقال الانسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الاصدقاء وأولد الاولاد ونكح الازواج وأسدى الخير وتودد الى الناس فترحموا عليه واهدوا له العبادات وكان ذلك اثر سعيه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وأن ولده من كسبه . ويدل عليه قوله فى الحديث الآخر اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ، علم ينتفع به من بعده ، وصدقة جارية عليه ، او ولد صالح يدعو له . ومن هنا قال الشافعى اذا بذل له ولده طاعة الحج كان ذلك سببا لوجوب الحج عليه حتى كأنه فى ماله زاد وراحلة بخلاف بذل الاجنبي .

وهذا جواب متوسط يحتاج الى تمام فان العبد بايمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى فى انتفاعه بعمل اخوانه المؤمنين مع عمله كما ينتفع بعملهم فى الحياة مع عمله فان المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض فى الاعمال التى يشتركون فيها كالصلاة فى جماعة فان كل واحد منهم تضاعف صلاته الى سبعة وعشرين ضعفا لمشاركة غيره له فى الصلاة فعمل غيره كان سببا لزيادة اجره كما ان عمله سبب لزيادة اجر الآخر بل قد قيل ان الصلاة يضاعف ثوابها بعدد المصلين وكذلك اشتراكهم فى الجهاد والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه ومعلوم ان هذا بأمور الدين اولى منه بأمور الدنيا ، فدخول المسلم مع جملة المسلمين فى عقد الاسلام من اعظم الاسباب فى وصول نفع كل من المسلمين

الى صاحبه فى حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم ، وقد أخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله انهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم ، وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، فالعبد بايمانه قد تسبب الى وصول هذا الدعاء اليه فكأنه من سعيه . يوضحه ان الله سبحانه جعل الايمان سببا لانتفاع صاحبه بدعاء اخوانه من المؤمنين وسعيهم فاذا اتى به فقد سعى فى السبب الذى يوصل اليه ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو بن العاص ان اباك لو كان اقرّ بالتوحيد نفعه ذلك يعنى العتق الذى فعل عنه بعد موته فلو اتى بالسبب لكان قد سعى فى عمل يوصل اليه ثواب العتق . وهذه طريقة لطيفة حسنة جدا .

وقالت طائفة أخرى القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره انما نفى ملكه لغير سعيه وبين الامرين من الفرق ما لا يخفى فأخبر تعالى انه لا يملك الا سعيه وأما سعى غيره فهو ملك لساعيه فان شاء ان يبذله لغيره وإن شاء ان يبقيه لنفسه وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع الا بما سعى وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها .

فصل

وكذلك قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقوله (ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) على ان هذه الآية اصرح فى الدلالة على ان سياقها انما ينفى عقوبة العبد بعمل غيره وأخذه بجريرته فان الله سبحانه قال (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) فنفى ان يظلم بأن يزاد عليه فى سيئاته او ينقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم ينف ان ينتفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء على عمله وإنما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعى منه بل وهبه ذلك على يد بعض عباده لا على وجه الجزاء .

فصل

وأما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد انقطع عمله فاستدلال

ساقط فانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل انقطع انتفاعه وإنما اخبر عن انقطاع عمله وأما عمل غيره فهو لعامله فان وهبه له فقد وصل اليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء والواصل اليه شيء آخر وكذلك الحديث الآخر وهو قوله ان مما يلحق الميت من حسناته وعمله فلا ينفى ان يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته .

فصل

وأما قولكم الاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم - فهذه حوالة المخلوق على المخلوق .

وأما حوالة المخلوق على الخالق فأمر آخر لا يصح قياسها على حوالة العبيد بعضهم على بعض ، وهل هذا الا من ابطل القياس وافسده والذى يبطله اجماع الامة على انتفاعه باداء دينه وما عليه من الحقوق وإبراء المستحق لذمته والصدقة والحج عنه بالنص الذى لا سبيل الى رده ودفعه وكذلك الصوم وهذه الاقيسة الفاسدة لا تعارض نصوص الشرع وقواعده .

فصل

وأما قولكم الايثار بسبب الثواب مكروه وهو مسئلة الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذى هو الغاية فقد اجيب عنه بأجوبة (احدها) ان حال الحياة حال لا يوثق فيها بسلامة العاقبة لجواز أن يرتد الحى فيكون قد آثر بالقربة غير اهلها وهذا قد أمن بالموت . فان قيل والمهدى اليه ايضا قد لا يكون مات على الاسلام باطنا فلا ينتفع بما يهدى اليه وهذا سؤال فى غاية البطلان فان الاهداء له من جنس الصلاة عليه والاستغفار له والدعاء له فان كان اهلا والا انتفع به الداعى وحده .

(الجواب الثانى) ان الايثار بالقرب يدل على قلة الرغبة فيها والتأخر عن فعلها فلو ساغ الايثار بها لافضى الى التقاعد والتكاسل والتأخر ، بخلاف اهداء ثوابها فان العامل يحرص عليها لاجل ثوابها لينتفع به او ينفع به اخاه المسلم فبينهما

فرق ظاهر .

(الجواب الثالث) ان الله سبحانه يحب المبادرة والمسارعة الى خدمته والتنافس فيها فان ذلك ابلغ فى العبودية فان الملوك تحب المسارعة والمنافسة فى طاعتها وخدمتها فالايثار بذلك مناف لمقصود العبودية فان الله سبحانه امر عبده بهذه القربة إما ايجابا وإما استحبابا فاذا آثر بها ترك ما امره وولاه غيره بخلاف ما اذا فعل ما امر به طاعة وقربة ثم ارسل ثوابه الى اخيه المسلم وقد قال تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) وقال (فاستبقوا الخيرات) ومعلوم ان الايثار بها ينافى الاستباق اليها والمسارعة .

وقد كان الصحابة يسابق بعضهم بعضا بالقرب ولا يؤثر الرجل منهم غيره بها قال عمر والله ما سابقنى ابوبكر الى خير إلا سبقنى اليه حتى قال والله لا اسابقك الى خير أبدا .

وقد قال تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) يقال نافست فى الشئ منافسة ونفاسا اذا رغبت فيه على وجه المباراة ، ومن هذا قولهم شىء نفيس اى هو أهل ان يتنافس فيه ويرغب فيه وهذا انفس مالى اى احبه الىّ وأنفسنى فلان فى كذا اى ارغبنى فيه، وهذا كله ضد الايثار به والرغبة عنه .

فصل

وأما قولكم لوساغ الاهداء الى الميت لساغ الى الحى فجوابه من وجهين (احدهما) انه قد ذهب الى ذلك بعض الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم قال القاضى وكلام احمد لايقتضى التخصيص بالميت فانه قال يفعل الخير ويجعل نصفه لأبيه وأمه ولم يفرق. واعترض عليه ابوالوفاء بن عقيل وقال هذا فيه بعد وهو تلاعب بالشرع وتصرف فى امانة الله وإسجال على الله سبحانه بثواب على عمل يفعله الى غيره وبعد الموت قد جعل لنا طريقا الى ايصال النفع كالاستغفار والصلاة على الميت .

ثم اورد على نفسه سؤالا وهو فان قيل أليس قضاء الدين وتحمل الكل حال الحياة

كقضائه بعد الموت فقد استوى ضمان الحياة وضمان الموت فى انهما يزيلان المطالبة عنه فاذا وصل قضاء الديون بعد الموت وحال الحياة فاجعلوا ثواب الاهداء واصلا حال الحياة وبعد الموت .

وأجاب عنه بانه لوصح هذا وجب ان تكون الذنوب تكفر عن الحى بتوبة غيره عنه ويندفع عنه مآثم الآخرة بعمل غيره واستغفاره .

قلت وهذا لايلزم بل طرد ذلك انتفاع الحى بدعاء غيره له واستغفاره له وتصدقه عنه وقضاء ديونه وهذا حق وقد أذن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى اداء فريضة الحج عن الحى المعضوب والعاجز وهما حيان .

وقد أجاب غيره من الاصحاب بأن حال الحياة لانثق بسلامة العاقبة خوفا ان يرتد المهدى له فلاينتفع بمايهدى اليه .

قال ابن عقيل وهذا عذر باطل باهداء الحى فانه لايؤمن ان يرتد ويموت فيحبط عمله كله ومن جملته ثواب ما اهدى الى الميت .

قلت هذا لا يلزمهم وموارد النص والاجماع تبطله وترده فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذن فى الحج والصوم عن الميت وأجمع الناس على براءة ذمته من الدين اذا قضاه عنه الحى مع وجود ما ذكر من الاحتمال .

والجواب ان يقال ما اهداه من اعمال البر الى الميت فقد صار ملكا له فلايبطل بردة فاعله بعد خروجه عن ملكه كتصرفاته التى تصرفها قبل الردة من عتق وكفارة بل لوحج عن معضوب ثم ارتد بعد ذلك لم يلزم المعضوب ان يقيم غيره يحج عنه فانه لايؤمن فى الثانى والثالث ذلك .

على ان الفرق بين الحى والميت ان الحى ليس بمحتاج كحاجة الميت اذ يمكنه ان يباشر ذلك العمل اونظيره فعليه اكتساب الثواب بنفسه وسعيه بخلاف الميت .

وايضا فانه يفضى الى اتكال بعض الاحياء على بعض وهذه مفسدة كبيرة فان ارباب الاموال اذا فهموا ذلك واستشعروه استأجروا من يفعل ذلك عنهم فتصير الطاعات معاوضات وذلك يفضى الى اسقاط العبادات والنوافل ويصير

مايتقرب بـه الى الله يتقرب به الى الآدميين فيخرج عن الاخلاص فلا يحصل الثواب لواحد منهما ·

ونحن نمنع من اخذ الاجرة على كل قربة ونحبط بأخذ الاجر عليها كالقضاء والفتيا وتعليم العلم والصلاة وقراءة القرآن وغيرها فلا يثيب الله عليها الا المخلص اخلص العمل لوجهه فاذا فعله للاجرة لم يثب عليه الفاعل ولا المستأجر، فلا يليق بمحاسن الشرع ان يجعل العبادات الخالصة له معاملات تقصد بها المعاوضات والاكساب الدنيوية. وفارق قضاء الديون وضمانها فانها حقوق الآدميين ينوب بعضهم فيها عن بعض فلذلك جازت فى الحياة وبعد الموت ·

فصل

وأما قولكم لوساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت فالجواب من وجهين ·

(احدهما) منع الملازمة فانكم لم تذكروا عليها دليلا الا مجرد الدعوى ·

(الثانى) التزام ذلك والقول به نص عليه الامام احمد فى رواية محمد بن يحيى الكحال ووجه هذا ان الثواب ملك له فله ان يهديه جميعه وله ان يهدى بعضه · يوضحه انه لو أهداه الى اربعة مثلا يحصل لكل منهم ربعه فاذا اهدى الربع وأبقى لنفسه الباقى جاز كما لو أهداه الى غيره ·

فصل

وأما قولكم لوساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد أن يعمله لنفسه وقد قلتم انه لابد أن ينوى حال الفعل اهداءه الى الميت والا لم يصل ·

فالجواب ان هذه المسئلة غير منصوصة عن احمد ولا هذا الشرط فى كلام المتقدمين من اصحابه وإنما ذكره المتأخرون كالقاضى وأتباعه ·

قال ابن عقيل اذا فعل طاعة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وأهداها بأن جعل ثوابها للميت المسلم فانه يصل اليه ذلك وينفعه بشرط ان يتقدم نية الهدية على الطاعة وتقارنها ·

وقال ابو عبدالله بن حمدان فى رعايته ومن تطوع بقربة من صدقة وصلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة وعتق وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة وعبادة مالية وجعل جميع ثوابها او بعضه لميت مسلم حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له او استغفر له او قضى ما عليه من حق شرعى او واجب تدخله النيابة نفعه ذلك ووصل اليه اجره وقيل ان نواه حال فعله او قبله وصل اليه والا فلا .

وسر المسئلة ان أوان شرط حصول الثواب ان يقع لمن اهدى له اولا ويجوز ان يقع للعامل ثم ينتقل عنه الى غيره، فمن شرط ان ينوى قبل الفعل او الفراغ منه وصوله قال لو لم ينوه وقع الثواب للعامل فلا يقبل انتقاله عنه الى غيره فان الثواب يترتب على العمل ترتب الاثر على مؤثره ، ولهذا لو أعتق عبدا عن نفسه كان ولاؤه له فلو نقل ولاؤه الى غيره بعد العتق لم ينتقل بخلاف ما لو اعتقه عن الغير فان ولاءه يكون للمعتق عنه ، وكذلك لو أدى دينا عن نفسه ثم اراد بعد الاداء ان يجعله عن غيره لم يكن له ذلك ، وكذلك لو حج او صام او صلى لنفسه ثم بعد ذلك اراد أن يجعل ذلك عن غيره لم يملك ذلك، ويؤيد هذا ان الذين سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك لم يسألوه عن اهداء ثواب العمل بعده وإنما سألوه عما يفعلونه عن الميت كما قال سعد أينفعها ان اتصدق عنها؟ ولم يقل ان اهدى لها ثواب ما تصدقت به عن نفسى. وكذلك قول المرأة الأخرى أفأحج عنها ؟ وقول الرجل الآخر أفأحج عن ابى ؟ فأجابهم بالاذن فى الفعل عن الميت لا باهداء ثواب ما عملوه لأنفسهم الى موتاهم فهذا لا يعرف انه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عنه قط ، ولا يعرف عن احد من الصحابة انه فعله وقال اللهم اجعل لفلان ثواب عملى المتقدم او ثواب ما عملته لنفسى .

فهذا سر الاشتراط وهو أفقه ، ومن لم يشترط ذلك يقول الثواب للعامل فاذا تبرع به وأهداه الى غيره كان بمنزلة ما يهديه اليه من ماله .

فصل

وأما قولكم لو ساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات التى تجب على الحى

فالجواب ان هذا الالزام محال على اصل من شرط فى الوصول نية الفعل عن الميت فان الواجب لا يصح ان يفعله عن الغير فان هذا واجب على الفاعل يجب عليه ان ينوى به القربة الى الله .

وأما من لم يشترط نية الفعل عن الغير فهل يسوغ عنده ان يجعل للميت ثواب فرض من فروضه؟ فيه وجهان ، قال ابو عبدالله بن حمدان وقيل ان جعل له ثواب فرض من صلاة اوصوم اوغيرهما جاز وأجزأ فاعله .

قلت وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثواب اعمالهم من فرض ونفل للمسلمين وقالوا نلقى الله بالفقر والافلاس المجرد . والشريعة لا تمنع من ذلك ، فالاجر ملك العامل فان شاء ان يجعله لغيره فلا حجر عليه فى ذلك . والله اعلم .

فصل

وأما قولكم ان التكاليف امتحان وابتلاء لا تقبل البدل اذ المقصود منها عين المكلف العامل الى آخره .

فالجواب عنه ان ذلك لا يمنع اذن الشارع للمسلم ان ينفع اخاه بشىء من عمله ، بل هذا من تمام احسان الرب ورحمته لعباده ومن كمال هذه الشريعة التى شرعها لهم التى مبناها على العدل والاحسان والتعارف ، والرب تعالى اقام ملائكته وحملة عرشه يدعون لعباده المؤمنين ويستغفرون لهم ويسألونه لهم ان يقيهم السيئات وأمر خاتم رسله ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ويقيمه يوم القيامة مقاما محمودا ليشفع فى العصاة من اتباعه وأهل سنته ، وقد أمره تعالى ان يصلى على اصحابه فى حياتهم وبعد مماتهم ، وكان يقوم على قبورهم فيدعولهم ، وقد استقرت الشريعة على ان المأثم الذى على الجميع بترك فروض الكفايات يسقط اذا فعله من يحصل المقصود بفعله ولو واحد ، وأسقط سبحانه الارتهان وحرارة الجلود فى القبر بضمان الحى دين الميت وأدائه عنه وإن كان ذلك الوجوب امتحانا فى حق المكلف ، وأذن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحج والصيام عن الميت وإن كان الوجوب امتحانا فى حقه ، وأسقط عن المأموم سجود السهو بصحة صلاة

الامام وخلوها من السهو و قراءة الفاتحة بتحمل الامام لها فهو يتحمل عن المأموم سهوه و قراءته وسترته بقراءة الامام وسترته قراءة لمن خلفه وسترة له ، وهل الاحسان الى المكلف باهداء الثواب اليه الا تأس باحسان الرب تعالى والله يحب المحسنين .

والخلق عيال الله فأحبهم اليه انفعهم لعياله ، وإذ كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء و مذقة لبن وكسرة خبز فكيف من ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع اعمالهم وحاجتهم الى شيء يهدى اليهم احوج ما كانوا اليه فأحب الخلق الى الله من ينفع عياله فى هذه الحال .

ولهذا جاء اثر عن بعض السلف انه من قال كل يوم سبعين مرة رب اغفر لى ولوالدى وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حصل له من الاجر بعدد كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ولا تستبعد هذا فانه اذا استغفر لاخوانه فقد احسن اليهم والله لا يضيع اجر المحسنين .

فصل

وأما قولكم انه لو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه وإسلامه عنه .

فهذه الشبهة تورد على صورتين (صورة تلازم) يدعى فيها اللزوم بين الامرين ثم يبين انتفاء اللازم فينتفى ملزومه وصورتها هكذا لو نفعه عمل الغير عنه لنفعه اسلامه وتوبته عنه لكن لا ينفعه ذلك فلا ينفعه عمل الغير .

(والصورة الثانية) ان يقال لا ينتفع باسلام الغير و توبته عنه فلا ينتفع بصلاته وصيامه و قراءته عنه .

ومعلوم ان هذا التلازم والاقران باطل قطعا (اما اولا) فلانه قياس مصادم لما تظاهرت به النصوص واجتمعت عليه الامة (واما ثانيا) فلانه جمع بين ما فرق الله بينه فان الله سبحانه فرق بين اسلام المرء عن غيره وبين صدقته وحجه وعتقه عنه فالقياس المسوى بينهما من جنس قياس الذين قاسوا الميتة على المذكى والربا على البيع (واما ثالثا) فان الله سبحانه جعل الاسلام سببا لنفع المسلمين بعضهم بعضا

في

فى الحياة وبعد الموت فاذا لم يأت بسبب انتفاعه بعمل المسلمين لم يحصل له ذلك النفع كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو إن اباك لو كان اقر بالتوحيد فصمت او تصدقت عنه نفعه ذلك .

وهذا كما جعل سبحانه الاسلام سببا لانتفاع العبد مما عمل من خير فاذا فاته هذا السبب لم ينفعه خير عمله ولم يقبل منه كما جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الاعمال فاذا فقد لم تقبل الاعمال، وكما جعل الوضوء وسائر شروط الصلاة سببا لصحتها فاذا فقدت فقدت الصحة ، وهذا شأن سائر الاسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والحسية فمن سوى بين حالين وجود السبب وعدمه فهو مبطل .

ونظير هذا الهوس ان يقال لو قبلت الشفاعة فى العصاة لقبلت فى المشركين ، ولو خرج اهل الكبائر من الموحدين من النار لخرج الكفار منها ، وأمثال ذلك من الاقيسة التى هى من نجاسات معد أصحابها ورجيع افواههم .

وبالجملة فالاولى بأهل العلم الاعراض عن الاشتغال بدفع هذه الهذيانات لولا انهم قد سودوا بها صحف الاعمال والصحف التى بين الناس .

فصل

وأما قولكم العبادات نوعان (نوع) تدخله النيابة فيصل ثواب اهدائه الى الميت (ونوع) لاتدخله فلا يصل ثوابه .

فهذا هو نفس المذهب والدعوى فكيف تحتجون به ومن اين لكم هذا الفرق فأى كتاب ام اى سنة ام اى اعتبار دل عليه حتى يجب المصير اليه .

وقد شرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصوم عن الميت مع ان الصوم لاتدخله النيابة وشرع للأمة ان ينوب بعضهم عن بعض فى اداء فرض الكفاية فاذا فعله واحد ناب عن الباقين فى فعله وسقط عنهم المأثم ، وشرع لقيم الطفل الذى لايعقل ان ينوب عنه فى الاحرام وأفعال المناسك وحكم له بالاجر بفعل نائبه .

وقد قال ابو حنيفة رحمه الله يحرم الرفقة عن المغمى عليه فجعلوا احرام رفقته

بمنزلة احرامه. وجعل الشارع اسلام الابوين بمنزلة اسلام اطفالهما، وكذلك اسلام السابي والمالك على القول المنصوص فقد رأيت كيف عدت هذه الشريعة الكاملة افعال البر من فاعلها الى غيرهم فكيف يليق بها ان تحجر على العبد أن ينفع والديه ورحمه واخوانه من المسلمين فى اعظم اوقات حاجاتهم بشيء من الخير والبر يفعله ويجعل ثوابه لهم، وكيف يتحجر العبد واسعا او يحجر على من لم يحجر عليه الشارع فى ثواب عمله ان يصرف منه ماشاء الى من شاء من المسلمين، والذى اوصل ثواب الحج والصدقة والعتق هو بعينه الذى يوصل ثواب الصيام والصلاة والقراءة والاعتكاف، وهو اسلام المهدى اليه وتبرع المهدى وإحسانه وعدم حجر الشارع عليه فى الاحسان بل ندبه الى الاحسان بكل طريق. وقد تواطأت رؤيا المؤمنين وتواترت اعظم تواتر على اخبار الاموات لهم بوصول ما يهدونه اليهم من قراءة وصلاة وصدقة وحج وغيره، ولو ذكرنا ما حكى لنا من اهل عصرنا وما بلغنا عمن قبلنا من ذلك لطال جدا وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على انها فى العشر الاواخر فاعتبر صلى الله عليه وآله وسلم تواطؤ رؤيا المؤمنين وهذا كما يعتبر تواطؤ روايتهم لما شاهدوه فهم لايكذبون فى روايتهم ولا فى رؤياهم اذا تواطأت.

فصل

وأما رد حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله، من مات وعليه صيام صام عنه وليه، بتلك الوجوه التى ذكرتموها فنحن ننتصر لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونبين موافقته للصحيح من تلك الوجوه وأما الباطل فيكفينا بطلانه من معارضته للحديث الصحيح الصريح الذى لاتغمز قناته ولاسبيل الى مقابلته الا بالسمع والطاعة والاذعان والقبول وليس لنا بعده الخيرة بل الخيرة وكل الخيرة فى التسليم له والقول به ولو خالفه من بين المشرق والمغرب.

فأما قولكم نرده بقول مالك فى موطئه، لايصوم احد عن احد، فمنازعوكم يقولون بل نرد قول مالك هذا بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأى الفريقين

احق بالصواب وأحسن ردا .

وأما قوله وهو أمر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه . فمالك رحمه الله لم يحك اجماع الامة من شرق الارض وغربها وإنما حكى قول اهل المدينة فيما بلغه ولم يبلغه خلاف بينهم وعدم اطلاعه رحمه الله على الخلاف فى ذلك لايكون مسقطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لو أجمع عليه اهل المدينة كلهم لكان الاخذ بحديث المعصوم اولى من الاخذ بقول اهل المدينة الذين لم تضمن لنا العصمة فى قولهم دون الامة ولم يجعل الله ورسوله اقوالهم حجة يجب الردعند التنازع اليها بل قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا -)

وإن كان مالك وأهل المدينة قد قالوا لايصوم احد عن احد فقد روى الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه افتى فى قضاء رمضان يطعم عنه وفى النذر يصام عنه .

وهذا مذهب الامام احمد وكثير من اهل الحديث وهو قول ابى عبيد، وقال ابو ثور يصام عنه النذر وغيره وقال الحسن بن صالح فى النذر يصوم عنه وليه -

فصل

وأما قولكم ابن عباس هو روى حديث الصوم عن الميت وقد قال لا يصوم احد عن احد - فغاية هذا أن يكون الصحابى قد أفتى بخلاف مارواه وهذا لا يقدح فى روايته فان روايته معصومة وفتواه غير معصومة ويجوز أن يكون نسى الحديث اوتأوله اواعتقد له معارضا راجحا فى ظنه اولغير ذلك من الاسباب على ان فتوى ابن عباس غير معارضة للحديث فانه افتى فى رمضان انه لايصوم احد عن احد وأفتى فى النذر انه يصام عنه . وليس هذا بمخالف لروايته بل حمل الحديث على النذر .

ثم ان حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه - هو ثابت من رواية عائشة رضى الله عنها فهب ان ابن عباس خالفه فكان ماذا فخلاف ابن عباس لايقدح فى

رواية ام المؤمنين بل رد قول ابن عباس برواية عائشة رضى الله عنها اولى من رد روايتها بقوله ـ

وأيضا فابن عباس رضى الله عنهما قد اختلف عنه فى ذلك وعنه روايتان فليس اسقاط الحديث للرواية المخالفة له عنه اولى من اسقاطها بالرواية الاخرى بالحديث .

فصل

وأما قولكم انه حديث اختلف فى اسناده فكلام مجازف لا يقبل قوله فالحديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبا الصحيح ولم يختلف فى اسناده . قال ابن عبدالبر ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه ، وصححه الامام احمد وذهب اليه وعلق الشافعى القول به على صحته فقال وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصوم عن الميت شىء فان كان ثابتا صيم عنه كما يحج عنه . وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعى ، كذلك قال غير واحد من أئمة اصحابه ، قال البيهقى بعد حكايته هذا اللفظ عن الشافعى قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفى رواية اكثرهم ان امرأة سألت فأشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفى رواية بعضهم صومى عن امك . وسيأتى تقرير ذلك عند الجواب عن كلامه رحمه الله .

وقولكم انه معارض بنص القرآن وهو قوله (وأن ليس للانسان الا ما سعى) اساءة ادب فى اللفظ وخطأ عظيم فى المعنى وقد أعاذ الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تعارض سنته لنصوص القرآن بل تعاضدها وتؤيدها ، ويا لله مايصنع التعصب ونصرة التقليد ؛ وقد تقدم من الكلام على الآية ما فيه كفاية وبينا انها لا تعارض بينها وبين سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجه وانما يظن التعارض من سوء الفهم وهذه طريقة وخيمة ذميمة وهى رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن ، والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن فانها

مشتقه منه ومأخوذة عمن جاء به وهى بيان له لا انها مناقضة له .

وقولكم انه معارض بما رواه النسائى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يصلى احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه كل يوم مد من حنطة - فخطأ قبيح فان النسائى رواه هكذا (اخبرنا) محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع ثنا حجاج الاحول ثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يصلى احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة . هكذا رواه قول ابن عباس لا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يعارض قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول ابن عباس ثم يقدم عليه مع ثبوت الخلاف عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل هذا الكلام قط وكيف يقوله وقد ثبت عنه فى الصحيحين انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه ، وكيف يقوله وقد قال فى حديث بريدة الذى رواه مسلم فى صحيحه ان امرأة قالت له ان امى ماتت وعليها صوم شهر ؟ قال صومى عن امك .

وأما قولكم انه معارض بحديث ابن عمر رضى الله عنهما ، من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه . فمن هذا النمط فانه حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال البيهقى حديث محمد بن عبدالرحمن بن ابى ليلى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه - لا يصح ومحمد بن عبد الرحمن كثير الوهم وإنما رواه اصحاب نافع عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما من قوله .

وأما قولكم انه معارض بالقياس الجلى على الصلاة والاسلام والتوبة فان احدا لا يفعلها عن احد - فلعمر الله انه لقياس جلى البطلان والفساد لردّ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة الصريحة له وشهادتها ببطلانه ، وقد أوضحنا الفرق بين قبول الاسلام عن الكافر بعد موته وبين انتفاع المسلم بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب صيام او صدقة او صلاة ، ولعمر الله ان الفرق بينهما اوضح من

ان يخفى وهل فى القياس افسد من قياس انتفاع المسلم بعد موته بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب عمله على قبول الاسلام عن الكافر بعد موته او قبول التوبة عن المجرم بعد موته .

فصل

وأما كلام الشافعى رحمه الله فى تغليط راوى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان نذر أم سعد كان صوما - فقد أجاب عنه انصر الناس له هو البيهقى ونحن نذكر كلامه بلفظه قال فى (كتاب المعرفة) بعد أن حكى كلامه « قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما وفى رواية اكثرهم ان امرأة سألت فأشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفى رواية بعضهم صومى عن امك ، قال وتشهد له بالصحة رواية عبدالله بن عطاء المدنى قال حدثنى عبدالله بن بريدة الاسلمى عن ابيه قال كنت عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأتته امرأة فقالت يا رسول الله انى كنت تصدقت بوليدة على امى فماتت وبقيت الوليدة ؟ قال قد وجب اجرك ورجعت اليك فى الميراث ، قالت فانها ماتت وعليها صوم شهر ؟ قال صومى عن امك ، قالت وإنها ماتت ولم تحج ؟ قال فحجى عن امك - رواه مسلم فى صحيحه من اوجه عن عبد الله بن عطاء انتهى .

قلت وقد روى ابوبكر بن ابى شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ان امى ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لو كان عليها دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال نعم ، قال فدين الله احق ان يقضى .

ورواه ابو خيثمة ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الاعمش - فذكره .

ورواه النسائى عن قتيبة بن سعيد ثنا عبثر عن الاعمش - فذكره .

فهذا غير حديث ام سعد إسنادا ومتنا ، فإن قصة ام سعد رواها مالك عن الزهرى

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان امى ماتت وعليها نذر؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اقضه عنها ـ هكذا اخرجاه فى الصحيحين ۔

فهب ان هذا هو المحفوظ فى هذا الحديث انه نذر مطلق لم يسم فهل يكون هذا فى حديث الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير على ان ترك استفصال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لسعد فى النذر هل كان صلاة او صدقة اوصياما مع ان الناذر قد ينذر هذا وهذا يدل على انه لا فرق بين قضاء نذر الصيام والصلاة وإلا لقال له ما هو النذر فان النذر اذا انقسم الى قسمين نذر يقبل القضاء عن الميت ونذر لايقبله ، لم يكن بد من الاستفصال ۔

فصل

ونحن نذكر أقوال اهل العلم فى الصوم عن الميت لئلا يتوهم ان فى المسئلة اجماعا بخلافه ۔

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يصام عنه فى النذر ويطعم عنه فى قضاء رمضان ، وهذا مذهب الامام احمد ۔

وقال ابو ثور يصام عنه النذر والفرض ، وكذلك قال داود بن على وأصحابه يصام عنه نذرا كان اوفرضا ۔

وقال الاوزاعى يجعل وليه مكان الصوم صدقة فان لم يجد صام عنه وهذا قول سفيان الثورى فى احدى الروايتين عنه ۔

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام يصام عنه النذر ويطعم عنه فى الفرض ۔

وقال الحسن اذا كان عليه صيام شهر فصام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا جاز ۔

فصل

وأما قولكم انه يصل اليه فى الحج ثواب النفقة دون افعال المناسك فدعوى مجردة بلا برهان والسنة تردها فان النبى صلى الله عليه وسلم قال حج عن ابيك ، وقال لامرأة حجى عن امك ، فأخبر أن الحج نفسه عن الميت ولم يقل ان الانفاق

هو الذى يقع عنه .

وكذلك قال للذى سمعه يلبى عن شبرمة - حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة .

ولما سألته المرأة عن الطفل الذى معها فقالت ألهذا حج ؟ قال نعم ، ولم يقل انما له ثواب الانفاق بل أخبر أن لـه حجامع انه لم يفعل شيئا بل وليه ينوب عنه فى افعال المناسك .

ثم ان النائب عن الميت قد لا ينفق شيئا فى حجته غير نفقة مقامه فما الذى يجعل ثواب نفقة مقامه للمحجوج عنه وهو لم ينفقها على الحج بل تلك نفقته اقام ام سافر ، فهذا القول ترده السنة والقياس . والله اعلم .

فصل

فان قيل فهل تشترطون فى وصول الثواب ان يهديه بلفظه ام يكفى فى وصوله مجرد نية العامل ان يهديها الى الغير ؟ .

قيل السنة لم تشترط التلفظ بالاهداء فى حديث واحد بل اطلق صلى الله عليه وآله وسلم الفعل عن الغير كالصوم والحج والصدقة ولم يقل لفاعل ذلك وقل اللهم هذا عن فلان بن فلان والله سبحانه يعلم نية العبد وقصده بعمله فان ذكره جاز وإن ترك ذكره واكتفى بالنية والقصد وصل اليه ولايحتاج ان يقول اللهم انى صائم غدا عن فلان بن فلان ، ولهذا والله اعلم اشترط من اشترط نية الفعل عن الغير قبله ليكون واقعا بالقصد عن الميت .

فأما اذا فعله لنفسه ثم نوى ان يجعل ثوابه للغير لم يصر للغير بمجرد النية كما لو نوى ان يهب او يعتق او يتصدق لم يحصل ذلك بمجرد النية .

ومما يوضح ذلك انه لو بنى مكانا بنية ان يجعله مسجدا او مدرسة او سقاية ونحو ذلك صار وقفا بفعله مع النية ولم يحتج الى تلفظ .

وكذلك لو أعطى الفقير مالا بنية الزكاة سقطت عنه الزكاة وإن لم يتلفظ بها .

وكذلك لو أدى عن غيره دينا حيا كان او ميتا سقط من ذمته وإن لم يقل هذا عن فلان .

فان قيل فهل يتعين عليه تعليق الاهداء بأن يقول اللهم ان كنت قبلت هذا العمل وأثبتنى عليه فاجعل ثوابه لفلان ام لا ؟.

قيل لا يتعين ذلك لفظا ولا قصدا بل لا فائدة فى هذا الشرط فان الله سبحانه انما يفعل هذا، سواء شرطه اولم يشرطه . فلو كان سبحانه يفعل غير هذا بدون الشرط كان فى الشرط فائدة .

وأما قوله اللهم ان كنت اثبتنى على هذا فاجعل ثوابه لفلان، فهو بناء على ان الثواب يقع للعامل ثم ينتقل منه الى من اهدى له، وليس كذلك، بل اذا نوى حال الفعل انه عن فلان وقع الثواب اولا عن المعمول له كما لو أعتق عبده عن غيره لا نقول ان الولاء يقع للمعتق ثم ينتقل عنه الى المعتق عنه فهكذا هذا . وبالله التوفيق .

فان قيل فما الافضل انه يهدى الى الميت؟ قيل الافضل ما كان انفع فى نفسه فالعتق عنه والصدقة افضل من الصيام عنه وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة، ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة سقى الماء وهذا فى موضع يقلّ فيه الماء ويكثر فيه العطش والا فسقى الماء على الانهار والقنى لا يكون افضل من اطعام الطعام عند الحاجة وكذلك الدعاء والاستغفار له اذا كان بصدق من الداعى وإخلاص وتضرع فهو فى موضعه افضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة والوقوف للدعاء على قبره .

وبالجملة فأفضل ما يهدى الى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه .

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعا بغير أجرة فهذا يصل اليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

فان قيل فهذا لم يكن معروفا فى السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير ولا ارشدهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم اليه وقد أرشدهم الى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم اليه ولكانوا يفعلونه .

فالجواب ان مورد هذا السؤال ان كان معترفا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار قيل له ما هذه الخاصية التى منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الاعمال وهل هذا الا تفريق بين المتماثلات وإن لم يعترف بوصول تلك الاشياء الى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والاجماع وقواعد الشرع ·

وأما السبب الذى لأجله لم يظهر ذلك فى السلف فهو أنهم لم يكن لهم اوقاف على من يقرأ ويهدى الى الموتى ولا كانوا يعرفون ذلك البتة ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده (١) كما يفعله الناس اليوم ولا كان احدهم يشهد من حضره من الناس على ان ثواب هذه القراءة لفلان الميت بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم ·

ثم يقال لهذا القائل لو كلفت ان تنقل عن واحد من السلف انه قال اللهم ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت، فان القوم كانوا أحرص شىء على كتمان اعمال البر فلم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها الى امواتهم ·

فان قيل فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارشدهم الى الصوم والصدقة والحج دون القراءة· قيل هو صلى الله عليه وآله وسلم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأى فرق بين وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر ·

والقائل ان احدا من السلف لم يفعل ذلك قائل مالا علم له به فان هذه شهادة على نفى مالم يعلمه فما يدريه ان السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه، بل يكفى اطلاع علام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم لاسيما والتلفظ بنية

---

(١) قلت - قد مر فى اول هذا الكتاب عن الشعبى قال كانت الانصار اذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤن القرآن ·

الا هداء لايشترط كما تقدم .

وسر المسئلة ان الثواب ملك للعامل فاذا تبرع به وأهداه الى اخيه المسلم اوصله الله اليه، فما الذى خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبدأن يوصله الى اخيه، وهذاعمل الناس حتى المنكرين فى سائر الاعصار والامصار من غير نكير من العلماء .

فان قيل فماتقولون فى الاهداء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ .

قيل من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة فان الصحابة لم يكونوا يفعلونه وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم له اجر كل من عمل خيرا من أمته من غير أن ينقص من اجر العامل شىء لأنه هوالذى دل امته على كل خير وأرشدهم ودعاهم اليه، ومن دعا الى هدى فله من الاجر مثل اجور من تبعه من غير أن ينقص من اجورهم شىء ، وكل هدى وعلم فانما ناله امته على يده فله مثل اجر من اتبعه اهداه اليه اولم يهده ـ والله اعلم .

فصل

(وأما المسئلة السابعة عشر وهى هل الروح قديمة او محدثة مخلوقة ؟ وإذا كانت محدثة مخلوقة وهى من امر الله فكيف يكون امر الله محدثا مخلوقا ؟ وقد أخبر سبحانه انه نفخ فى آدم من روحه فهذه الاضافة اليه هل تدل على انها قديمة ام لا؟ وما حقيقة هذه الاضافة ؟ فقد اخبر عن آدم انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه فأضاف اليدوالروح اليه اضافة واحدة) .

فهذه مسئلة زل فيها عالم ، وضل فيها طوائف من بنى آدم ، وهدى الله اتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين ، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على انها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة ، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث،وأن معاد الابدان واقع،وأن اللهوحده الخالق وكل ماسواه مخلوق له ،وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الفضيلة على

ذلك من غير اختلاف بينهم فى حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق، وبأن الله تعالى اضافها اليه كما اضاف اليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون فقالوا لانقول مخلوقة ولاغير مخلوقة.

وسئل عن ذلك حافظ اصبهان ابو عبد الله بن منده فقال اما بعد فان سائلا سألنى عن الروح التى جعلها الله سبحانه قوام نفس الخلق وأبدانهم - وذكر أن اقواما تكلموا فى الروح وزعموا انها غير مخلوقه وخص بعضهم منها ارواح القدس وانها من ذات الله - قال وأنا اذكر اختلاف اقاويل متقدميهم وأبين مايخالف اقاويلهم من الكتاب والاثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم، وأذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والاثر وأوضح خطأ المتكلم فى الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم وأصحابه. فنقول وبالله التوفيق ان الناس اختلفوا فى معرفة الارواح ومحلها من النفس -

فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب اهل الجماعة والاثر واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف. والجنود المجندة لاتكون الامخلوقة.

وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجوا بقول الله تعالى (قل الروح من امر ربى).

وقال بعضهم الارواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته واحتجت بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره.
ثم ذكر الخلاف فى الارواح هل تموت ام لا؟ وهل تعذب مع الاجساد فى البرزخ وفى مستقرها بعد الموت؟ وهل هى النفس اوغيرها؟

وقال محمد بن نصر المروزى فى كتابه تأول صنف من الزنادقه وصنف من الروافض فى روح آدم ما تأولته النصارى فى روح عيسى وما تأوله قوم من ان الروح انفصل من ذات الله فصار فى المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى

ومريم جميعا لأن عيسى عندهم روح من الله صار فى مريم فهو غير مخلوق عندهم. وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) وقوله تعالى (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق، قالوا ثم صار بعد آدم فى الوصى بعده ثم هو فى كل نبى ووصى الى ان صار فى على ثم فى الحسن والحسين ثم فى كل وصى وامام فيه يعلم الامام كل شىء ولايحتاج ان يتعلم من احد.

ولاخلاف بين المسلمين ان الارواح التى فى آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بنى آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكوّنها واخترعها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الآدمى مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة وأئمتها وسائر اهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزى الامام المشهور الذى هو من اعلم اهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك ابو محمد بن قتيبة قال فى (كتاب اللفظ) لما تكلم على الروح قال النسم الارواح، قال وأجمع الناس على ان الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة اى خالق الروح. وقال ابو اسحاق بن شاقلا فيما اجاب به فى هذه المسئلة سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هى اوغير مخلوقة؟ قال وهذا مما لايشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة، وقد تكلم فى هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة، وصنف الحافظ ابو عبدالله بن منده فى ذلك كتابا كبيرا، وقبله الامام محمد بن نصر المروزى وغيره، والشيخ ابو سعيد الخزاز وابو يعقوب النهرجورى والقاضى ابو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك فى روح عيسى ابن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره الامام احمد فيما كتبه فى مجلسه فى الرد على الزنادقة والجهمية « ثم ان الجهمى ادعى امرا فقال انا اجد آية فى كتاب الله مما يدل

على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق. قلنا له ان الله تعالى منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجرى عليه الفاظ لا تجرى على القرآن لأنا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهى يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول فى القرآن ما نقول فى عيسى فهل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال فى عيسى؟ ولكن المعنى فى قولـه تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) فالكلمة التى القاها الى مريم حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قول وليس كن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله فى امر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة . وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة وإنما الكلمة قول الله تعالى كن وقوله (وروح منه) يقول من امره كان الروح فيه كقوله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) يقول من امره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله » .

فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد اضاف الله اليه الروح الذى ارسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله .

وسنذكر إن شاء الله تعالى اقسام المضاف الى الله وأنى يكون المضاف صفة له قديمة وأنى يكون مخلوقا وما ضابط ذلك .

فصل

والذى يدل على خلقها وجوه (الوجه الاول) قول الله تعالى الله (خالق كل شىء)

فهذا اللفظ عام لاتخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل فى ذلك صفاته فانها داخلة فى مسمى اسمه فالله سبحانه هو الاله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل فى مسمى اسمه ليس داخلا فى الاشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وماسواه مخلوق .

ومعلوم قطعا ان الروح ليست هى الله ولاصفة من صفاته وإنماهى مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والانس .

(الوجه الثانى) قوله تعالى لزكريا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط فان البدن وحده لايفهم ولا يخاطب ولا يعقل وإنما الذى يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح .

(الوجه الثالث) قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) .

(الوجه الرابع) قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وهذا الاخبار إنما يتناول ارواحنا واجسادنا كما يقوله الجمهور واما ان يكون واقعا على الارواح قبل خلق الاجساد كما يقوله من يزعم ذلك ، وعلى التقديرين فهو صريح فى خلق الارواح .

(الوجه الخامس) النصوص الدالة على انه سبحانه ربنا ورب آبائنا الاولين ورب كل شيء وهذه الربوبية شاملة لأرواحنا وأبداننا فالارواح مربوبة له مملوكة كما ان الاجسام كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق .

(الوجه السادس) اول سورة فى القرآن وهى الفاتحة تدل على ان الارواح مخلوقة من عدة اوجه ، احدها قوله تعالى (الحمدلله رب العالمين) والارواح من جملة العالم فهو ربها (الثانى) قوله تعالى (اياك نعبد وإياك نستعين) فالارواح عابدة له مستعينة ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودة مستعانا بها (الثالث) انها فقيرة الى هداية فاطرها وربها تسأله ان يهديها صراطه المستقيم (الرابع) انها منعم عليها مرحومة ومغضوب عليها وضالة شقية وهذا شأن المربوب المملوك

لا شأن القديم غير المخلوق .

(الوجه السابع) النصوص الدالة على ان الانسان عبد بجملته وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه بل عبودية الروح اصل وعبودية البدن تبع كما انه تبع لها فى الاحكام وهى التى تحركه وتستعمله وهو تبع لها فى العبودية .

(الوجه الثامن) قوله تعالى (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فلو كانت روحه قديمة لكان الانسان لم يزل شيئا مذكورا فانه انما هو انسان بروحه لابدنه فقط كما قيل .

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته فانت بالروح لابالجسم انسان

(الوجه التاسع) النصوص الدالة على ان الله سبحانه كان ولم يكن شىء غيره كما ثبت فى صحيح البخارى من حديث عمران بن حصين ان اهل اليمن قالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه فى الدين ونسألك عن اول هذا الامر، فقال كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء . فلم يكن مع الله ارواح ولانفوس قديمة يساوى وجودها وجوده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هو الاول وحده لايشاركه غيره فى اوليته بوجه من الوجوه .

(الوجه العاشر) النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم ارواح مستغنية عن اجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذى يحدث الروح فى جسد ابن آدم بنفخته مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بنفخه قديمة؟ وهؤلاء الغالطون يظنون ان الملك يرسل الى الجنين بروح قديمة ازلية ينفخها فيه كما يرسل الرسول بثوب الى الانسان يلبسه اياه، وهذا ضلال وخطأ وانما يرسل الله سبحانه اليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هى سبب حصول الروح وحدوثها له كما كان الوطء والانزال سبب تكوين جسمه، والغذاء سبب نموه، فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء فى الرحم، فهذه مادة سماوية وهذه مادة ارضية، فمن الناس من تغلب عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة

ومنهم من تغلب عليه المادة الارضية فتصير روحه سفلية ترابية مهينة تناسب الارواح السفلية فالملك اب لروحه والتراب اب لبدنه وجسمه •

(الوجه الحادى عشر) حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى فى صحيح البخارى وغيره عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف . والجنود المجندة لاتكون الامخلوقة ، وهذا الحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابوهريرة وعائشة ام المؤمنين وسلمان الفارسى وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وعلى بن ابى طالب وعمرو بن عبسة رضى الله عنهم •

(الوجه الثانى عشر) ان الروح توصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب قال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) والانفس ها هنا هى الارواح قطعا. وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن ابى قتادة الانصارى عن ابيه قال سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سفر ذات ليلة فقلنا يا رسول الله لوعرست بنا، فقال انى اخاف ان تناموافمن يوقظنا للصلاة؟ فقال بلال انا يارسول الله قال فعرس بالقوم فاضطجعوا واستند بلال الى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد طلع جانب الشمس فقال يا بلال اين ماقلت لنا؟ فقال والذى بعثك بالحق ما القيت على نومة مثلها! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردّها حين شاء. فهذه الروح المقبوضة هى النفس التى يتوفاها الله حين موتها وفى منامها، وهى التى يتوفاها ملك الموت، وهى التى تتوفاها رسل الله سبحانه ، وهى التى يجلس الملك عندرأس صاحبها ويخرجها من بدنه كرها ويكفنها بكفن من الجنة اوالنار ويصعد بها الى السماء فتصلى عليها الملائكة او تلعنها وتوقف بين يدى ربها فيقضى فيها امره ثم تعاد الى الارض فتدخل بين الميت واكفانه فيسأل ويمتحن ويعاقب وينعم، وهى التى

تجعل فى اجواف الطير الخضر تأكل وتشرب من الجنة ، وهى التى تعرض على النار غدوا وعشيا ، وهى التى تؤمن وتكفر وتطيع وتعصى ، وهى الأمارة بالسوء وهى اللوامة وهى المطمئنة الى ربها وأمره وذكره ، وهى التى تعذب وتنعم وتسعد وتشقى وتحبس وترسل وتصح وتسقم وتلذ وتألم وتخاف وتحزن وما ذاك الاسمات مخلوق مبدع ، وصفات منشأ مخترع ، وأحكام مربوب مدبر مصرف تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند نومه ، اللهم انت خلقت نفسى وأنت توفاها ، لك مماتها ومحياها ، فان امسكتها فارحمها وإن ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين . وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الاجساد قال تعالى (ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير) قيل من قبل ان نبرأ المصيبة ، وقيل من قبل ان نبرأ الارض ، وقيل من قبل ان نبرأ الانفس وهو أولى لأنه اقرب مذكور إلى الضمير ، ولو قيل يرجع الى الثلاثة اى من قبل ان نبرأ المصيبة والارض والانفس لكان اوجه .

وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة اعدل شواهد على انها مخلوقة مربوبة مصنوعة وأن وجود ذاتها وصفاتها وأفعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفسها الا العدم ، فهى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، لا تستطيع أن تأخذ من الخير الا ما اعطاها ، ولا تتقى من الشر الا ما وقاها ، ولا تهتدى الى شىء من مصالح دنياها وأخراها الا بهداه ، ولا تصلح الا بتوفيقه لها وإصلاحه اياها ، ولا تعلم الا ما علمها ، ولا تتعدى ما الهمها ، فهو الذى خلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها ، فأخبر سبحانه انه خالقها ومبدعها وخالق افعالها من الفجور والتقوى خلافا لمن يقول انها ليست مخلوقة ولمن يقول انها وإن كانت مخلوقة فليس خالقا لأفعالها بل هى التى تخلق افعالها وهما قولان لأهل الضلال والغى .

ومعلوم انها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها فى وجودها وصفاتها

وكمالها وهذا من ابطل الباطل فان فقرها اليه سبحانه فى وجودها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا بعلة فانه امر ذاتى لها كما ان غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة فهو سبحانه الغنى بالذات وهى الفقيرة اليه بالذات فلا يشاركه سبحانه فى غناه مشارك كما لايشاركه فى قدمه وربوبيته وإلهيته وملكه التام وكماله المقدس مشارك، فشواهد الخلق والحدوث على الارواح كشواهده على الابدان . قال تعالى (ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد) وهذا الخطاب بالفقر اليه للارواح والابدان ليس هو للابدان فقط ، وهذا الغنى التام لله وحده لايشركه فيه غيره وقد أرشدالله سبحانه عباده الى اوضح دليل على ذلك بقوله (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) اى فلولا ان كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين بأعمالكم تردون الارواح الى الابدان اذا وصلت الى هذا الموضع أولا تعلمون بذلك انها مدينة مملوكة مربوبة محاسبة مجزية بعملها .

وكلما تقدم ذكره فى هذا الجواب من احكام الروح وشأنها ومستقرها بعد الموت فهو دليل على انها مخلوقة مربوبة مدبرة ليست بقديمة .

وهذا الامر اوضح من ان تساق الادلة عليه لولا ضلال من المتصوفة وأهل البدع ومن قصر فهمه فى كتاب الله وسنة رسوله فأتى من سوء الفهم لا من النص تكلموا فى انفسهم وأرواحهم بما دل على انهم من اجهل الناس بها ، وكيف يمكن من له ادنى مسكة من عقل ان ينكر امرا تشهدبه عليه نفسه وصفاته وأفعاله وجوارحه وأعضاؤه بل تشهد به السموات والارض والخليقة فلله سبحانه فى كل ماسواه آية بل آيات تدل على انه مخلوق مربوب وأنه خالقه وربه وبارئه ومليكه ولوجحد ذلك فمعه شاهد عليه .

فصل

وأما ما احتجت به هذه الطائفة فأما ما أتوابه من اتباع متشابه القرآن والعدول

عن محكمه فهذا شأن كل ضال ومبتدع ، فمحكم القرآن من اوله الى آخره يدل على ان الله تعالى خالق الارواح ومبدعها. وأما قوله تعالى (قل الروح من امر ربى) فمعلوم قطعا انه ليس المراد هاهنا بالامر الطلب الذى هو أحد أنواع الكلام فيكون المراد أن الروح كلامه الذى يأمر به، وإنما المراد بالامر هاهنا المأمور وهو عرف مستعمل فى لغة العرب وفى القرآن منه كثير كقوله تعالى (اتى امر الله) اى مأموره الذى قدره وقضاه وقال له كن فيكون، وكذلك قوله تعالى (فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك) اى مأموره الذى امر به من اهلاكهم، وكذلك قوله تعالى (وما امر الساعة الا كلمح البصر) وكذلك الخلق يستعمل بمعنى المخلوق كقوله تعالى للجنة انت رحمتى، فليس فى قوله تعالى (قل الروح من امر ربى)مايدل على انها قديمة غير مخلوقة بوجه ما ،وقد قال بعض السلف فى تفسيرها جرى بامر الله فى اجساد الخلق وبقدرته استقر .

وهذا بناء على ان المراد بالروح فى الآية روح الانسان وفى ذلك خلاف بين السلف والخلف وأكثر السلف بل كلهم على ان الروح المسئول عنها فى الآية ليست ارواح بنى آدم بل هو الروح الذى اخبر الله عنه فى كتابه انه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم، وقد ثبت فى الصحيح من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال بينا انا امشى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حرة المدينة وهو متكىء على عسيب فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه عسى ان يخبر فيه بشىء تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال ياابا القاسم ما الروح؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلمت انه يوحى اليه فقمت فلما تجلى عنه قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا). ومعلوم انهم انما سألوه عن امر لايعرف الا بالوحى وذلك هو الروح الذى عند الله لايعلمها الناس وأما ارواح بنى آدم فليست من الغيب وقد تكلم فيها طوائف الناس من اهل

الملل وغيرهم فلم يكن الجواب عنها من اعلام النبوة ٠

فان قيل فقد قال ابو الشيخ ثنا الحسين بن محمد بن ابراهيم انا ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن السدى عن ابى مالك عن ابن عباس قال بعثت قريش عقبة بن ابى معيط وعبدالله بن ابى امية بن المغيرة الى يهود المدينة يسألونهم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم انه قد خرج فينا رجل يزعم انه نبى وليس على ديننا ولا على دينكم، قالوا فمن تبعه ؟ قالوا سفلتنا والضعفاء والعبيد ومن لا خير فيه وأما اشراف قومه فلم يتبعوه ، فقالوا انه قد أظل زمان نبى يخرج وهو على ما تصفون من امر هذا الرجل فائتوه فاسألوه عن ثلاث خصال نأمركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبى صادق وإن لم يخبركم بهن فهو كذاب ، سلوه عن الروح التى نفخ الله تعالى فى آدم فان قال لكم هى من الله فقولوا كيف يعذب الله فى النار شيئا هو منه فسأل جبريل عنها فأنزل الله عزوجل (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) يقول هو خلق من خلق الله ليس هو من الله - ثم ذكر باقى الحديث ٠

قيل مثل هذا الاسناد لا يحتج به فانه من تفسير السدى عن ابى مالك وفيه اشياء منكرة وسياق هذه القصة فى السؤال من الصحاح والمسانيد كلها تخالف سياق السدى ، وقد رواها الاعمش والمغيرة بن مقسم عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال مر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ملأ من اليهود وأنا امشى معه فسألوه عن الروح قال فسكت فظننت انه يوحى اليه فنزلت (ويسألونك عن الروح) يعنى اليهود (قل الروح من امر ربى وما اوتوا - ١ - من العلم الا قليلا) وكذلك هى فى قراءة عبدالله فقالوا كذلك نجد مثله فى التوراة ان الروح من امر الله عزوجل - رواه جرير بن عبدالحميد وغيره عن المغيرة ٠

وروى يحيى بن زكريا بن ابى زائدة عن داود بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتت اليهود الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن الروح فلم يجبهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بشىء فأنزل الله عزوجل

---

(١) هكذا قرأها عبدالله كما فى كتب التفسير - وكان فى الاصل ، وما اوتيتم ، على القراءة المشهورة - ح

(ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) فهذا يدل على ضعف حديث السدى وأن السؤال كان بمكة فان هذا الحديث وحديث ابن مسعود صريح فى ان السؤال كان بالمدينة مباشرة من اليهود ولو كان قد تقدم السؤال والجواب بمكة لم يسكت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولبادر الى جوابهم بما تقدم من اعلام الله له وما انزله عليه .

وقد اضطربت الروايات عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية اعظم اضطراب فاما ان تكون من قبل الرواة اوتكون اقواله قد اضطربت فيها ونحن نذكر ذلك فقد ذكرنا رواية السدى عن ابى مالك عنه ، ورواية داود بن ابى هند عن عكرمة عنه تخالفها ، وفى رواية داود بن ابى هند هذه اضطراب فقال مسروق بن المرزبان وابراهيم بن ابى طالب عن يحيى بن زكريا عنه ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم - الحديث ، .

وقال محمد بن نصر المروزى ثنا اسحاق انا يحيى بن زكريا عن داود بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت (ويسألونك عن الروح) الآية . وهذا يخالف الرواية الاخرى عنه وحديث ابن مسعود .

وعن ابن عباس رواية ثالثة قال هشيم ثنا ابو بشر عن مجاهد عن ابن عباس قل الروح امر من امر الله عزوجل وخلق من خلق الله وصور مثل صور بنى آدم وما نزل من السماء ملك الّا ومعه واحد من الروح . وهذا يدل على انها غير الروح التى فى ابن آدم .

وعنه رواية رابعة قال ابن منده روى عبدالسلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) قد نزل من القرآن بمنزل كن نقول كما قال الله (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ثم ساق من طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس انه كان لايفسر اربعة اشياء الرقيم والغسلين والروح وقوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات

وما فى الارض جميعا منه) .

وعنه رواية خامسة رواها جويبر عن الضحاك عنه ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فقال قال الله تعالى (قل الروح من امر ربى) يعنى خلقا من خلقى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) يعنى لو سئلتم عن خلق انفسكم وعن مدخل الطعام والشراب ومخرجها ما وصفتم ذلك حق صفته وما اهتديتم لصفتها .

وعنه رواية سادسة روى عبد الغنى بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويسألونك عن الروح) وذلك ان قريشا اجتمعت فقال بعضهم لبعض والله ما كان محمد يكذب ولقد نشأ فينا بالصدق والامانة فأرسلوا جماعة الى اليهود فاسألوهم عنه وكانوا مستبشرين به ويكثرون ذكره ويدعون نبوته ويرجون نصرته موقنين بأنه سيهاجر إليهم ويكونون له انصارا فسألوهم عنه فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث، سلوه عن الروح وذلك انه ليس فى التوراة قصته ولا تفسيره الاذكر اسم الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) يريد من خلق ربى عز وجل .

والروح فى القرآن على عدة اوجه (احدها) الوحى كقوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) وقوله تعالى (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده) وسمى الوحى روحا لما يحصل به من حياة القلوب والارواح .

(الثانى) القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال (أولائك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) .

(الثالث) جبريل كقوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك) وقال تعالى (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وهو روح القدس قال تعالى (قل نزله روح القدس).

(الرابع) الروح التى سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من امر الله وقد قيل انها

الروح المذكورة فى قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) وأنها الروح المذكورة فى قوله (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) . (الخامس) المسيح بن مريم قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) . وأما ارواح بنى آدم فلم تقع تسميتها فى القرآن الا بالنفس قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة) وقال تعالى (ولا اقسم بالنفس اللوامة) وقال تعالى (ان النفس لأمارة بالسوء) وقال تعالى (أخرجوا انفسكم) وقال تعالى (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) وقال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وأما فى السنة فجاءت بلفظ النفس والروح . والمقصود أن كونها من امر الله لايدل على قدمها وانها غير مخلوقة .

فصل

وأما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) فينبغى ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان ، صفات لاتقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر ، فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه . (والثانى) اضافة اعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح ، فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها اضافة تقتضى تخصيصا وتشريفا يتميز به المضاف عن غيره كبيت الله وإن كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه اضافة الى الهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وإيجاده، فالاضافة العامة تقتضى الايجاد والخاصة تقتضى الاختيار والله يخلق مايشاء ويختار مما خلقه كما قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وإضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لامن العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذا الموضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس .

فان قيل فما تقولون فى قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) فأضاف النفخ الى نفسه وهذا يقتضى المباشرة منه تعالى كما فى قوله (خلقت بيدى) ولهذا فرق بينهما فى الذكر فى الحديث الصحيح فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيأتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شىء. فذكروا لآدم اربع خصائص اختص بها عن غيره ولو كانت الروح التى فيه انما هى من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر اولاده فان الروح حصلت فيهم من نفخة الملك وقد قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) فهو الذى سواه بيده وهو الذى نفخ فيه من روحه ؟

قيل هذا الموضع هو الذى اوجب لهذه الطائفة أن قالت بقدم الروح، وتوقف فيها آخرون ولم يفهموا مراد القرآن . فأما الروح المضافة الى الرب فهى روح مخلوقة اضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف كما بينا . وأما النفخ فقد قال تعالى فى مريم (التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقد اخبر فى موضع آخر أنه ارسل اليها الملك فنفخ فى فرجها وكان النفخ مضافا الى الله امرا وإذنا وإلى الرسول مباشرة .

يبقى ههنا امران (احدهما) ان يقال فاذا كان النفخ حصل فى مريم من جهة الملك وهو الذى ينفخ الارواح فى سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله؟ وإذا كان سائر الناس تحدث ارواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح؟ .

(الثانى) ان يقال فهل تعلق الروح بآدم كانت بواسطة نفخ هذا الروح هو الذى نفخها فيه باذن الله كما نفخها فى مريم أم الرب تعالى هو الذى نفخها بنفسه كما خلقه بيده ؟ قيل لعمر الله انهما سؤالان مهمان ! فأما الاول فالجواب عنه ان الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله الذى اختصه لنفسه وأضافه اليه وهو روح خاص من بين سائر الارواح وليس بالملك الموكل بالنفخ فى بطون الحوامل من المؤمنين والكفار فان الله سبحانه وكل بالرحم ملكا ينفخ الروح

فى الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأما هذا الروح المرسل الى مريم فهو روح الله الذى اصطفاه من الارواح لنفسه فكان لمريم بمنزلة الاب لسائر النوع فان نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للانثى من غير أن يكون هناك وطء، وأما ما اختص به آدم فانه لم يخلق كخلقة المسيح من أم ولا كخلقة سائر النوع من اب وأم ولا كان الروح الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذى ينفخ الروح فى سائر اولاده، ولو كان كذلك لم يكن لآدم به اختصاص وإنما ذكر فى الحديث ما اختص به على غيره وهو اربعة اشياء خلق الله له بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد ملائكته له، وتعليمه اسماء كل شىء فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا منه فالمنفوخ منه هو الروح المضافة الى الله فمنها سرت النفخة فى طينة آدم والله تعالى هو الذى نفخ فى طينته من تلك الروح هذا هو الذى دل عليه النص، وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده او أنها حصلت بأمره كما حصلت فى مريم عليها السلام فهذا يحتاج الى دليل، والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه ان اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من افعال الرب وأما النفخ فهل هو من افعاله القائمة به او هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه؟ وهذا مما لا يحتاج الى دليل، وهذا بخلاف النفخ فى فرج مريم فانه مفعول من مفعولاته وأضافه اليه لأنه باذنه وأمره فنفخه فى آدم هل هو فعل له او مفعول وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ منها فى آدم روح مخلوقة غير قديمة وهى مادة روح آدم فروحه اولى ان تكون حادثة مخلوقة وهو المراد.

فصل

(وأما المسئلة الثامنة عشر وهى تقدم خلق الارواح على الاجساد او تأخر خلقها عنها)

فهذه المسئلة للناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام وغيره، وممن ذهب الى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزى وأبو محمد بن حزم وحكاه ابن حزم

اجماعا. ونحن نذكر حجج الفريقين وما هو الاولى منها بالصواب.

قال من ذهب الى تقدم خلقها على خلق البدن قال الله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) قالوا ثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية ان خلقها مقدم على امر الله للملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا ان ابداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح. قالوا ويدل عليه قوله سبحانه (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى) قالوا وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان لارواحنا اذلم تكن الابدان حينئذ موجودة، ففى الموطأ (حدثنا) مالك عن زيد بن ابى انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عنها فقال خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون، وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار. قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم. وروى الحاكم ايضا من طريق هشام بن سعد (١) عن زيد بن اسلم عن ابى صالح عن ابى هريرة مرفوعا لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر، ثم جعل بين عينى كل انسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب؟ قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم اعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا؟ فقال هذا ابنك داود يكون فى آخر الامم قال كم جعلت له من العمر؟ قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى اربعين سنة، فقال الله تعالى اذا يكتب ويختم

---

(١) فى الاصل. زيد. خطأ والحديث فى المستدرك - ج ٢ ص ٣٢٥

فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت قال أولم يبق من عمرى اربعون سنة؟ فقال أولم تجعلها لابنك داود؟ قال فجحد فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته وخطىء فخطئت ذريته - قال هذا على شرط مسلم. ورواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح . ورواه الامام احمد من حديث ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول من جحد آدم. وزاد محمد بن سعد ثم اكمل الله لآدم الف سنة ولداود مائة سنة .

وفى صحيح الحاكم ايضا من حديث ابى جعفر الرازى ثنا الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى بن كعب فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم ارواحا ثم صوّرهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق (وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) قال فانى اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم اباكم آدم (ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) فلا تشركوا بى شيئا فانى ارسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وانزل عليكم كتبى؛ فقالوا نشهد انك ربنا والهنا لارب لنا غيرك، ورفع لهم ابوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك، فقال انى احب ان اشكر، ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) وهو قوله تعالى (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله تعالى (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) وكان روح عيسى من تلك الارواح التى اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها . وهذا اسناد صحيح .

فقال اسحاق بن راهويه ثنا بقية بن الوليد قال اخبرنى الزبيدى محمد بن الوليد

راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن ابى قتادة البصرى عن ابيه عن هشام بن حكيم ابن حزام ان رجلا قال يارسول الله أتبتدأ الاعمال ام قد مضى القضاء؟ فقال ان الله لما اخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على انفسهم ثم افاض بهم فى كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، أهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ميسرون لعمل اهل النار.

قال اسحاق وأنا النضر ثنا ابو معشر عن سعيد المقبرى ونافع مولى الزبير عن ابى هريرة قال لما اراد الله أنه يخلق آدم - فذكر خلق آدم - فقال له يا آدم اى يدىّ احب اليك ان اريك ذريتك فيها؟ فقال يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين فبسط يمينه فاذا فيها ذريته كلهم ماهو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والانبياء على هيئتهم فقال ألا اعفيتهم كلهم، فقال انى احب ان اشكر - وذكر الحديث.

وقال محمد بن نصر ثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن ابى مريم اخبرنا الليث بن سعد حدثنى ابن عجلان عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى عن ابيه عن عبدالله بن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال اختر يا آدم! فقال اخترت يمين ربى وكلتا يديك يمين، فبسطها فاذا فيها ذريته فقال من هؤلاء يارب؟ قال من قضيت ان اخلق من ذريتك من اهل الجنة الى ان تقوم الساعة.

قال واخبرنا اسحاق ثنا جعفر بن عون انا هشام بن سعد عن زيدبن اسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة.

وحدثنا اسحاق وعمرو بن زرارة اخبرنا اسمعيل عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم ذريتهم) الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة فأخذ ميثاقهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)

ورواه ابو جمرة الضبعى ومجاهد وحبيب بن ابى ثابت وابو صالح وغيرهم

عن ابن عباس .

وقال اسحاق اخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو فى هذه الآية قال اخذهم كما يؤخذ المشط بالرأس .

(وحدثنا) حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء اهل الجنة، ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء أهل النار، ثم اخذ عهده على الايمان به والمعرفة له ولأمره والتصديق به وبأمره من بنى آدم كلهم وأشهدهم على انفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا .

وذكر محمد بن نصر من تفسير السدى عن ابى مالك وابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود عن اناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم) الآية لما اخرج الله آدم من الجنة قبل ان يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالى، فذلك حيث يقول (وأصحاب اليمين) (وأصحاب الشمال) ثم اخذ منهم الميثاق فقال (ألست بربكم قالوا بلى) فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة (شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فليس احد من ولد آدم الا وهو يعرف ان الله ربه، ولا مشرك الا وهو يقول انا وجدنا آباءنا على امة فذلك قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم) وقوله تعالى (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) وقوله تعالى (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) قال يعنى يوم اخذ عليهم الميثاق .

قال إسحاق واخبرنا روح بن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الربذى قال سمعت

محمد بن كعب القرظى يقول فى هذه الآية (واذ أخذ ربك من بنى آدم) الآية اقروا له بالايمان والمعرفة، الارواح قبل ان يخلق اجسادها .

قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء فى هذه الآية قال اخرجوا من صلب آدم حين اخذ منهم الميثاق ثم ردوا فى صلبه .

قال اسحاق وأخبرنا على بن الاجلح عن الضحاك قال ان الله اخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون الى ان تقوم الساعة فاخرجهم مثل الذر فقال (ألست بربكم قالوا بلى) قالت الملائكة (شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) ثم قبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء فى الجنة، وقبض اخرى فقال هؤلاء فى النار .

قال اسحاق واخبرنا ابو عامر العقدى وابو نعيم الملائى قال ثنا هشام بن سعد عن يحيى وليس بابن سعيد قال قلت لابن المسيب ما تقول فى العزل ؟ قال ان شئت حدثتك حديثا هو حق ان الله سبحانه لما خلق آدم اراه كرامة لم يرها احدا من خلق الله، اراه كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة فمن حدثك ان يزيد فيهم شيئا او ينقص منهم فقد كذب ولو كان لى سبعون ما باليت .

وفى تفسير ابن عيينة عن الربيع بن انس عن ابى العالية (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) قال يوم اخذه الميثاق .

قال اسحاق فقد كانوا فى ذلك الوقت مقرين وذلك ان الله عزوجل اخبر أنه قال (ألست بربكم قالوا بلى) والله تعالى لا يخاطب الا من يفهم عنه المخاطبة، ولا يجيب الا من فهم السؤال، فاجابتهم اياه بقولهم دليل على انهم قد فهموا عن الله وعقلوا عنه استشهاده اياهم (ألست بربكم) فاجابوه من بعد عقل منهم للمخاطبة وفهم لها بأن (قالوا بلى) فأقروا له بالربوبية .

فصل

واحتجوا ايضا بما رواه ابو عبد الله بن منده اخبرنا محمد بن صابر البخارى ثنا محمد ابن المنذر بن سعد الهروى ثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصى ثنا عتبة بن السكن ثنا ارطأة بن المنذر ثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبس عن عمرو بن عبسة

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . فهذا بعض ما احتج به هؤلاء .

قال الآخرون الكلام معكم في مقامين ، احدهما ذكر الدليل على الارواح انها خلقت بعد خلق الابدان، الثاني الجواب عما استدللتم به .

فأما المقام الاول فقد قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل على ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله) الآية وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق اصله .

فان قيل فهذا لا ينفي تقدم خلق الارواح على اجسادها وان خلقت بعد خلق ابي البشر كما دلت عليه الآثار المتقدمة .

قيل سنبين ان شاء الله تعالى ان الآثار المذكورة لا تدل على سبق الارواح الاجساد سبقا مستقرا ثابتا، وغايتها ان تدل بعد صحتها وثبوتها على ان بارئها وفاطرها سبحانه صور النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها واستخرج تلك الصور من مادتها ثم اعادها اليها، وقدر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له، ولا تدل على انها خلقت خلقا مستقرا ثم استمرت موجودة حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما قاله ابو محمد بن حزم، فهل تحمل الآثار ما لا طاقة لها به؟ نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير اولا فيجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته فانه قدر لها اقدارا وآجالا وصفات وهيئات ثم ابرزها الى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص منه .

فالآثار المذكورة انما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على انه سبحانه استخرج امثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من اهل الشقاوة ؛ وأما مخاطبتهم

واستنطاقهم واقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على انفسهم بالعبودية فمن قاله من السلف فانما هو بناء منه على فهم الآية ، والآية لم تدل على هذا بل دلت على خلافه .

وأما حديث مالك فقال ابو عمر هو حديث منقطع ، مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما فى هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو ايضا مع هذا الاسناد لا يقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول قيل انه مدنى وليس بمسلم بن يسار البصرى قال ابن ابى خيثمة قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن ابى انيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار « لا يعرف » .

ثم ساقه ابو عمر من طريق النسائى (اخبرنا) محمد بن وهب ثنا محمد بن سلمة قال حدثنى ابو عبدالرحيم قال حدثنى زيد بن ابى انيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة .

ثم ساقه من طريق سنجرة (حدثنا) احمد بن عبدالملك بن واقد ثنا محمد بن سلمة عن ابى عبدالرحيم عن زيد بن ابى انيسة عن عبدالحميد عن مسلم عن نعيم . قال ابو عمر وزيادة من زاد فى هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة ان الذى لم يذكره احفظ وانما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن .

وجملة القول فى هذا الحديث انه حديث ليس اسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره وجماعة يطول ذكرهم .

ومراد ابى عمر الاحاديث الدالة على القدر السابق فانها هى التى ساقها بعد ذلك فذكر حديث عبدالله بن عمر فى القدر وقال فى آخره وسأله رجل من مزينة او جهينة فقال يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال ان اهل الجنة ييسرون لعمل اهل الجنة وأهل النار ييسرون لعمل اهل النار .

قال وروى هذا المعنى فى القدر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم على بن ابى طالب

وابى بن كعب وعبدالله بن عباس وابن عمر وابو هريرة وابو سعيد وابو سريحة الغفارى وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وعمران بن حصين وعائشة وانس ابن مالك وسراقة بن جعشم وابو موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت، واكثر احاديث هؤلاء لها طرق شتى، ثم ساق كثيرا منها باسناده .

وأما حديث ابى صالح عن ابى هريرة فانما يدل على استخراج الذرية وتمثلهم فى صور الذر وكان منهم حينئذ المشرق والمظلم وليس فيه انه سبحانه خلق ارواحهم قبل الاجساد وأقرها بموضع واحد ثم يرسل كل روح من تلك الارواح عند حدوث بدنها اليه ، نعم هو سبحانه يخص كل بدن بالروح التى قدر أن تكون له فى ذلك الوقت ، واما انه خلق نفس ذلك البدن فى ذلك الوقت وفرغ من خلقها وأودعها فى مكان معطلة عن بدنها حتى اذا احدث بدنها ارسلها اليه من ذلك المكان فلا يدل شىء من الاحاديث على ذلك البتة لمن تأملها .

واما حديث ابى بن كعب فليس هو عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغايته لو صح - ولم يصح - ان يكون من كلام ابىّ وهذا الاسناد يروى به اشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة وابو جعفر الرازى وثق وضعف ، قال على بن المدينى كان ثقة وقال ايضا كان يخلط وقال ابن معين هو ثقة وقال ايضا يكتب حديثه الا انه يخطىء وقال الامام احمد ليس بقوى فى الحديث وقال ايضا صالح الحديث وقال الفلاس سيئ الحفظ وقال ابو زرعة يهم كثيرا وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير .

قلت ومما ينكر من هذا الحديث قوله فكان روح عيسى من تلك الارواح التى اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل فى فيها ومعلوم ان الروح الذى ارسل الى مريم ليس هو روح المسيح بل ذلك الروح نفخ فيها فحملت بالمسيح قال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) فروح المسيح لايخاطبها عن نفسه بهذه المخاطبة قطعا

وفى بعض طرق حديث ابى جعفر هذا ان روح المسيح هو الذى خاطبها وهو الذى ارسل اليها •

وهاهنا اربع مقامات (احدها) ان الله سبحانه استخرج صورهم وأمثالهم فميز شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم (والثانى) ان الله سبحانه اقام عليهم الحجة حينئذ وأشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته (الثالث) ان هذا هو تفسير قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الرابع انه اقرّ تلك الارواح كلها بعد اخراجها بمكان وفرغ من خلقها وانما يتجدد كل وقت ارسل جملة منها بعد جملة الى ابدانها •

فاما المقام الاول فالآثار متظاهرة به مرفوعة وموقوفة •

واما المقام الثانى فانما اخذ من اخذه من المفسرين من الآية وظنوا انه تفسيرها وهذا قول جمهور المفسرين من اهل الاثر، قال ابو اسحاق جائز أن يكون الله سبحانه جعل لأمثال الذر التى اخرجها فهما تعقل به كما قال (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) وقد سخر مع داود الجبال تسبح معه والطير •

وقال ابن الانبارى مذهب اهل الحديث وكبراء اهل العلم فى هذه الآية ان الله اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم فى صور الذر فأخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت •

وقال الجرجانى ليس بين قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لأنه عز وجل اذا اخذهم من ظهر آدم فقد اخذهم من ظهور ذريته لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من بعض وقوله تعالى (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) اى عن الميثاق المأخوذ عليهم فاذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودا عليهم بأخذ الميثاق، قال وفى هذا دليل على التفسير الذى جاءت به الرواية من ان الله تعالى قال للملائكة

اشهدوا فقالوا شهدنا، قال وزعم بعض اهل العلم ان الميثاق انما اخذ على الارواح دون الاجساد ، إن الارواح هى التى تعقل وتفهم ولها الثواب وعليها العقاب والأجساد اموات لاتعقل ولاتفهم، قال وكان اسحاق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى وذكر أنه قول ابى هريرة قال اسحاق وأجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم، قال الجرجانى واحتجوا بقوله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء) والاجسام قد بليت وضلت فى الارض والارواح ترزق وتفرح، وهى التى تلذ وتألم وتفرح وتحزن وتعرف وتنكر وبيان ذلك فى الاحلام موجود أن الانسان يصبح وأثر لذة الفرح وألم الحزن باق فى نفسه مما تلاقى الروح دون الجسد ، قال وحاصل الفائدة فى هذا الفصل انه سبحانه قد اثبت الحجة على كل منفوس ممن يبلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذى اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التى نصبها فى نفسه وفى العالم وبالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ بالمثلات المنقولة اليهم اخبارها غير أنه عزوجل لا يطالب احدا منهم من الطاعة الا بقدر ما لزمه من الحجة وركب فيهم من القدرة وآتاهم من الادلة. وبين سبحانه ما هو عامل فى البالغين الذين ادركوا الامر والنهى، وحجب عنا علم ما قدره فى غير البالغين الا انا نعلم انه عدل لايجور فى حكمه، وحكيم لا تفاوت فى صنعه، وقادر لا يسأل عما يفعل له الخلق والامر، تبارك الله رب العالمين .

فصل

ونازع هؤلاء غيرهم فى كون هذا معنى الآية وقالوا معنى قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) اى اخرجهم وأنشأهم بعدأن كانوا نطفا فى اصلاب الآباء الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود، وأشهدهم على انفسهم انه ربهم بما اظهرلهم من آياته وبراهينه التى تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم فليس من احد الا وفيه من صنعة ربه ما يشهد على انه بارئه ونافذ الحكم، فيه فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين

والمشهدين على انفسم بصحته كما قال فى غير هذا الموضع (شاهدين على انفسهم بالكفر) يريدهم بمنزلة الشاهدين وان لم يقولوا نحن كفرة كما تقول قد شهدت جوارحى بقولك تريد قد عرفته فكأن جوارحى لو استشهدت وفى وسعها ان تنطق لشهدت ، ومن هـذا اعلامه وتبيينه ايضا (شهد الله انه لا اله الا هو) يريد اعلم وبين فأشبه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم. هذا كلام ابن الانبارى .

وزاد الجرجانى بيانا لهذا القول فقال حاكيا عن اصحابه ان الله لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن ومالم يكن بعد مما هو كائن كالكائن اذ علمه بكونه مانع من غير كونه ، شائع فى مجاز العربية ان يوضع ما هو منتظر بعد مما لم يقع بعد موقع الواقع لسبق علمه بوقوعه كما قال عزوجل فى مواضع من القرآن كقوله تعالى (ونادى اصحاب النار) (ونادى اصحاب الجنة) (ونادى اصحاب الاعراف) قال فيكون تأويل قوله (واذ أخذ ربك) واذ يأخذ ربك ، وكذلك قوله (وأشهدهم على انفسهم) اى ويشهدهم بما ركبه فيهم من العقل الذى يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب؛ وكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب صار كأن الله تعالى اخذ عليه الميثاق فى التوحيد بما ركب فيه من العقل وأراه من الآيات والدلائل عـلى حدوثه وانه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه واذا لم يجز ذلك فلابدله من خالق هو غيره ليس كمثله ، وليس من مخلوق يبلغ هـذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم الا اذا حزبه امر يفزع الى الله عزوجل حين يرفع رأسه الى السماء ويشير اليها باصبعه علما منه بان خالقه تعالى فوقه ، واذ كان العقل الذى منه الفهم والافهام مؤديا الى معرفة ماذكرنا ودالا عليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد اخذ عليه العهد والميثاق وجاز أن يقال له قد أقر وأذعن واسلم كما قال الله عزوجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) .

قال واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن الصبى حتى

يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه . وقوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها) ثم قال تعالى (وحملها الانسان) الامانة هاهنا عهد وميثاق فامتناع السموات والارض والجبال من حمل الامانة لاجل خلوها من العقل الذى يكون به الفهم والافهام وحمل الانسان اياها لمكان العقل فيه، قال وللعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله .

ضمن القنان لفقعس بثباتها   ان القنان لفقعس لا يأتلى

والقنان جبل فذكر أنه قد ضمن لفقعس وضمانه لها انهم كانوا اذا احزبهم امر هزيمة اوخوف لجأوا اليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كأجارف الجولان هلل ربه   وجوران منها خاشع متضائل (١)

وأجارف الجولان جبالها وجوران (١) الارض التى الى جانبها ، وقال هذا القائل ان فى قوله تعالى (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) دليلا على هذا التأويل لانه عز وجل اعلم ان هذا الاخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين والغفلة هاهنا لا تخلو من احد وجهين اما ان تكون عن يوم القيامة اوعن اخذ الميثاق فأما يوم القيامة فلم يذكر سبحانه فى كتابه انه اخذ عليهم عهدا وميثاقا بمعرفة البعث والحساب وانما ذكر معرفته فقط ، واما اخذ الميثاق فالاطفال والاسقاط ان كان هذا العهد مأخوذا عليهم كما قال المخالف فهم لم يبلغوا بعد اخذ هذا الميثاق

---

(١) كذا - والبيت كما فى الديوان واللسان والتاج ومعجم البلدان هكذا

« بكى حارث الجولان من فقد ربه   وحوران منها خاشع متضائل »

قال ياقوت « الحارث قرية من قرى حوران من نواحى دمشق يقال لها حارث الجولان ، وقال الجوهرى الجولان جبل بالشام وحارث قلة من قلله فى قول النابغة حيث قال ... وذكر البيت - وفى التاج ويروى من هلك ربه - ح .

عليهم مبلغا يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه وينكرونه فمتى تكون هذه الغفلة منهم وهو عز وجل لا يؤاخذهم بما لم يكن منهم، وذكر ما لا يجوز ولا يكون محال وقوله تعالى (او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فلا يخلو هذا الشرك الذى يؤاخذون به ان يكون منهم انفسهم او من آبائهم فان كان منهم فلا يجوز أن يكون ذلك الا بعد البلوغ وثبوت الحجة عليهم اذ الطفل لا يكون منه شرك ولا غيره وان كان من غيرهم فالامة مجمعة على ان (لا تزر وازرة وزر أخرى) كما قال عز وجل فى الكتاب، وليس هذا بمخالف لما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم وأخرج منه ذريته فأخذ عليهم العهد، لانه صلى الله عليه وآله وسلم اقتص قول الله عز وجل فجاء مثل نظمه فوضع الماضى من اللفظ موضع المستقبل. قال وهذا شبيه القصة بقصة قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به) فجعل سبحانه ما انزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقا اخذه من اممهم بعدهم، يدل على ذلك قوله تعالى (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ثم قال للأمم (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على انبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم به اقرارا منهم. قلت وشبيه به ايضا قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا) فهذا ميثاقه الذى اخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالايمان به وتصديقه، ونظيره قوله تعالى (والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وقوله تعالى (ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم) فهذا عهده اليهم على ألسنة رسله، ومثله قوله تعالى لبنى اسرائيل (واوفوا بعهدى اوف بعهدكم) ومثله (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم

ميثاقا غليظا) فهذا ميثاق اخذه منهم بعد بعثهم كما اخذ من اممهم بعد انذارهم ، وهذا الميثاق الذى لعن سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذى اخذه عليهم على ألسنة رسله وقد صرح به فى قوله تعالى (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذ وا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) ولما كانت هذه الآية ونظرها فى سورة مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايمان به وبرسله ، ولما كانت هذه آية الاعراف فى سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام لجميع المكلفين ممن اقر بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق واشهاد تقوم به عليهم الحجة وينقطع به العذر وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الاهلاك فلابدأن يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك مافطرهم عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم وانهم مخلوقون مربوبون ثم ارسل اليهم رسله يذكرونهم بما فى فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وأمره ونهيه ووعده ووعيده .

ونظم الآية انما يدل على هذا من وجوه متعددة (احدها) انه قال (واذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل آدم ، وبنو آدم غير آدم (الثانى) انه قال (من ظهورهم) ولم يقل ظهر وهذا بدل بعض من كل اوبدل اشتمال وهو احسن (الثالث) انه قال (ذرياتهم) ولم يقل ذريته (الرابع) انه قال (وأشهدهم على انفسهم) اى جعلهم شاهدين على انفسهم فلا بدأن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه الى هذه الدار لا يذكر شهادة قبلها (الخامس) انه سبحانه اخبر أن حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، والحجة انما قامت عليهم بالرسل والفطرة التى فطروا عليها كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (السادس) تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم

جميعا ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم (السابع) قوله تعالى (اوتقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر حكمتين فى هذا التعريف والاشهاد، احداهما ان لا يدعوا الغفلة، والثانية ان لا يدعوا التقليد فالغافل لا شعور له والمقلد متبع فى تقليده لغيره (الثامن) قوله تعالى (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) اى لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه انما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم فلو أهلكهم بتقليد آبائهم فى شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لأهلكهم بما فعل المبطلون اوأهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه وقد اخبر سبحانه انه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، وانما يهلكهم بعد الاعذار والانذار (التاسع) انه سبحانه اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه واحتج عليهم بهذا الاشهاد فى غير موضع من كتابه كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فأنى يؤفكون) اى فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم، وهذا كثير فى القرآن فهذه هى الحجة التى اشهدهم على انفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله تعالى (أفى الله شك فاطر السموات والارض) فالله تعالى انما ذكرهم على ألسنة رسله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط باقرار سابق على ايجادهم ولا اقام به عليهم حجة (العاشر) انه جعل هذا آية وهى الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب تعالى فانها ادلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به فقال تعالى (وكذلك نفصل الآيات) اى مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الآيات لعلهم يرجعون من الشرك الى التوحيد ومن الكفر الى الايمان ، وهذه الآيات التى فصلها هى التى بينها فى كتابه من انواع مخلوقاته وهى آيات افقية ونفسية، آيات فى نفوسهم وذواتهم وخلقهم، وآيات فى الاقطار والنواحى مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة، ومن ابينها ما اشهد به كل واحد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه وانه مربوب مخلوق مصنوع حادث بعد أن لم يكن ،

ومحال ان يكون حدث بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه فلا بد له من موجد اوجده ليس كمثله شيء وهذا الاقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة وهذه الآية وهي قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) مطابقة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ولقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، منيبين اليه) .

ومن المفسرين من لم يذكر الا هذا القول فقط كالزمخشري، ومنهم من لم يذكر الا القول الاول فقط ،ومنهم من حكى القولين كابن الجوزى والواحدى والماوردى وغيرهم .

قال الحسن بن يحيى الجرجانى فان اعترض معترض فى هذا الفصل بحديث يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ثم ردهم فى ظهره وقال ان هذا مانع من جواز التأويل الذى ذهبت اليه لامتناع ردهم فى الظهر إن كان أخذ الميثاق عليهم بعد البلوغ وتمام العقل؛ قيل له ان معنى ثم ردهم فى ظهره ثم يردهم فى ظهره كما قلنا ان معنى اخذ ربك يأخذ ربك فيكون معناه ثم يردهم فى ظهره بوفاتهم لانهم اذا ماتوا ردوا الى الارض للدفن وآدم خلق منها ورد فيها فاذا ردوا فيها فقد ردوا فى آدم، وفى ظهره اذ كان آدم خلق منها وفيها رد وبعض الشيء من الشيء وفيما ذهبتم اليه من تأويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ما جاء به القرآن فى هذا المعنى الا ان يرد تأويله الى ما ذكرنا لانه عز وجل قال (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) ولم يذكر آدم فى القصة انما هو ها هنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم اولاده وفى الحديث انه مسح ظهر آدم فلا يمكن رد ما جاء فى القرآن وما جاء فى الحديث الى الاتفاق الا بالتأويل الذى ذكرناه .

قال الجرجانى وأنا اقول ونحن الى ما روى فى الآية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ذهب اليه اهل العلم من السلف الصالح امثل وله اقبل وبه آنس

والله ولى التوفيق لما هو اولى واهدى ، على ان بعض اصحابنا من اهل السنة قد ذكر فى الرد على هذا القائل معنى يحتمل ويسوغ فى النظم الجارى ومجاز العربية بسهولة وامكان من غير تعسف ولا استكراه وهو أن يكون قوله تعالى (واذ اخذ ربك من بنى آدم) مبتدأ خبر من الله عزوجل عما كان منه فى اخذ العهد عليهم واذ تقتضى جوابا يجعل جوابه قوله تعالى (قالوا بلى) وانقطع هذا الخبر بتمام قصته ثم ابتدأ عزوجل خبرا آخر بذكر ما يقوله المشركون يوم القيامة فقالوا شهدنا يعنى نشهد كما قال الحطيئة .

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر

بمعنى يشهد الحطيئة يقول تعالى نشهد أنكم ستقولون يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اى عما هم فيه من الحساب والمناقشة والمؤاخذة بالكفر ثم اضاف اليه خبرا آخر فقال (اوتقولوا) بمعنى وأن تقولوا لان او بمعنى واو النسق مثل قوله تعالى (ولا تطع منهم آثما او كفورا) فتأويله ونشهدأن تقولوا يوم القيامة (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) اى انهم اشركوا وحملونا على مذهبهم فى الشرك فى صبانا فجرينا على مذاهبهم واقتدينا بهم فلاذنب لنا اذ كنا مقتدين بهم والذنب فى ذلك لهم قالوا (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) يدل على ذلك قولهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) اى حملهم ايانا على الشرك ، فتكون القصة الاولى خبرا عن جميع المخلوقين بأخذ الميثاق عليهم ، والقصة الثانية خبر عما يقول المشركون يوم القيامة من الاعتذار .

وقال فيما ادعاه المخالف انه تفاوت فيما بين الكتاب والخبر لاختلاف الفاظهما فيهما قولا يجب قبوله بالنظائر والعبر التى تأيدبها لمخالفته فقال ان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم - افاد زيادة خبر كان فى القصة التى ذكر الله تعالى فى الكتاب بعضها ولم يذكر كلها ولو اخبر صلى الله عليه وآله وسلم بسوى هذه الزيادة التى اخبر بها مما عسى ان يكون قد كان فى ذلك الوقت الذى اخذ فيه العهد مما لم يضمنه الله كتابه لما كان فى ذلك خلاف ولا تفاوت بل كان

زيادة فى الفائدة ، وكذلك الالفاظ اذا اختلفت فى ذاتها وكان مرجعها الى امر واحد لم يوجب ذلك تناقضا كما قال عزوجل فى كتابه فى خلق آدم فذكر مرة انه خلق من تراب ومرة انه خلق من حمأ مسنون ، ومرة من طين لازب ، ومرة من صلصال كالفخار . فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها ايضا فى الاحوال مختلفة ان الصلصال غير الحمأة والحمأة غير التراب الا ان مرجعها كلها فى الاصل الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الاحوال .

فقوله سبحانه وتعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته معنى واحد فى الاصل الا ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم مسح ظهر آدم زيادة فى الخبر عن الله عزوجل ومسحه عزوجل ظهر آدم واستخراج ذريته منه مسح لظهور ذريته واستخراج ذرياتهم من ظهورهم كما ذكر تعالى لأنا قد علمنا ان جميع ذرية آدم لم يكونوا من صلبه لكن لما كان الطبق الاول من صلبه ثم الثانى من صلب الاول ثم الثالث من صلب الثانى جاز أن ينسب ذلك كله الى ظهر آدم لانهم فرعه وهو اصلهم .

وكما جاز أن يكون ما ذكر الله عزوجل انه استخرجه من ظهور ذرية آدم من ظهر آدم جاز أن يكون ما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم انه استخرجه من ظهر آدم من ظهور ذريته اذ الاصل والفرع شىء واحد وفيه ايضا انه عزوجل لما اضاف الذرية الى آدم فى الخبر احتمل ان يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال عزوجل (فظلت اعناقهم لها خاضعين) والخبر فى الظاهر عن الاعناق والنعت للاسماء المكنية فيها وهو (١) مضاف اليها كما كان آدم مضافا اليه هناك وليسا جميعا بالمقصودين فى الظاهر بالخبر ولا يحتمل ان يكون قوله خاضعين للاعناق لان وجه جمعها خاضعات ومنه قول الشاعر .

وتشرق بالقول الذى قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر وقوله شرقت انث لاضافة الصدر الى القناة

---

(١) اى النعت — ح .

فصل

فهذا بعض كلام السلف والخلف فى هذه الآية وعلى كل تقدير فلاتدل على خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وامثالهم فى صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك والذى صح انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم الى شقى وسعيد. واما استدلال ابى محمد ابن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فما اليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتيب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم ولهذا قال ابن عباس (ولقد خلقناكم) يعنى آدم (ثم صورناكم) لذريته . ومثال هذا ماقاله مجاهد (خلقناكم) يعنى آدم و (صورناكم) فى ظهر آدم وانما قال (خلقناكم) بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وانما ضربت سيدهم .

واختار ابو عبيد فى هذه الآية قول مجاهد لقوله تعالى بعد (ثم قلنا للملائكة اسجدوا) وكان قولـه تعالى للملائكة اسجدوا قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم فى الارحام وثم توجب التراخى والترتيب فمن جعل الخلق والتصوير فى هذه الآية لاولاد آدم فى الارحام يكون قدراعى حكم ثم فى الترتيب الان يأخذبقول الاخفش فانه يقول ثم هاهنا فى معنى الواو. قال الزجاج وهذا خطأ لايجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه . قال ابو عبيد وقدبينه مجاهد حين قال ان الله تعالى خلق ولد آدم وصورهم فى ظهره ثم امربعد ذلك بالسجود. قال وهذا بين فى الحديث وهو أنه اخرجهم من ظهره فى صور الذر .

قلت والقرآن يفسر بعضه بعضا ونظير هذه الآية قوله تعالى (ياايهاالناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) فأوقع الخلق من تراب عليهم وهو لابيهم آدم اذهو اصلهم والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد آباؤهم كقوله تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) وقوله تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) الآية

وقوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) وقوله تعالى (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) وهو كثير فى القرآن يخاطبهم والمراد به آباؤهم فهكذا قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) .

وقد يستطرد سبحانه من ذكر الشخص الى ذكر النوع كقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) فالمخلوق من سلالة من طين آدم والمجعول نطفة فى قرار مكين ذريته .

واما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بالفى عام فلا يصح اسناده ففيه عتبة بن السكن. قال الدار قطنى متروك، وأرطاة بن المنذر قال ابن عدى بعض احاديثه غلط .

فصل

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها فمن وجوه (احدها) ان خلق ابى البشر واصلهم كان هكذا فان الله سبحانه ارسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودما حيا ناطقا، ففى تفسير ابى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن اناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ الله عزوجل من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس ملكا على سماء الدنيا وكان من الخزان قبله من ملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان اهل الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى صدره وقال ما اعطانى الله هذا الالمزيد لى وفى لفظ لمزية لى على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر فى نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة (انى جاعل فى الارض خليفة) قالوا ربنا وما يكون حال الخليفة وما يصنعون فى الارض قال الله تكون له ذرية يفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم مالا تعلمون) يعنى من شأن ابليس فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض

انى أعوذ بالله منك ان تقبض منى فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فبعث ملك الموت . فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ولذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب عز وجل حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدى ولم اتكبر أنا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين اربعين سنة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان اشدهم منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة لاترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا اجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمدلله فقال الحمدلله فقال له الله يرحمك ربك، فلما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام قبل ان يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول (خلق الانسان من عجل) وذكر باقى الحديث .

وقال يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب ثنا ابن زيد قال لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار؟ ولأى شيء خلقتها؟ قال لمن عصانى من خلقى. ولم يكن لله يومئذ خلق الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد ذلك وقرأ قوله تعالى (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قال عمر بن الخطاب يارسول الله ليت ذلك الحين. ثم قال وقالت الملائكة ويأتى علينا دهر نعصيك فيه؟ لا يرون له خلقا غيرهم

قال لا ! انى اريد أن اخلق فى الارض خلقا واجعل فيها خليفة _ وذكر الحديث قال ابن اسحاق فيقال والله اعلم خلق الله آدم ثم وضعه ينظر اليه اربعين عاما قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسسه نار فيقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله _ وذكر الحديث .

والقرآن والحديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة ارواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لأى شيء خلقتها ؟ وهى ترى ارواح بنى آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث . ولما كانت ارواح الكفار كلها تبعا لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه ولم يكن قبل ذلك كافرا فكيف تكون الارواح قبله كافرة . ومؤمنة وهو لم يكن كافرا إذ ذاك ؟ وهل حصل الكفر للارواح الا بتزيينه وإغوائه ؟ فالارواح الكافرة انما حدثت بعد كفره الا ان يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه والذى احتجوا به على تقديم خلق الارواح يخالف ذلك .

وفى حديث ابى هريرة فى تخليق العالم الاخبار عن خلق اجناس العالم تأخر خلق آدم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق فى ستة ايام فلما لم يخبر عن خلقها فى هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية وان خلق آدم وحده هو الذى وقع فى تلك الايام الستة واما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد المعاين .

ولو كان للروح وجود قبل البدن وهى حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك فى هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما .

ومن الممتنع ان تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهى بين ملأ من الارواح ثم تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما .

واذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهى فى البدن على التفصيل وتعلم ما كانت

عليه ها هنا مع انها اكتسبت بالبدن امورا عاقتها عن كثير من كمالها فلأن تشعر بحالها الاول وهى غير معوقة هناك بطريق الاولى ، الا ان يقال تعلقها بالبدن واشتغالها بتدبيره منعها من شعورها بحالها الاول ، فيقال هب انه منعها من شعورها به على التفصيل والكمال فهل يمنعها عن ادنى شعور بوجه ما مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ، ومعلوم ان تعلقها بالبدن لم يمنعها عن الشعور بأول احوالها وهى فى البدن فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك .

وايضا فانها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت عالمة حية ناطقة عاقلة فلما تعلقت بالبدن سلبت ذلك كله ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئا، فشيئا وهذا لو كان لكان من اعجب الامور أن تكون الروح كاملة عاقلة ثم تعود ناقصة ضعيفة جاهلة ثم تعود بعد ذلك الى عقلها وقوتها فأين فى العقل والنقل والفطرة ما يدل على هذا ؟ وقد قال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) فهذه الحال التى اخرجنا عليها هى حالنا الاصلية والعلم والعقل والمعرفة والقوة طار علينا حادث فينا بعد أن لم يكن ولم نكن نعلم قبل ذلك شيئا البتة اذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به .

وايضا فلو كانت مخلوقة قبل الاجساد وهى على ما هى الآن من طيب وخبث وكفر وايمان وخير وشر لكان ذلك ثابتا لها قبل الاعمال وهى انما اكتسبت هذه الصفات والهيئات من اعمالها التى سعت فى طلبها واستعانت عليها بالبدن فلم تكن لتتصف بتلك الهيئات والصفات قبل قيامها بالابدان التى بها عملت تلك الاعمال .

وان كان قدر لها قبل ايجادها ذلك ثم خرجت الى هذه الدار على ما قدر لها فنحن لا ننكر الكتاب والقدر السابق لها من الله، ولو دل دليل على انها خلقت جملة ثم اودعت فى مكان حية عالمة ناطقة ثم كل وقت تبرز الى ابدانها شيئا فشيئا لكنا اول قائل به، فالله سبحانه على كل شيء قدير ولكن لا نخبر عنه خلقا وأمرا الا بما اخبر به عن نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبر عنه بذلك وانما اخبر بما فى الحديث الصحيح ان خلق

ابن آدم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح. فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها فى بدنه وانما ارسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لأن الله سبحانه ارسل اليه الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، وتأمل مادل عليه النص من هذين المعنيين وبالله التوفيق.

فصل

وأما المسئلة التاسعة عشر وهى ما حقيقة النفس هل هى جزء من اجزاء البدن اوعرض من اعراضه اوجسم مساكن له مودع فيه اوجوهر مجرد؟ وهل هى الروح اوغيرها؟ وهل الامارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات ام هى ثلاث نفس؟

فالجواب ان هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف واضطربت اقوالهم فيها وكثر فيها خطؤهم وهدى الله اتباع الرسول وأهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم. فنذكر اقوال الناس وما لهم وما عليهم فى تلك الاقوال ونذكر الصواب بحمد الله وعونه.

قال ابو الحسن الاشعرى فى مقالاته «اختلف الناس فى الروح والنفس والحياة وهل الروح هى الحياة اوغيرها وهل الروح جسم ام لا؟ فقال النظام الروح (هى-١) جسم وهى النفس وزعم ان الروح حى بنفسه وانكر أن تكون الحياة والقوة معنى غير الحى القوى. وقال آخرون الروح عرض.

وقال قائلون منهم جعفر بن حرب لاندرى الروح جوهر اوعرض (كذا قال-٢)

---

(١) من مقالات الاشعرى ومنه صححنا بعض الاغلاط فى هذه العبارة - ح

(٢) هذا من كلام المؤلف ليس فى المقالات - ح

واعتلوا فى ذلك بقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ولم يخبر عنها ماهى لا انها جوهر ولا عرض . قال - وأظن جعفرا اثبت (١) الحياة غير الروح واثبت (١) الحياة عرضا .

وكان الجبائى يذهب الى ان الروح جسم وانها غير الحياة والحياة عرض ويعتل بقول اهل اللغة خرجت روح الانسان وزعم ان الروح لاتجوز عليها الاعراض .

وقال قائلون ليس الروح شيئا اكثر من اعتدال الطبائع الاربع ولم يرجعوا من قولهم (اعتدال - ٢) الا الى المعتدل ولم يثبتوا فى الدنيا شيئا الا الطبائع الاربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

وقال قائلون ان الروح معنى خامس غير الطبائع الاربع وانه ليس فى الدنيا الا الطبائع الاربع (٣) والروح واختلفوا فى (اعمال - ٢) الروح فثبتها بعضهم طباعا وثبتها بعضهم اختيارا .

وقال قائلون الروح الدم الصافى من الكدر والعفونات وكذلك قالوا فى القوة وقال قائلون الحياة هى الحرارة الغريزية وكل هؤلاء الذين حكينا اقوالهم (٤) فى الروح من اصحاب الطبائع يثبتون ان الحياة هى الروح .

وكان الاصم لايثبت الحياة والروح شيئا غير الجسد ويقول ليس اعقل الا الجسد الطويل العريض العميق الذى اراه وأشاهده ، وكان يقول النفس هى هذا البدن بعينه لاغير ، وانما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان والتأكيد بحقيقة الشيء لاعلى انها معنى غير البدن .

وذكر عن ارسطاطاليس ان النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت (التدبير والنشوء والبلى غير دائرة - ٥) وانها جوهر بسيط منبث فى العالم كله من الحيوان على جهة الاعمال له والتدبير ، وانه لاتجوز عليه صفة قلة ولا كثرة - قال

---

(١) فى المقالات - ثبت - ح (٢) من المقالات - ح (٣) زاد فى المقالات « التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة (٤) فى المقالات - قولهم - ح (٥) من المقالات وكان فى الاصل ، تحت النسق واللون - ح .

وهى على ما وصفت من انبساطها فى هذا العالم غير منقسمة الذات والبنية وانها فى كل حيوان العالم بمعنى واحد لاغير .

وقال آخرون بل النفس معنى موجود ذات حدود وأركان وطول وعرض وعمق وانها غير مفارقة فى هذا العالم لغيرها مما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق وكل واحد منهما يجمعهما صفة الحد والنهاية (وهذا قول طائفة من الثنوية يقال لهم المنانية - ١) .

وقالت طائفة ان النفس موصوفة (٢) بما وصفها هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم من معنى الحدود والنهايات الا انها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز أن يكون موصوفا بصفة الحيوان (وهؤلاء الديصانية - ١) وحكى الحريرى عن جعفر بن مبشر أن النفس جوهر ليس هو هذا الجسم وليس بجسم لكنه معنى باين (٣) الجوهر والجسم .

وقال آخرون النفس معنى غير الروح والروح غير الحياة والحياة عنده عرض وهو ابو الهذيل ، وزعم انه قد يجوز أن يكون الانسان فى حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) .

وقال جعفر بن حرب النفس عرض من الاعراض يوجد فى هذا الجسم وهو احد الآلات التى يستعين بها الانسان على الفعل كالصحة والسلامة وما اشبهها وانها غير موصوفة بشىء من صفات الجواهر والاجسام » هذا ما حكاه الاشعرى .

وقالت طائفة النفس هى النسيم الداخل والخارج بالتنفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فقط وهو غير النفس وهذا قول القاضى ابى بكر بن الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية .

وقالت طائفة ليست النفس جسما ولاعرضا وليست النفس فى مكان ولالها طول ولاعرض

---

(١) من المقالات - ح (٢) فى المقالات - توصف (٣) فى المقالات - بين .

ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هى فى العالم ولا خارجه ولا مجانبة له ولا مباينة ، وهذا قول المشائين وهو الذى حكاه الاشعرى عن ارسطاطاليس ، وزعموا ان تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة وانما هو التدبير له فقط . واختار هذا المذهب البوسنجى ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ومعمر بن عباد الغزالى وهو قول ابن سينا واتباعه وهو اردى المذاهب وابطلها وابعدها من الصواب .

قال ابو محمد بن حزم وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان جثة متحيزة مصرفة للجسد ، قال وبهذا نقول ، قال والنفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد ومعناهما واحد .

وقد ضبط ابو عبدالله ابن الخطيب مذاهب الناس فى النفس فقال « ما يشير اليه كل انسان بقوله انا اما ان يكون جسما او عرضا ساريا فى الجسم او لا جسما ولا عرضا ساريا فيه ، اما القسم الاول وهو انه جسم فذلك الجسم اما ان يكون هذا البدن واما ان يكون جسما مشاركا لهذا البدن واما ان يكون خارجا عنه ، اما القسم الثالث وهو أن نفس الانسان عبارة عن جسم خارج عن هذا البدن فهذا لم يقله احد ، واما القسم الاول وهو أن الانسان عبارة عن هذا البدن والهيكل المخصوص فهو قول جمهور الخلق وهو المختار عند اكثر المتكلمين » .

قلت ـ هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرازى اقوالهم من اهل البدع وغيرهم من المضلين واما اقوال الصحابة والتابعين واهل الحديث فلم يكن له بها شعور البتة ولا اعتقد أن لهم فى ذلك قولا على عادته فى حكاية المذاهب الباطلة فى المسئلة والمذهب الحق الذى دل عليه القرآن والسنة واقوال الصحابة لم يعرفه ولم يذكره وهذا الذى نسبه الى جمهور الخلق من ان الانسان هو هذا البدن المخصوص فقط وليس وراءه شىء هو من ابطل الاقوال فى المسئلة بل هو ابطل من قول ابن سينا واتباعه ، بل الذى عليه جمهور العقلاء ان الانسان هو البدن والروح معا وقد يطلق اسمه على احدهما دون الآخر بقرينة .

فالناس لهم اربعة اقوال فى مسمى الانسان. هل هو الروح فقط، او البدن فقط، او مجموعهما، او كل واحد منهما. وهذه الاقوال الاربعة لهم فى كلامه هل هو اللفظ فقط، او المعنى فقط، او مجموعهما، او كل واحد منهما. فالخلاف بينهم فى الناطق ونطقه.

قال الرازى واما القسم الثانى وهو ان الانسان عبارة عن جسم مخصوص موجود فى داخل هذا البدن فالقائلون بهذا القول اختلفوا فى تعيين ذلك الجسم على وجوه (الاول) انه عبارة عن الاخلاط الاربعة التى منها يتولد هذا البدن (والثانى) انه الدم (والثالث) انه الروح اللطيف الذى يتولد فى الجانب الايسر من القلب وينفذ فى الشريانات الى سائر الاعضاء (والقول الرابع) انه الروح الذى يصعد فى القلب الى الدماغ ويتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوة الحفظ والفكر والذكر (والخامس) انه جزء لايتجزأ فى القلب (والسادس) انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم، فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية، واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح».

وهذا القول هو الصواب فى المسئلة وهو الذى لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ونحن نسوق الادلة عليه على نسق واحد.

(الدليل الاول) قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) ففى الآية ثلاثة ادلة الاخبار بتوفيها وامساكها وارسالها.

(الرابع) قوله تعالى (ولوترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) الى قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة) وفيها اربعة ادلة (احدها) بسط الملائكة ايديهم لتناولها (الثانى) وصفها بالاخراج والخروج (الثالث) الاخبار عن عذابها ذلك اليوم (الرابع) الاخبار عن مجيئها الى ربها ـ فهذه سبعة ادلة .

(الثامن) قوله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم) الى قوله تعالى (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون) وفيها ثلاثة ادلة (احدها) الاخبار بتوفى الانفس بالليل (الثانى) بعثها الى اجسادها بالنهار (الثالث) توفى الملائكة له عند الموت فهذه عشرة ادلة .

الحادى عشر قوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وفيها ثلاثة ادلة (احدها) وصفها بالرجوع (الثانى) وصفها بالدخول (والثالث) وصفها بالرضا .

واختلف السلف هل يقال لها ذلك عند الموت اوعند البعث اوفى الموضعين؟ على ثلاثة اقوال، وقد روى فى حديث مرفوع ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لابى بكر الصديق أما ان الملك سيقولها لك عند الموت . قال زيد بن اسلم بشرت بالجنة عند الموت ويوم الجمع وعند البعث . وقال ابوصالح (ارجعى الى ربك راضية مرضية) هذا عند الموت (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) قال هذا يوم القيامة ـ فهذه اربعة عشر دليلا .

(الخامس عشر) قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر، ففيه دليلان (احدها) وصفه بانه يقبض (والثانى) ان البصر يراه .

(والسابع عشر) ما رواه النسائى ثنا ابوداود عن عفان عن حماد عن ابى جعفر عن عمارة بن خزيمة ان اباه قال رأيت فى المنام كأنى اسجد على جبهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك فقال ان الروح ليلقى الروح فأقنع رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم هكذا – قال عفان برأسه الى حلقه – فوضع جبهته (على جبهة –١) النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فأخبر أن الارواح تتلاقى فى المنام. وقد تقدم قول ابن عباس تلتقى ارواح الاحياء والاموات فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى .

(الثامن عشر) قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث بلال ان الله قبض ارواحكم وردها اليكم حين شاء. ففيه دليلان وصفها بالقبض، والرد .

(العشرون) قوله صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة وفيه دليلان (احدهما) كونها طائرا (الثانى) تعلقها فى شجر الجنة وأكلها على اختلاف التفسيرين .

(الثانى والعشرون) قوله ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل معلقة بالعرش فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال اى شىء تريدون ؟ الحديث وقد تقدم وفيه ستة ادلة (احدها) كونها مودعة فى جوف طير (الثانى) انها تسرح فى الجنة (الثالث) انها تأكل من ثمارها وتشرب من انهارها (الرابع) انها تأوى الى تلك القناديل اى تسكن اليها (الخامس) ان الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته وخاطبته (السادس) انها طلبت الرجوع الى الدنيا فعلم انها مما يقبل الرجوع (فان قيل) هذا كله صفة الطير لا صفة الروح (قيل) بل الروح المودعة فى الطير قصد، وعلى الرواية التى رجحها ابو عمر، وهى قوله «ارواح الشهداء كطير» ينفى السؤال بالكلية .

(التاسع والعشرون) قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طلحة بن عبيدالله اردت مالى بالغابة فادركنى الليل فأويت الى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت احسن منها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاك عبد الله ألم تعلم ان الله قبض ارواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت

---

(١) سقط من الاصل وهو ثابت فى الحديث – ح .

ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانها التى كانت، وفيه اربعة ادلة سوى ماتقدم (احدها) جعلها فى القناديل (الثانى) انتقالها من حيز الى حيز (الثالث) تكلمها وقراءتها فى القبر (الرابع) وصفها بانها فى مكان .

(الثالث والثلاثون) حديث البراء بن عازب وقد تقدم سياقه وفيه عشرون دليلا (احدها) قول ملك الموت لنفسه (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) وهذا الخطاب لمن يفهم ويعقل (الثانى) قوله اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان (الثالث) قوله فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء (الرابع) قوله فلا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه (الخامس) قوله حتى يكفنوها فى ذلك الكفن ويحنطوها بذلك الحنوط ـ فأخبر أنها تكفن وتحنط (السادس) قوله ثم يصعد بروحه الى السماء (السابع) قوله ويوجد منها كأطيب نفحة مسك وجدت (الثامن) قوله فتفتح له ابواب السماء (التاسع) قوله ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى الى الرب تعالى (العاشر) قوله فيقول الله تعالى ردوا عبدى الى الارض (الحادى عشر) قوله فترد روحه فى جسده (الثانى عشر) قوله فى روح الكافر فتفرق فى جسده فيجذبها فتنقطع منها العروق والعصب (الثالث عشر) قوله ويوجد لروحه كأنتن ريح وجدت على وجه الارض (الرابع عشر) قوله فيقذف بروحه من السماء وتطرح طرحا فتهوى الى الارض (الخامس عشر) قوله فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ وما هذا الروح الخبيث ؟ (السادس عشر) قوله فيجلسانه ويقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فان كان هذا للروح فظاهر ، وان كان للبدن فهو بعد رجوع الروح اليه من السماء (السابع عشر) قوله فاذا صعد بروحه قيل اى رب عبدك فلان (الثامن عشر) قوله ارجعوه فأروه ماذا اعددت له من الكرامة، فيرى مقعده من الجنة اوالنار (التاسع عشر) قوله فى الحديث اذا خرجت روح المؤمن صلى عليها كل ملك لله بين السماء والارض، فالملائكة تصلى

على روحه وبنو آدم يصلون على جسده (العشرون) قوله فينظر الى مقعده من الجنة اوالنار حتى تقوم الساعة، والبدن قد تمزق وتلاشى وانما الذى يرى المقعدين الروح .

فصل

(الرابع والخمسون) حديث ابى موسى تخرج نفس المؤمن اطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاهم ملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت - لمحاسن عمله - فيقولون مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد منه عمله فيشرق فى السموات وهو كبرهان الشمس حتى ينتهى بها الى العرش ، وأما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون من هذا؟ فيقولون فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت - لمساوى اعماله - فيقولون لا مرحبا ردوه فيرد الى اسفل الارض الى الثرى ففيه عشرة ادلة (احدها) خروج نفسه (الثانى) طيب ريحها (الثالث) انطلاق الملائكة بها (الرابع) تحية الملائكة لها (الخامس) قبضهم لها (السادس) صعودهم بها (السابع) اشراق السموات لضوئها (الثامن) انتهاؤها الى العرش (التاسع) قول الملائكة من هذا؟ وهذا سؤال عن عين وذات قائمة بنفسها (العاشر) قوله ردوه الى اسفل الارضين .

فصل

(الرابع والستون) حديث ابى هريرة اذا خرجت روح المؤمن تلقاه ملكان فيصعدانه الى السماء فيقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه وذكر المسك ثم يصعد به الى ربه عز وجل فيقول ردوه الى آخر الاجلين ففيه ستة ادلة (احدها) قوله تلقاه ملكان (الثانى) قوله فيصعدانه الى السماء (الثالث) قول الملائكة روح طيبة جاءت من قبل الارض (الرابع) صلاتهم عليها (الخامس) طيب ريحها (السادس) الصعود بها الى الله عز وجل .

فصل

(الحادى والسبعون) حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان المؤمن تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهى بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلايزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عزوجل. واذا كان الرجل السوء قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله ازواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج فينتهى بها الى السماء فيقال من هذا؟ فيقال فلان بن فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء فترسل الى الارض ثم تصير الى القبر. وهو حديث صحيح وفيه عشرة ادلة (احدها) قوله كانت فى الجسد الطيب، وكانت فى الجسد الخبيث - فها هنا حال ومحل (الثانى) قوله اخرجى حميدة (الثالث) قوله وأبشرى بروح وريحان، فهذا بشارة بما تصير اليه بعد خروجها (الرابع) قوله فلايزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء (الخامس) قوله فيستفتح لها (السادس) قوله ادخلى حميدة (السابع) قوله حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله تعالى (الثامن) قوله لنفس الفاجر ارجعى ذميمة (التاسع) قوله فانه لا تفتح لك ابواب السماء (العاشر) قوله فترسل الى الارض ثم تصير الى القبر.

فصل

(الحادى والثمانون) قوله صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف. فوصفها بأنها جنود مجندة والجنود ذوات قائمة بنفسها ووصفها بالتعارف والتناكر ومحال ان تكون هذه الجنود اعراضا

اوتكون لاداخل العالم ولاخارجه ولابعض لهاولا كل .

(الثانى والثمانون) قوله فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه على الارواح تتلاقى وتتشام كما تشام الخيل - وقد تقدم .

(الثالث والثمانون) قوله فى حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يومين وما رأى احدهما صاحبه .

(الرابع والثمانون) الآثار التى ذكرناها فى خلق آدم وان الروح لما دخل فى رأسه عطس فقال الحمد لله فلما وصل الروح الى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما وصل الى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح رجليه وانها دخلت كارهة وتخرج كارهة .

(الخامس والثمانون) الآثار التى فيها اخراج الرب تعالى النسم وتمييز شقيهم من سعيدهم وتفاوتهم حينئذ فى الاشراق والظلمة وارواح الانبياء فيهم مثل السرج - وقد تقدم .

(السادس والثمانون) حديث تميم الدارى ان روح المؤمن اذا صعد بها الى الله خرساجدا بين يديه وان الملائكة تتلقى الروح بالبشرى وان الله تعالى يقول لملك الموت انطلق بروح عبدى فضعه فى مكان كذا وكذا - وقدتقدم .

(السابع والثمانون) الآثار التى ذكرناها فى مستقر الارواح بعد الموت واختلاف الناس فى ذلك وفى ضمن ذلك الاختلاف اجماع السلف على ان للروح مستقرا بعد الموت وان اختلف فى تعيينه .

(الثامن والثمانون) ما قد علم بالضرورة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء به واخبر به الامة انه تنبت اجسادهم فى القبور فاذا نفخ فى الصور رجعت كل روح الى جسدها فدخلت فيه فانشقت الارض عنه فقام من قبره .

وفى حديث الصور ان اسرافيل عليه السلام يدعو الارواح فتاتيه جميعا ارواح المسلمين نورا والاخرى مظلمة فيجمعها جميعا فيلقيها فى الصور ثم ينفخ فيه فيقول الرب جل جلاله وعزتى ليرجعن كل روح الى جسده فتخرج الارواح من

الصور مثل النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيأتى كل روح الى جسده فيدخل ويأمر الله الارض فتنشق عنهم فيخرجون سراعا الى ربهم ينسلون مهطعين الى الداعى يسمعون المنادى من مكان قريب فاذاهم قيام ينظرون.

وهذا معلوم بالضرورة ان الرسول اخبر به وان الله سبحانه لا ينشئ لهم ارواحا غير ارواحهم التى كانت فى الدنيا بل هى الارواح التى اكتسبت الخير والشر انشأ ابدانها نشأة اخرى ثم ردها اليها.

(التاسع والثمانون) ان الروح والجسد يختصمان بين يدى الرب عزوجل يوم القيامة. قال على بن عبد العزيز ثنا احمد بن يونس ثنا ابو بكر بن عياش عن ابى سعد (١) البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب انما كنت روحا منك جعلتنى فى هذا الجسد فلا ذنب لى. ويقول الجسد يارب كنت جسدا خلقتنى ودخل فىّ هذا الروح مثل النار، فبه كنت اقوم وبه كنت اقعد وبه اذهب وبه اجيء لا ذنب لى. قال فيقال انا اقضى بينكما اخبرانى عن اعمى ومقعد دخلا حائطا فقال المقعد الاعمى انى ارى ثمرا فلو كانت لى رجلان لتناولت فقال الاعمى انا أحملك على رقبتى فحمله فتناول من الثمر فأكلا جميعا فعلى من الذنب؟ قالا عليهما جميعا فقال قضيتما على انفسكما.

(التسعون) الاحاديث والآثار الدالة على عذاب القبر ونعيمه الى يوم البعث فمعلوم ان الجسد تلاشى واضمحل وان العذاب والنعيم المستمرين الى يوم القيامة انما هو على الروح (الحادي والتسعون) اخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح عن الشهداء انهم لما سئلوا ما تريدون؟ قالوا نريد ان ترد أرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فيك مرة اخرى. فهذا سؤال وجواب من ذات حية عالمة ناطقة تقبل الرد الى الدنيا والدخول فى اجساد خرجت منها وهذه الارواح سئلت وهى تسرح فى الجنة والاجساد قد مزقها البلى.

---

(١) فى الاصل - ابو سعيد - خطأ - وهو ابو سعد سعيد بن المرزبان - قال فى التقريب - ضعيف مدلس - ح.

(الثانى والتسعون) ماثبت عن سلمان الفارسى وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم ان ارواح المؤمنين فى برزخ تذهب حيث شاءت وارواح الكفار فى سجين - وقد تقدم .

(الثالث والتسعون) رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لارواح الناس عن يمين آدم ويساره ليلة الاسراء - فرآها متحيزة بمكان معين .

(الرابع والتسعون) رؤيته ارواح الانبياء فى السموات وسلامهم عليه وترحيبهم به كما اخبر به ، واما ابدانهم ففى الارض .

(الخامس والتسعون) رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ارواح الاطفال حول ابراهيم الخليل عليه السلام .

(السادس والتسعون) رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ارواح المعذبين فى البرزخ بأنواع العذاب فى حديث سمرة الذى رواه البخارى فى صحيحه ، وقد تلاشت اجسادهم واضمحلت وانما كان الذى رآه ارواحهم ونسمهم يفعل بها ذلك .

(السابع والتسعون) اخباره سبحانه عن الذين قتلوا فى سبيله انهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم فرحون مستبشرون باخوانهم - وهذا للارواح قطعا لأن الابدان فى التراب تنتظر عود أرواحها اليها يوم البعث .

(الثامن والتسعون) ماتقدم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ونحن نسوقه ليتبين كم فيه من دليل على بطلان قول الملاحدة واهل البدع فى الروح ، وقد ذكرنا اسناده فيما تقدم ، قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الآية (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت) الآية ثم قال والذى نفس محمد بيده مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة اوالنار فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان مابين الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم وان كنتم ترون انه ينظر اليكم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجى ايتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ماهو خير لك

من الدنيا وما فيها - فلا يزالون يبشرونه فلهم الطف به وأرأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل يموت الاول فالاول ويبرد كل عضو الاول فالاول ويهون عليه وان كنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه فلهى اشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو أشد لزوما من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فينشقون ريحا طيبا ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وصل على جسد خرجت منه ، قال فيصعدون بها فتفوح لهم ريح اطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم ابواب السماء ويصلى عليها كل ملك فى كل سماء تمر بهم حتى تنتهى بين يدى الجبار جل جلاله فيقول الجبار عزوجل مرحبا بالنفس الطيبة أدخلوها الجنة وأروها مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فانى قضيت انى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى. فوالذى نفس محمد بيده لهى اشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول اين تذهبون بى؟ الى ذلك الجسد الذى كنت فيه! فيقولون انا مأمورون بهذا فلا بد لك منه - فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين الجسد واكفانه. فتأمل كم فى هذا الحديث من موضع يشهد ببطلان قول المبطلين فى الروح.

(التاسع والتسعون) ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم عن عبدالرحمن بن البيلمانى عن عبدالله بن عمر (١) رضى الله عنهما قال اذا توفى المؤمن بعث اليه ملكان بريحان من الجنة وخرقة تقبض فيها فتخرج كأطيب رائحة وجدها احد قط بأنفه حتى يؤتى به الرحمن جل جلاله فتسجد الملائكة قبله ويسجد بعدهم ثم يدعى ميكائيل عليه السلام فيقال اذهب بهذه النفس فاجعلها

---

(١) فى نسخة - ابن عمرو.

مع انفس المؤمنين حتى اسألك عنها يوم القيامة .

وقد تظاهرت الآثار عن الصحابة ان روح المؤمن تسجد بين يدى العرش فى وفاة النوم ووفاة الموت . واما حين قدومها على الله فأحسن تحيتها ان تقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام .

(وحدثنى) القاضى نور الدين بن الصائغ قال كانت لى خالة وكانت من الصالحات العابدات قال عدتها فى مرض موتها فقالت لى الروح اذا قدمت على الله ووقفت بين يديه ما تكون تحيتها وقولها له؟ قال فعظمت علىّ مسألتها وفكرت فيها ثم قلت تقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام . قال فلما توفيت رأيتها فى المنام فقالت لى جزاك الله خيرا لقد دهشت فما ادرى ما اقوله ثم ذكرت تلك الكلمة التى قلت لى فقلتها .

فصل

(المائة) ما قد اشترك فى العلم به عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتى وسؤالهم لهم وإخبارهم اياهم بأمور خفيت عليهم فرأوها عيانا وهذا اكثر من ان يتكلف ايراده .

واعجب من هذا (الوجه الحادى والمائة) ان روح النائم يحصل لها فى المنام آثار فتصبح تراها على البدن عيانا وهى من تأثر الروح فى الروح كما ذكر القيروانى فى (كتاب البستان) عن بعض السلف (قال) كان لى جار يشتم ابا بكر وعمر رضى الله عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته وتناولنى فانصرفت الى منزلى وانا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله فلان يسب اصحابك قال من اصحابى ؟ قلت ابوبكر وعمر فقال خذ هذه المدية فاذبحه بها فأخذتها فاضجعته وذبحته ورأيت كأن يدى اصابها من دمه فألقيت المدية واهويت بيدى الى الارض لأمسحها فانتبهت وانا اسمع الصراخ من نحو داره فقلت ما هذا الصراخ ؟ قالوا فلان مات فجاءة فلما اصبحنا جئت فنظرت اليه فاذا خط موضع الذبح .

وفى (كتاب المنامات) لابن ابى الدنيا عن شيخ من قريش قال رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسألته عن ذلك؟ فقال قد جعلت لله على ان لايسألنى احد عن ذلك الا اخبرته به كنت شديد الوقيعة فى على بن ابى طالب رضى الله عنه فبينا انا ذات ليلة نائم اذ أتانى آت فى منامى فقال لى انت صاحب الوقيعة فىّ ؟ فضرب شق وجهى فاصبحت وشق وجهى اسود كما ترى .

(وذكر) مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى ابى عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند عائشة رضى الله عنها فأتتها امرأة مشتملة على يدها فجعل النساء يولعن بها ، فقالت ما اتيتك الا من اجل يدى! ان ابى كان رجلا سمحا وانى رأيت فى المنام حياضا عليها رجال معهم آنية يسقون من اتاهم فرأيت ابى قلت اين امى ؟ فقال انظرى فنظرت فاذا امى ليس عليها الا قطعة خرقة فقال انها لم تتصدق قط الا بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرى بها وهى تقول واعطشاه ! قالت فأخذت اناء من الآنية فسقيتها فنوديت من فوقى من سقاها ايبس الله يده فأصبحت يدى كما ترين .

(وذكر) الحارث بن اسد المحاسبى واصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد ابن مسلمة قال بينما امرأة عند عائشة اذ قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اشرك بالله شيئا ولا اسرق ولا ازنى ولا اقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه بين يدى ورجلى ولا اعصى فى معروف فوفيت لربى ووفالى ربى فوالله لايعذبنى الله . فأتاها فى المنام ملك فقال لها كلا انك تتبرجين ، وزينتك تبدين وخيرك تكندين (١) وجارك تؤذين ، وزوجك تعصين . ثم وضع اصابعه الخمس على وجهها وقال خمس بخمس ولو زدت زدناك فأصبحت واثر الاصابع فى وجهها .

(وقال) عبدالرحمن بن القاسم صاحب مالك سمعت مالكا يقول ان يعقوب بن عبدالله بن الاشج كان من خيار هذه الامة نام فى اليوم الذى استشهد فيه فقال لأصحابه انى قد رأيت امرا ولأخبرنه انى رأيت كأنى ادخلت الجنة فسقيت لبنا فاستقاء فقاء اللبن واستشهد بعد ذلك . قال ابو القاسم وكان فى غزوة فى البحر بموضع

---

(١) الكنود ـ كفران النعمة ـ والبخل ـ قاموس ـ

لا لبن فيه، وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر أنه معروف فقال انى رأيت كأنى ادخل الجنة فسقيت فيها لبنا فقال له بعض القوم اقسمت عليك لما تقيأت فقاء لبنا يصلد - اى يبرق - وما فى السفينة لبن ولا شاة. قال ابن قتيبة قوله يصلد اى يبرق يقال صلد اللبن يصلد ومنه حديث عمر ان الطبيب سقاه لبنا فخرج من الطعنة ابيض يصلد.

(وكان) نافع القارئ اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما قعدت تتطيب! فقال ما امس طيبا ولا اقربه ولكن رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وهو يقرأ فى فى فمن ذلك الوقت يشم من فى هذه الرائحة.

(وذكر) مسعدة فى كتابه فى الرؤيا عن ربيع بن زيد الرقاشى قال اتانى رجلان فقعدا الى فاغتابا رجلا فنهيتهما فأتانى احدهما بعد فقال انى رأيت فى المنام كأن زنجيا اتانى بطبق عليه جنب خنزير لم ار لحما قط اسمن منه فقال لى كل! فقلت آكل لحم خنزير؟ فتهددنى فأكلت فأصبحت وقد تغير فمى فلم يزل يجد الريح فى فمه شهرين.

(وكان) العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه فقال لأهله تلك الليلة انى اجد فترة فاذا كان وقت كذا فأيقظونى! فلم يفعلوا قال فأتانى آت فى منامى فقال قم ياعلاء ابن زياد اذكر الله يذكرك وأخذ بشعرات فى مقدم رأسى فقامت تلك الشعرات فى مقدم رأسى فلم تزل قائمة حتى مات. قال يحيى بن بسطام فلقد غسلناه يوم مات وانهن لقيام فى رأسه.

(وذكر) ابن ابى الدنيا عن ابى حاتم الرازى عن محمد بن على قال كنا بمكة فى المسجد الحرام قعودا فقام رجل نصف وجهه اسود ونصفه ابيض فقال ياايها الناس اعتبروا بى فانى كنت اتناول الشيخين واشتمهما فبينما انا ذات ليلة نائم اذا تانى آت فرفع يده فلطم وجهى وقال لى ياعدو الله يافاسق ألست تسب ابابكر وعمر رضى الله عنهما. فأصبحت وانا على هذه الحالة.

(وقال) محمد بن عبدالله (١) المهلبى رأيت فى المنام كأنى فى رحبة بنى فلان واذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم جالس على اكمة ومعه ابو بكر وعمر واقف قدامه فقال له عمر

---

(١) ن - محمد بن عباد

يا رسول الله ان هذا يشتمنى ويشتم ابا بكر فقال جىء به يا ابا حفص فأتى برجل فاذا هو العمانى وكان مشهورا بسبهما فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم أضجعه فاضجعه ثم قال اذبحه فذبحه، قال فما نبهنى الاصياحه فقلت ما لى لا اخبره؟ عسى ان يتوب فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديدا فقلت ماهذا البكاء؟ فقالوا العمانى ذبح البارحة على سريره قال فدنوت من عنقه فاذا من اذنه الى اذنه طريقة حمراء كالدم المحصور .

(وقال) القيروانى اخبرنى شيخ لنا من اهل الفضل قال اخبرنى ابو الحسن المطلبى امام مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيت بالمدينة عجبا! كان رجل يسب ابا بكر وعمر رضى الله عنهما فبينا نحن يوما من الايام بعد صلاة الصبح اذ أقبل رجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك؟ فقال رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بين يديه ومعه ابو بكر وعمر فقالا يا رسول الله هذا الذى يؤذينا ويسبنا! فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امرك بهذا يا ابا قيس؟ فقلت له علىّ وأشرت عليه فأقبل علىّ على بوجهه ويده وقد ضم اصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بهما الى عينى فقال ان كنت كذبت ففقأ الله عينيك وأدخل اصبعيه فى عينى فانتبهت من نومى وأنا على هذه الحال فكان يبكى يخبر الناس وأعلن بالتوبة .

(قال) القيروانى واخبرنى شيخ من اهل الفضل قال اخبرنى فقيه قال كان عندنا رجل يكثر الصوم ويسرده ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى فى المنام كأن اسودين آخذين بضبعيه وثيابه الى تنور محمى ليلقياه فيه قال فقلت لهما على ماذا؟ فقالا على خلافك لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره، قال فأصبح وجهه قد اسود من وهج النار فكان يمشى متبرقعا فى الناس .

وأعجب من هذا الرجل يرى فى المنام وهو شديد العطش والجوع والالم ان غيره قد سقاه واطعمه اوداواه بدواء فيستيقظ وقد زال عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا عجائب .

وقد ذكر مالك عن ابى الرجال عن عمرة عن عائشة ان جارية لها سحرتها وان سنديا دخل عليها وهى مريضة فقال انك سحرت! قالت ومن سحرنى؟ قال جارية فى حجرها صبى قد بال عليها؟ فدعت جاريتها فقالت حتى اغسل بولا فى ثوبى، فقالت لها أسحرتنى؟ قالت نعم؛ قالت وما دعاك الى ذلك؟ قالت اردت تعجيل العتق فأمرت اخاها ان يبيعها من الاعراب ممن يسيئ ملكها فباعها ثم ان عائشة رأت فى منامها ان اغتسلى من ثلاثة آبار يمد بعضها بعضا فاستسقى لها فاغتسلت فبرأت.

(وكان) سماك بن حرب قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل فى المنام فمسح على عينيه وقال اذهب الى الفرات فانغمس فيه ثلاثا — ففعل فأبصر.

(وكان) اسمعيل بن بلال الحضرمى قد عمى فأتى فى المنام فقيل له قل يا قريب يامجيب ياسميع الدعاء يالطيف بمن يشاء ردُ على بصرى؛ فقال الليث بن سعد أنا رأيته قد عمى ثم ابصر.

(وقال) عبيد الله بن ابى جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت أقرأ آية الكرسى فنمت فاذا رجلان قائمان بين يدى فقال احدهما لصاحبه انه يقرأ آية فيها ثلاث مائة وستون رحمة أفلا يصيب هـذا المسكين فيها رحمة واحدة؟ فاستيقظت فوجدت خفة.

(قال) ابن ابى الدنيا اعتلت امرأة من اهل الخير والصلاح بوجع المعدة فرأت فى المنام قائلا يقول لها لا اله الا الله المغلى وشراب الورد — فشربته فأذهب الله عنها ما كانت تجد.

(قال) وقالت ايضا رأيت فى المنام كأنى اقول السناء والعسل وماء الحمص الاسود شفاء لوجع الاوراك؛ فلما استيقظت اتتنى امرأة تشكو وجعا بوركها فوصفت لها ذلك فاستنفعت به.

(وقال) جالينوس السبب الذى دعانى الى فصد العروق الضوارب انى امرت به فى منامى مرتين قال كنت اذ ذاك غلاما قال وأعرف انسانا شفاه الله من وجع كان به فى جنبه بفصد العرق الضارب لرؤيا رآها فى منامه.

(وقال) ابن الخراز كنت اعالج رجلا ممعودا فغاب عنى ثم لقيته فسألته عن حاله فقال رأيت فى المنام انسانا فى زى ناسك متوكئا على عصا وقف على وقال انت رجل ممعود؟ فقلت نعم، فقال عليك بالكباء والجلنجبين، فأصبحت فسالت عنهما فقيل لى الكباء المصطكى والجلنجبين الورد المربى بالعسل فاستعملتهما اياما فبرأت، فقلت له ذلك جالينوس.

والوقائع فى هذا الباب اكثر من ان تذكر. قال بعض الناس ان اصل الطب من المنامات. ولاريب ان كثيرا من اصوله مستند الى الرؤيا، كما ان بعضها عن التجارب وبعضها عن القياس وبعضها عن الهام؛ ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر فى (تاريخ الاطباء) وفى (كتاب البستان للقيروانى) وغير ذلك.

فصل

(الوجه الثانى بعد المائة) قوله تعالى (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء) وهذا دليل على ان المؤمنين تفتح لهم ابواب السماء، وهذا التفتيح هو تفتيحها لأرواحهم عند الموت كما تقدم فى الاحاديث المستفيضة ان السماء تفتح لروح المؤمن حتى ينتهى بها الى بين يدى الرب تعالى. واما الكافر فلا تفتح لروحه ابواب السماء ولا تفتح لجسده ابواب الجنة.

فصل

(الوجه الثالث بعد المائة) قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم يا بلال ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدى فبم ذاك؟ قال ما احدثت فى ليل او نهار الا توضأت وصليت ركعتين؛ قال بهما؛ ومعلوم ان الذى سمع خشخشته بين يديه هو روح بلال وإلا فجسده لم ينقل الى الجنة.

(الوجه الرابع بعد المائة) الاحاديث والآثار التى فى زيارة القبور والسلام على اهلها ومخاطبتهم والاخبار عن معرفتهم بزوارهم وردهم عليهم السلام - وقد تقدمت الاشارة اليها.

(الوجه الخامس بعد المائة) شكاية كثير من ارواح الموتى الى اقاربهم وغيرهم

امورا مؤذية فيجدونها كما شكوه فيزيلونها .

(الوجه السادس بعد المائة) لو كانت الروح عبارة عن عرض من اعراض البدن او جوهر مجرد ليس بجسم ولا حال فيه لكان قول القائل خرجت وذهبت وقمت وجئت وقعدت وتحركت ودخلت ورجعت ونحو ذلك كله اقوالا باطلة لأن هذه الصفات ممتنعة الثبوت فى حق الاعراض والمجردات، وكل عاقل يعلم صدق قوله وقول غيره ذلك فالقدح فى ذلك قدح فى اظهر المعلومات فهو من باب السفسطة (لايقال) حاصل هذا الدليل التمسك بالفاظ الناس واطلاقاتهم وهى تحتمل الحقيقة والمجاز فلعل مرادهم دخل جسمى وخرج لانا انما استدللنا بشهادة العقل والفطرة بمعانى هذه الالفاظ فكل احد يشهد عقله وحسه بأنه هو الذى دخل وخرج وانتقل لامجرد بدنه فشهادة الحس والعقل بمعانى هذه الالفاظ واضافتها الى الروح اصلا والى البدن تبعا من اصدق الشهادات والاعتماد على ذلك لا على مجرد الاطلاق اللفظى .

(الوجه السابع بعد المائة) ان البدن مركب ومحل لتصرف النفس فكان دخول البدن وخروجه وانتقاله جاريا مجرى دخول مركبه من فرسه ودابته فلو كانت النفس غير قابلة للدخول والخروج والانتقال والحركة والسكون لكان ذلك بمنزلة دخول مركب الانسان الى الدار وخروجه منها دون دخوله هو، وهذا معلوم البطلان بالضرورة، وكل احد يعلم ان نفسه وروحه هى التى دخلت وخرجت وانتقلت وصرفت البدن وجعلته تبعا لها فى الدخول والخروج فهو لها بالاصل وللبدن بالتبع لكنه للبدن بالمشاهدة وللروح بالعلم والعقل .

(الوجه الثامن بعد المائة) ان النفس لو كانت كما يقوله من يقول انها عرض لكان الانسان كل وقت قد يبدل مائة الف نفس او اكثر والانسان انما هو انسان بروحه ونفسه لابدنه وكان الانسان الذى هو الانسان غير الذى هو قبله بلحظة وبعده بلحظة وهذا من نوع الهوس ولو كانت الروح مجردة وتعلقها بالبدن بالتدبير فقط لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع ان ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق

بغيره كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت او مدينة عنها ويتعلق بتدبير غيرها وعلى هذا التدبير فنصير شاكين فى ان هذه النفس التى لزيد هى النفس الاولى اوغيرها ؟ وهل زيد هو ذلك الرجل ام غيره ؟ وعاقل لايجوز ذلك فلو كانت الروح عرضا اوأمرا مجردا لحصل الشك المذكور .

(الوجه التاسع بعد المائة) ان كل احد يقطع ان نفسه موصوفة بالعلم والفكر والحب والبغض والرضا والسخط وغيرها من الاحوال النفسانية ، ويعلم ان الموصوف بذلك ليس عرضا من اعراض بدنه ولا جوهرا مجردا منفصلا عن بدنه غير مجاور له ويقطع ضرورة بأن هذه الادراكات لأمر داخل فى بدنه كما يقطع بانه اذا سمع وأبصر وشم وذاق ولمس وتحرك وسكن فتلك امور قائمة به مضافة الى نفسه وان جوهر النفس هو الذى قام به ذلك كله لم يقم بمجرد ولا بعرض بل قام بمتحيز داخل العالم منتقل من مكان الى مكان يتحرك ويسكن ويخرج ويدخل وليس الا هذا البدن والجسم السارى فيه المشابك له الذى لولاه لكان بمنزلة الجماد .

(الوجه العاشر بعد المائة) ان النفس لو كانت مجردة وتعلقها بالبدن تعلق التدبير فقط كتعلق الملاح بالسفينة والجمال بجمله لأمكنها ترك تدبير هذا البدن واشتغالها بتدبير بدن آخر كما يمكن الملاح والجمال ذلك ، وفى ذلك تجويز نقل النفوس من ابدان الى ابدان . ولا يقال ان النفس اتحدت ببدنها فامتنع عليها الانتقال اوأنها لها عشق طبيعى وشوق ذاتى الى تدبير هذا البدن فلهذا السبب امتنع انتقالها . لأنا نقول الاتحاد مالايتحيز بالمتحيز محال، ولأنها لو اتحدت به لبطلت ببطلانه ولأنها بعد الاتحاد إن بقيا فهما اثنان لا واحد ، وان عدما معا وحدث ثالث فليس من الاتحاد فى شيء ، وان بقى احدهما وعدم الآخر فليس باتحاد ايضا . واما عشق النفس الطبيعى للبدن فالنفس انما تعشقه لانها تتناول اللذات بواسطته ، واذا كانت الابدان متساوية فى حصول مطلوبها كانت نسبتها اليها على السواء ، فقولكم ان النفس المعينة عاشقة للبدن المعين باطل . ومثال ذلك العطشان اذا صادف آنية متساوية

كل منها يحصل غرضه امتنع عليه ان يعشق واحدا منها بعينه دون سائرها .

(الوجه الحادى عشر بعد المائة) ان نفس الانسان لو كانت جوهرا مجردا لاداخل العالم ولاخارجه ولا متصلة بالعالم ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا مجانبة لكان يعلم بالضرورة انه موجود بهذه الصفة لان علم الانسان بنفسه وصفاتها اظهر من كل معلوم وان علمه بما عداه تابع لعلمه بنفسه، ومعلوم قطعا ان ذلك باطل فان جماهير اهل الارض يعلمون ان اثبات هذا الموجود محال فى العقول شاهدا وغائبا فمن قال ذلك فى نفسه وربه فلا نفسه عرف ولا ربه عرف .

(الوجه الثانى عشر بعد المائة) ان هذا البدن المشاهد محل لجميع صفات النفس وادراكاتها الكلية والجزئية ومحل للقدرة على الحركات الارادية فوجب ان يكون الحامل لتلك الادراكات والصفات هو البدن وما سكن فيه ، أما ان يكون محلها جوهرا مجردا لاداخل العالم ولا خارجه فباطل بالضرورة .

(الوجه الثالث عشر بعد المائة) ان النفس لو كانت مجردة عن الجسمية والتحيز لامتنع ان يتوقف فعلها على مماسة محل الفعل لان ما لا يكون متحيزا يمتنع ان يصير مماسا للمتحيز ، ولو كان الامر كذلك لكان فعلها على سبيل الاختراع من غير حاجة الى حصول مماسة وملاقاة بين الفاعل وبين محل الفعل، فكان الواحد منا يقدر على تحريك الاجسام من غير أن يماسها او يماس شيئا يماسها فان النفس عندكم كما كانت قادرة على تحريك البدن من غير أن يكون بينها وبينه مماسة كذلك لا تمنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة له ولا لما يماسه وذلك باطل بالضرورة ، فعلم ان النفس لا تقوى على التحريك الا بشرط ان تماس محل الحركة او تماس ما يماسه وكل ما كان مماسا للجسم او لما يماسه فهو جسم . فان قيل يجوز أن يكون تأثير النفس فى تحريك بدنها الخاص غير مشروط بالمماسة وتأثيرها فى تحريك غيره موقوف على حصول المماسة بين بدنها وبين ذلك الجسم ـ فالجواب انه لما كان قبول البدن لتصرفات النفس لايتوقف على حصول المماسة بين النفس وبين البدن' وجب ان تكون الحال كذلك فى غيره من الاجسام

لان الاجسام متساوية فى قبول الحركة، ونسبة النفس الى جميعها سواء لانها اذا كانت مجردة عن الحجمية وعلائق الحجمية كانت نسبة ذاتها الى الكل بالسوية، ومتى كانت ذات الفاعل نسبتها الى الكل بالسوية والقوابل نسبتها الى ذلك الفاعل بالسوية كان التأثير بالنسبة الى الكل على السواء، فاذا استغنى الفاعل عن مماسة محل الفعل فى حق البعض وجب ان يستغنى فى حق الجميع، وان افتقر الى المماسة فى البعض وجب افتقاره فى الجميع، فان قيل النفس عاشقة لهذا البدن دون غيره فكان تأثيرها فيه اقوى من تأثيرها فى غيره — قيل هذا العشق الشديد يقتضى ان يكون تعلقها بالبدن اكثر وتصرفها فيه اقوى فاما ان يتغير مقتضى ذاتها بالنسبة الى هذه الاجسام فذلك محال. وهذا دليل فى غاية القوة.

(الوجه الرابع عشر بعد المائة) ان العقلاء كلهم متفقون على ان الانسان هو هذا الحى الناطق المتغذى النامى الحساس المتحرك بالارادة وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة، فلو كانت الروح جوهرا مجردا لاداخل العالم ولاخارجه ولامتصلة به ولا منفصلة عنه لكان الانسان لاداخل العالم ولاخارجه ولامتصلابه ولا منفصلا عنه، اوكان بعضه فى العالم وبعضه لاداخل العالم ولاخارجه، وكل عاقل يعلم بالضرورة بطلان ذلك وان الانسان بجملته داخل العالم بدنه وروحه، وهذا فى البطلان يضاهى قول من قال ان نفسه قديمة غير مخلوقة فجعلوا نصف الانسان مخلوقا ونصفه غير مخلوق (فان قيل) نحن نسلم ان الانسان كما ذكرتم الا انا نثبت جوهرا مجردا يدبر الانسان الموصوف بهذه الصفات — قلنا فذلك الجوهر الذى اثبتموه مغاير للانسان او هو حقيقة الانسان؟ ولابد لكم من احدالامرين، فان قلتم هو غير الانسان رجع كلامكم الى انكم اثبتم للانسان مدبرا غيره سميتموه نفسا، وكلامنا الآن انما هو فى حقيقة الانسان لافى مدبره فان مدبر الانسان وجميع العالم العلوى والسفلى هو الله الواحد القهار.

(الوجه الخامس عشر بعد المائة) ان كل عاقل اذا قيل له ما الانسان؟ فانه يشير الى هذه البنية وماقام بها لايخطر بباله امر مغاير لها مجرد ليس فى العالم ولاخارجه، والعلم

بذلك ضروري لايقبل شكا ولا تشكيكا .

(الوجه السادس عشر بعد المائة) ان عقول العالمين قاضية بأن الخطاب متوجه الى هذه البنية وماقام بها وساكنها ، وكذلك المدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب ، ولو أن رجلا قال المأمور والمنهي والممدوح والمذموم والمخاطب والعاقل جوهر مجرد ليس فى العالم ولا خارجه ولا متصل بـه ولا منفصل عنه لأضحك العقلاء على عقلـه ولأطبقوا على تكذيبه ، وكل ماشهدت بدائه العقول وصرائحها ببطلانه كان الاستدلال على ثبوته استدلالا على صحة وجود المحال . وبالله التوفيق .

فصل

فان قيل قدذكرتم الادلة الدالة على جسميتها وتحيزها فما جوابكم عن ادلة المنازعين لكم فى ذلك ؟ فانهم استدلوا بوجوه .

(احدها) اتفاق العقلاء على قولهم الروح والجسم والنفس والجسم فيجعلونها شيئا غير الجسم فلو كانت جسما لم يكن لهذا القول معنى .

(الثانى) وهو اقوى مايحتجون به انه من المعلوم ان فى الموجودات ماهو غير قابل للقسمة كالنقطة والجوهر الفرد بل ذات واجب الوجود فوجب ان يكون العلم بذلك غير قابل للقسمة ؛ فوجب ان يكون الموصوف بذلك العلم وهو محله غير قابل للقسمة وهو النفس ، فلو كانت جسما كانت قابلة للقسمة . ويقرر هذا الدليل على وجه آخر وهو أن محل العلوم الكلية لو كان جسما اوجسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال فى المنقسم(١) ، وانقسام تلك العلوم مستحيل .

(الثالث) ان الصور العقلية الكلية مجردة بلاشك وتجردها إما ان يكون بسبب المأخوذ عنه اوبسبب الاخذ ، والاول باطل لان هذه الصور انما اخذت عن الاشخاص الموصوفة بالمقادير المختلفة والاوضاع المعينة ، فثبت ان تجردها انما هو بسبب الاخذ لها والقوة العقلية المسماة بالنفس .

(الرابع) ان القوة العاقلة تقوى على افعال غير متناهية ، فانها تقوى على ادراكات

---

(١) كذا ولعله سقط – منقسم – ح .

لا تتناهى والقوة الجسمانية لاتقوى على افعال غير متناهية لان القوة الجسمانية تنقسم بانقسام محلها فالذى يقوى عليه بعضها يجب ان يكون اقل من الذى يقوى عليه الكل، فالذى يقوى عليه الكل يزيد على الذى يقوى عليه البعض اضعافا متناهية والزائد على المتناهى بمتناه متناه .

(الخامس) ان القوة العاقلة لوكانت حالة فى آلة جسمانية لوجب ان تكون القوة العاقلة دائمة الادراك لتلك الآلة اوممتنعة الادراك لها بالكلية وكلاهما باطل ، لان ادراك القوة العاقلة لتلك الآلة ان كان عين وجودها فهو محال ، وان كان صورة مساوية لوجودها وهى حالة فى القوة العقلية الحالة فى تلك الآلة لزم اجتماع صورتين متماثلتين وهو محال ، واذا بطل هذا ثبت ان القوة العاقلة لوادركت آلتها لكان ادراكها عبارة عن نفس حصول تلك الآلة عند القوة العاقلة فيجب حصول الادراك دائما ان كفى هذا القدر فى حصول الادراك وان لم يكف امتنع حصول الادراك فى وقت من الاوقات اذ لوحصل فى وقت دون وقت لكان بسبب امر زائد على مجرد حضور صورة الآلة .

(السادس) ان كل احد يدرك نفسه وادراك الشىء عبارة عن حضور ماهية المعلوم عند العالم فاذا علمنا انفسنا فهو إما ان يكون لأجل حضور ذواتنا لذواتنا اولأجل حضور صورة مساوية لذواتنا فى ذواتنا ، والقسم الثانى باطل وإلا لزم اجتماع المثلين فثبت انه لا معنى لعلمنا بذاتنا الا حضور ذاتنا عند ذاتنا وهذا انما يكون اذا كانت ذاتا قائمة بالنفس غنية عن المحل لانها لوكانت حالة فى محل كانت حاضرة عند ذلك المحل فثبت ان هذا المعنى انما يحصل اذا كانت النفس قائمة بنفسها غنية عن محل تحل فيه .

(السابع) ما احتج به ابو البركات البغدادى وابطل ماسواه فقال لا نشك ان الواحد منا يمكنه ان يتخيل بحرا من زئبق وجبلا من ياقوت وشموسا واقمارا فهذه الصور الخيالية لا تكون معدومة لان قوة المتخيل تشير الى تلك الصور وتميز بين كل صورة وغيرها وقد يقوى ذلك المتخيل الى ان يصير كالمشاهد

المحسوس، ومعلوم ان العدم المحض والنفى الصرف لا يثبت ذلك ونحن نعلم بالضرورة ان هذه الصور ليست موجودة فى الاعيان فثبت انها موجودة فى الاذهان ، فنقول محل هذه الصورة إما ان يكون جسما او حالا فى الجسم او لا جسما ولا حالا فى الجسم، والقسمان الاولان باطلان لان صورة البحر والجبل صورة عظيمة والدماغ والقلب جسم صغير وانطباع العظيم فى الصغير محال فثبت ان محل هذه الصورة الخيالية ليس بجسم ولا جسمانى .

(والثامن) لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت فى زمان الشيخوخة دائما وليس كذلك .

(التاسع) ان القوة العقلية غنية فى افعالها عن الجسم وما كان غنيا فى فعله عن الجسم وجب ان يكون غنيا فى ذاته عن الجسم . بيان الاول ان القوة العقلية تدرك نفسها ومن المحال ان يحصل بينها وبين نفسها آلة متوسطة ايضا ، وتدرك ادراكها لنفسها وليس هذا الادراك بآلة . وايضا فانها تدرك الجسم الذى هو آلتها وليس بينها وبين آلتها آلة اخرى ، وبيان الثانى من وجهين (احدهما) ان القوى الجسمانية كالناظرة والسامعة والخيال والوهم لما كانت جسمانية يقدر عليها ادراك ذواتها وادراكها لكونها مدركة لذواتها وادراكها لتلك الاجسام الحاملة لها ، فلو كانت القوة العاقلة جسمانية لتعذر عليها هذه الامور الثلاثة (الثانى) ان مصدر الفعل هو النفس فلو كانت النفس متعلقة فى قوامها ووجودها بالجسم لم تحصل تلك الافعال الا بشركة من الجسم، ولما ثبت انه ليس كذلك ثبت ان القوة العقلية غنية عن الجسم .

(العاشر) ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوى بعد الضعيف وسببه ظاهر فان القوى الجسمانية بسبب مزاولة الافعال تتعرض موادها للتحلل والذبول وهو يوجب الضعف ، واما القوة العقلية فانها لا تضعف بسبب كثرة الافعال وتقوى على القوى بعد الضعيف فوجب ان لا تكون جسمانية .

(الحادى عشر) انا اذا حكمنا بأن السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل فى الذهن

ماهية السواد والبياض والبداهة حاكمة بان اجتماع السواد والبياض والحرارة والبرودة فى الاجسام محال فلما حصل هذا الاجتماع فى القوة العقلية وجب ان لا تكون قوة جسمانية .

(الثانى عشر) انه لو كان محل الادراكات جسما وكل جسم منقسم لا محالة لم يمتنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم علم بالشىء وبالبعض الآخر منه جهل وحينئذ فيكون الانسان فى الحال الواحد عالما بالشىء وجاهلا به .

(الثالث عشر) ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش مخصوصة فان وجود تلك النقوش فيها يمنع من حصول نقوش غيرها ، واما النقوش العقلية فبالضد من ذلك لأن الانفس اذا كانت خالية من جميع العلوم والادراكات فانه يصعب عليها التعلم فاذا تعلمت شيئا صار حصول تلك العلوم معينا على سهولة غيرها ، فالنقوش الجسمانية متغايرة متنافية والنقوش العقلية متعاونة متعاضدة .

(الرابع عشر) ان النفس لو كانت جسما لكان بين ارادة العبد تحريك رجله وبين تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله ، فان النفس هى المحركة للجسد والممهد لحركته فلو كان المحرك للرجل جسما فاما ان يكون حاصلا فى هذه الاعضاء او جائيا اليها ، فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولابد ، وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العضلة التى تكون بها الحركة لم يبق منها فى العضو المتحرك شىء فلو كان ذلك المتحرك حاصلا فيه لبقى منه شىء فى ذلك العضو .

(الخامس عشر) لو كانت النفس جسما لكانت منقسمة ولصح عليها ان يعلم بعضها كما يعلم كلها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الآخر وذلك محال .

(السادس عشر) لو كانت النفس جسما لوجب ان يثقل البدن بدخولها فيه لأن شان الجسم الفارغ اذا ملأه غيره ان يثقل به كالزق الفارغ والامر بالعكس فأخف ما يكون البدن اذا كانت فيه النفس وأثقل ما يكون اذا فارقته .

(السابع عشر) لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التى لا يخلو شىء منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والنعومة والخشونة والسواد

والبياض وغير ذلك من صفات الاجسام وكيفياتها . ومعلوم ان الكيفيات النفسانية انما هى الفضائل والرذائل لا تلك الكيفيات الجسمانية فالنفس ليست جسما .

(الثامن عشر) انها لو كانت جسما لوجب ان يقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها او حاستين او اكثر ، فانا نرى الاجسام كذلك منها ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك باكثرها ومنها ما يدرك بحاستين منها أو واحدة . والنفس بريئة من ذلك كله . وهذه الحجة التى احتج بها جهم على طائفة من الملاحدة حين انكروا الخالق سبحانه وقالوا لو كان موجودا لوجب ان يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس وأنى تتم المعارضة اذا كانت جسما والا لو كانت جسما لجاز ادراكها ببعض الحواس .

(التاسع عشر) لو كانت جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل وهذه المقادير والابعاد لا تقوم الا بمادة ومحل . فان كانت مادتها ومحلها نفسا لزم اجتماع نفسين ، وان كان غير نفس كانت النفس مركبة من بدن وصورة وهى فى جسد مركب من بدن وصورة فيكون الانسان انسانين .

(العشرون) ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزى والجزء الصغير منه ليس كالكبير ولو قبلت التجزى فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة لا نفس واحدة ، وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا كما ان جزء الماء ان لم يكن ماء لم يكن مجموعه ماء .

(الحادى والعشرون) ان الجسم محتاج فى قوامه وحفظه وبقائه الى النفس ولهذا يضمحل ويتلاشى لما تفارقه ، فلو كانت جسما لكانت محتاجة الى نفس اخرى وهلم جرا ويتسلسل الامر . وهذا المحال انما لزم من كون النفس جسما .

(الثانى والعشرون) لو كانت جسما لكان اتصالها بالجسم ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام ، وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الانسان الواحد جسمين متلاصقين احدهما يرى والآخر لا يرى .

فهذا كل ما موّهت به هذه الطائفة المبطلة من منخنقة وموقوذة ومتردية •

ونحن نجيبهم عن ذلك كله فصلا بفصل بحول الله وقوته ومعونته •

فصل

فأما قولهم ان العقلاء متفقون على قولهم الروح والجسم والنفس والجسم وهذا يدل على تغايرهما - فالجواب ان يقال ان مسمى الجسم فى اصطلاح المتفلسفة والمتكلمين اعم من مسماه فى لغة العرب وعرف اهل العرف فان الفلاسفة يطلقون الجسم على قابل الابعاد الثلاثة خفيفا كان او ثقيلا مرئيا كان او غير مرئى فيسمون الهواء جسما والنار جسما والماء جسما وكذلك الدخان والبخار والكوكب ، ولا يعرف فى لغة العرب تسمية شىء من ذلك جسما البتة، فهذه لغتهم واشعارهم، وهذه المنقول عنهم فى كتب اللغة ، قال الجوهرى قال ابو زيد الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان ، قال الاصمعى الجسم والجسمان الجسد والجثمان الشخص وقد جسم الشىء اى عظم فهو عظيم جسيم وجسام بالضم •

ونحن اذا سمينا النفس جسما فانما هو باصطلاحهم وعرف خطابهم والا فليست جسما باعتبار وضع اللغة ، ومقصودنا بكونها جسما اثبات الصفات والافعال والاحكام التى دل عليها الشرع والعقل والحس من الحركة والانتقال والصعود والنزول ومباشرة النعيم والعذاب واللذة والالم وكونها تحبس وترسل وتقبض وتدخل وتخرج، فلذلك اطلقنا عليها اسم الجسم تحقيقا لهذه المعانى وان لم يطلق عليها اهل اللغة اسم الجسم فالكلام مع هذه الفرقة المبطلة فى المعنى لا فى اللفظ نقول اهل التخاطب الروح والجسم هو بهذا المعنى •

فصل

واما الشبهة الثانية. فهى اقوى شبههم التى بها يصولون وعليها يعولون وهى مبنية على اربع مقدمات (احداها) ان فى الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه (الثانية) انه يمكن العلم به (الثالثة) ان العلم به غير منقسم (الرابعة) انه يجب ان يكون محل العلم به كذلك اذ لو كان جسما لكان منقسما •

وقد نازعهم فى ذلك جمهور العقلاء وقالوا لم تقيموا دليلا على ان فى الوجود مالا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية وانما بأيديكم دعاو لاحقيقة لها وانما اثبتموه من واجب الوجود وهو بناء على اصلكم الباطل عند جميع العقلاء من اهل الملل وغيرهم من انكار ماهية الرب تعالى وصفاته وانه وجود مجرد لاصفة له ولا ماهية وهذا قول باينتم به العقول وجميع الكتب المنزلة من السماء واجماع الرسل ونفيتم به علم الله وقدرته ومشيئته وسمعه وبصره وعلوه على خلقه، ونفيتم به خلق السموات والارض فى ستة ايام، وسميتموه توحيدا وهو اصل كل تعطيل .

قالوا والنقطة التى استدللتم بها هى من اظهر مايبطل دليلكم فانها غير منقسمة وهى حالة فى الجسم المنقسم فقد حل فى المنقسم ما ليس بمنقسم. ثم ان مثبتى الجوهر الفرد وهم جمهور المتكلمين ينازعونكم فى هذا الاصل ويقولون الجوهر حال فى الجسم بل هو مركب منه فقد حل فى المنقسم ماليس بمنقسم ولا يمكن تتميم دليلكم الا بنفى الجوهر الفرد، فان قلتم النقطة عبارة عن نهاية الخط وفنائه وعدمه فهى امر عدمى - بطل استدلالكم بها، وان كانت امرا وجوديا فقد حلت فى المنقسم فبطل الدليل على التقديرين .

قالوا ايضا فلم لايكون العلم حالا فى محله لاعلى وجه النوع والسريان فان حلول كل شىء فى محله بحسبه فحلول الحيوان فى الدار نوع، وحلول العرض فى الجسم نوع، وحلول الخط فى الكتاب نوع، وحلول الدهن فى السمسم نوع، وحلول الجسم فى العرض نوع، وحلول الروح فى البدن نوع، وحلول العلوم والمعارف فى النفس نوع .

قالوا وايضا فالوحدة حاصلة فان كانت جوهرا فقد ثبت الجوهر الفرد وبطل دليلكم فانه لايتم الا بنفيه، وان كان عرضا وجب ان يكون لها محل، فمحلها ان كان منقسما فقد جاز قيام غير المنقسم بالمنقسم فهو الجوهر وبطل الدليل. فان قلتم الوحدة امر عدمى لا وجود له فى الخارج - فكذلك ما اثبتم بوجوده مما لاينقسم كلها امور عدمية لا وجود لها فى الخارج فان واجب الوجود الذى اثبتموه

امر عدمى بل مستحيل الوجود .

قالوا وايضا فالاضافات عارضة لاقسام مثل الفوقية والتحتية والمالكية والمملوكية فلوا نقسم الحال بانقسام محله لزم انقسام هذه الاضافات فكان يكون لحقيقة الفوقية والتحتية ربع وثمن وهذا لايقبله العقل .

قالوا وان القوة الوهمية والفكرية جسمانية عندزعيمكم ابن سيناء فيلزم ان يحصل لها اجزاء وابعاض وذلك محال لانها لوانقسمت لكان كل واحد من ابعاضها ان كان مثلها كان الجزء مساويا للكل وان لم يكن مثلها لم تكن تلك الاجزاء كذلك.

وايضا فان الوهم لا معنى له الا كون هذا صديقا وهذا عدوا وذلك لايقبل القسمة . قالوا وان الوجود امر زائد على الماهيات عندكم فلولزم انقسام الحال لانقسام محله لزم انقسام ذلك الوجود بانقسام محله. وهذا الوجه لايلزم من جعل وجود الشيء غير ماهيته .

قالوا وايضا فطبائع الاعداد ماهيات مختلفة فالمفهوم من كون العشرة عشرة مفهوم واحد وماهية واحدة ، فتلك الماهية اما ان تكون عارضة لكل واحد من تلك الآحاد وهو محال، واما ان تنقسم بانقسام تلك الآحاد وهو محال لان المفهوم من كون العشرة عشرة لايقبل القسمة. نعم العشرة تقبل القسمة لاعشريتها.

قالوا فقد قوم مالا ينقسم بالمنقسم .

قالوا وايضا فالكيفيات المختصات بالكميات كالاستدارة والنقوش ونحوها عندالفلاسفة اعراض موجودة فى شبه الاستدارة، ان كانت عرضا فاما ان يكون بتمامه قائما، واما ان يكون بكل واحد من الاجزاء وهو محال، واما ان ينقسم ذلك العرض بانقسام الاجزاء ويقوم بكل جزء من اجزاء الخط جزء من اجزاء ذلك العرض وهو محال، لأن جزأه ان كان استدارة لزم ان يكون جزء الدائرة دائرة ، وان لم يكن استدارة فعند اجتماع الاجزاء ان لم يحدث امرزائد وجب ان لاتحصل الاستدارة وان حدث امرزائد فان كان منقسما عاد التقسيم وان لم ينقسم كان الحال غير منقسم ومحله منقسما (قلت) وهذا لا يلزمهم فان لهم ان يقولوا

ينقسم بانقسام محله تبعا له كسائر الاعراض القائمة بمحالها من البياض والسواد واما ما لا ينقسم كالطول فشرط حصوله اجتماع الاجزاء والمعلق على الشرط منتف بانتفائه .

قالوا وان هذه الاجسام ممكنة بذواتها وذلك صفة عرضية لها خارجة عن ماهيتها فان لم تنقسم بانقسام محلها بطل الدليل، وان انقسمت عاد المحذور المذكور من مساواة الجزء للكل والتسلسل (قلت) وهذا ايضا لا يلزمهم لأن الامكان ليس امرا يدل على قبول الممكن للوجود والعدم وذلك القبول من لوازم ذاته ليس صفة عارضة له ولكن الذهن يجرد هذا القبول عن القابل فيكون عروضه للماهية بتجريد الذهن، واما قضية مشاركة الجزء للكل فلا امتناع فى ذلك كسائر الماهيات البسيطة فان جزأها مساو لكلها فى الحد والحقيقة كالماء والتراب والهواء وانما الممتنع ان يساوى الجزء للكل فى الكم لا فى نفس الحقيقة .

والمعول فى ابطال هذه الشبهة على ان العلم ليس "بصورة حالة فى النفس وانما هو نسبة واضافة بين العلم والمعلوم كما نقول فى الابصار انه ليس بانطباع صورة مساوية للمبصر فى القوة الباصرة وانما هو نسبة واضافة بين القوة الباصرة والمبصر وعامة شبههم التى اوردوها فى هذا الفصل مبنية على انطباع صورة المعلوم فى القوة العاقلة ثم بنوا على ذلك ان انقسام ما لا ينقسم فى المنقسم محال .

وقولهم محل العلوم الكلية لو كان جسما او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لأن الحال فى المنقسم منقسم لم يذكروا على صحة هذه المقدمة دليلا ولا شبهة وانما بأيديهم مجرد الدعوى وليست بديهية حتى تستغنى عن الدليل وهى مبنية على ان العلم بالشىء عبارة عن حصول صورة مساوية لماهية المعلوم فى نفس العالم وهذا من ابطل الباطل للوجوه التى نذكرها هناك .

وايضا فلو سلمنا لكم ذلك كان من اظهر الادلة على بطلان قولكم فان هذه الصورة اذا كانت حالة فى جوهر النفس الناطقة فهى صورة جزئية حالة فى نفس جزئية تقارنها سائر الاعراض الحالة فى تلك النفس الجزئية فاذا اعتبرنا تلك الصورة

مع جملة هذه اللواحق لم تكن صورة مجردة بل مقرونة بلواحق وعوارض وذلك يمنع كليتها (فان قلتم) المراد بكونها كلية انا اذا حذفنا عنها تلك اللواحق واعتبرناها من حيث هى هى كانت كلية قلنا لكم فاذا جاز هذا فلم لا يجوز أن يقال هذه الصورة حالة فى مادة جسمانية مخصوصة بمقدار معين وبكل معين الا انا اذا حذفنا عنها ذلك واعتبرناها من حيث هى هى كانت بمنزلة تلك الصورة التى فعلنابها ذلك فالمعين فى مقابلة المعين والمطلق المأخوذ من حيث هو هو فى مقابلة محله المطلق؟ وهذا هو المعقول الذى شهدت به العقول الصحيحة والميزان الصحيح، فظهر أن هذه الشبهة من افسد الشبه وابطلها، وانما اتى القوم من الكليات فانها هى التى خربت دورهم وافسدت نظرهم ومناظرهم فانهم جردوا امورا كلية لا وجود لها فى الخارج ثم حكموا عليها باحكام الموجودات وجعلوها ميزانا وأصلا للموجودات. فاذا جردوا صور المعلومات وجعلوها كلية جردنا نحن محلها وجعلناه كليا. وان اخذوا جزئية معينة فمحلها كذلك، فالكلى فى مقابلة الكلى والجزئى فى مقابلة الجزئى. على انا نقول ليس فى الذهن كلى وانما فى الذهن صورة معينة مشخصة منطبعة على سائر افرادها، فان سميت كلية بهذا الاعتبار فلا مشاحة فى الالفاظ وهى كلية وجزئية باعتبارين.

فصل

قولكم فى الوجه الثالث ان الصور العقلية الكلية مجردة وتجردها انما هو بسبب الآخذ لها وهو القوة العقلية – جوابه ان يقال ما الذى تريدون بهذه الصورة العقلية الكلية؟ أتريدون به ان المعلوم حصل فى ذات العالم او ان العلم به حصل فى ذات العالم؟ فالاول ظاهر الاحالة والثانى حق الا انه لا يفيدكم شيئا لان الامر الكلى المشترك بين الاشخاص الانسانية هو الانسانية لا العلم بها والانسانية لا وجود لها فى الخارج كلية والوجود فى الخارج للمعينات فقط والعلم تابع للمعلوم فكما ان المعلوم معين فالعلم به معين لكنه صورة منطبقة على افراد كثيرة، فليس فى الذهن ولا فى الخارج صورة غير منقسمة البتة، وكم قد غلط فى هذا الموضع طوائف من

العقلاء لايحصيهم الا الله تعالى، فالصورة الكلية التى يثبتونها ويزعمون انها حالة فى النفس فهى صورة شخصية موصوفة بعوارض شخصية، فهب ان هذه الصورة العقلية حالة فى جوهر ليس بجسم ولاجسمانى فانها غير مجردة عن العوارض (فان قلتم) مرادنا بكونها مجردة النظر اليها من حيث هى هى مع قطع النظر عن تلك العوارض - قيل لكم فلم لايجوز أن تكون الصورة الحالة فى المحل الجسمانى منقسمة وانما تكون مجردة اذا نظرنا اليها من حيث هى هى بقطع النظر عن عوارضها.

فصل

قولكم فى الرابع ان العقلية تقوى على افعال غير متناهية ولا شىء من القوى الجسمانية كذلك - فجوابه انا لا نسلم انها تقوى على افعال غير متناهية. وقولكم انها تقوى على ادراكات لا تتناهى والادراكات افعال - مقدمتان كاذبتان فان ادراكاتها ولو بلغت ما بلغت فهى متناهية فلو كان لها بكل نفس الف الف ادراك لتناهت ادراكاتها فهى قطعا تنتهى فى الادراكات والمعارف الى حد لايمكنها ان تزيد عليه شيئا كما قال الله تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) الى ان ينتهى العلم الى من هو بكل شى عليم، فهو الله الذى الا اله الا هو وحده، وذلك من خصائصه التى لا يشركه فيها سواه (فان قلتم) لو انتهى ادراكها الى حد لا يمكنها المزيد عليه لزم انقلاب الشىء من الامكان الذاتى، قلنا فهذا بعينه لو صح دل على ان القوة الجسمانية تقوى على افعال غير متناهية، وذلك يوجب سقوط الشبهة وبطلانها. وايضا فان قوة التخيل والتفكر والتذكر تقوى على استحضار المخيلات والمتذكرات الى غير نهاية مع انها عندكم قوة جسمانية (فان قلتم) لانسلم انها تقوى على ما لايتناهى قيل لكم هكذا يقول خصومكم فى القوة العاقلة سواء.

واما كذب المقدمة الثانية فان الادراك ليس بفعل فلا يلزم من تناهى فعلها تناهى ادراكها وقد صرحتم بان الجوهر العقلى قابل لصورة المعلوم لانه فاعل لها، والشىء الواحد لايكون فاعلا وقابلا عندكم، وقد صرحتم بان الاجسام يمتنع عليها افعال لا نهاية لها ولا يمتنع عليها مجهولات وانفعالات لا تتناهى، وقد اورد ابن سيناء

على هذه الشبهة سؤالا فقال أليس النفس الفلكية المباشرة لتحريك الفلك قوة جسمانية مع ان الحركات الفلكية غير متناهية؟ واجاب عنه بانها وان كانت قوة جسمانية الا انها تستمد الكمال من العقل المفارق فلهذا السبب قدرت على افعال غير متناهية . فنقول فاذا كان الامر عندك كذلك فلم لايجوز أن يقال النفس الناطقة تستمد الكمال والقوة من فاطرها ومنشئها الذى له القوة جميعا فلاجرم تقوى مع كونها جسمانية على مالا يتناهى فاذا قلت بذلك وافقت الرسل والعقل ودخلت مع زمرة المسلمين وفارقت العصبة المبطلين .

فصل

قولكم فى الخامس لو كانت القوة العاقلة حالة فى آلة جسمانية لوجب ان تكون دائمة الادراك لتلك الآلة اوممتنعة الادراك لها - فهو مبنى على اصلكم الفاسد أن الادراك عبارة عن حصول صورة مساوية للمدرك فى القوة المدركة ، ثم لو سلمنا لكم ذلك الاصل لم يفدكم شيئا فان حصول تلك الصورة يكون شرطا لحصول الادراك ، فامان يقال ان الادراك عين حصول تلك الصورة فهذا لا يقوله عاقل ، فلم لا يجوز أن يقال القوة العقلية حالة فى جسم مخصوص ، ثم ان القوة الناطقة قد تحصل لها حالة اضافية تسمى بالشعور والادراك فحينئذ تصير القوة العاقلة مدركة لتلك الآلة ، وقد لا توجد تلك الحالة الاضافية فتصير غافلة عنها ، واذا كان هذا ممكنا سقطت تلك الشبهة رأسا . ثم نقول أتدعون انا اذا عقلنا شيئا فان الصورة الحاضرة فى العقل مساوية لذلك المعقول من جميع الوجوه والاعتبارات أولا يجب حصول هذه المساواة من جميع الوجوه؟ فالاول لا يقوله عاقل وهو اظهر من ان يحتج لفساده ، واذا علم انه لاتجب المساواة من جميع الوجوه لم يلزم من حدوث صورة اخرى فى القلب او الدماغ اجتماع المثلين .

وايضا فالقوة العاقلة حالة فى جوهر القلب او الدماغ ، والصورة الحادثة حالة فى القوة العاقلة ، فاحدى الصورتين محل للقوة العاقلة (١) وايضا فنحن اذا رأينا المسافة الطويلة والبعد الممتد فهل يتوقف هذا الابصار على ارتسام صورة المرئى فى عين

---

(١) كذا

الرائى اولا يتوقف ؟ فان توقف لزم اجتماع المثلين لان القوة الباصرة عندكم جسمانية فهى فى محل له حجم ومقدار فاذا حصل فيه حجم المرئى ومقداره لزم اجتماع المثلين، واذا اجاز هناك فلم لا يجوز مثله فى مسئلتنا ؟ وان كان ادراك الشىء لا يتوقف على حصول صورة المرئى فى الرائى بطل قولكم ان ادراك القلب والدماغ يتوقف على حصول صورة القلب والدماغ فى القوة العاقلة .

وايضا فقولكم لو كانت القوة العقلية حالة فى جسم لوجب ان تكون دائمة الادراك لذلك الجسم لكن ادراكنا لقلبنا ودماغنا غير دائم فهذا انما يلزم من يقول انها حالة فى القلب او الدماغ ، وأما من يقول انها حالة فى جسم مخصوص وهو النفس وهى مشابكة للبدن فهذا الالزام غير وارد عليه فانه يقول النفس جسم مخصوص والانسان ابدا عالم بانه جسم مخصوص ولا يزول ذلك عن عقله الا اذا عرضت له الغفلة فسقطت الشبهة التى عولتم عليها على كل تقدير .

فصل

قولكم فى السادس ان كل احد يدرك نفسه والادراك عبارة عن حصول ماهية المعلوم عند العالم وهذا انما يصح اذا كانت النفس غنية عن المحل الى آخره - جوابه ان ذلك مبنى على الاصل المتقدم وهو أن العلم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم فى نفس العالم ، وهذا باطل من وجوه كثيرة مذكورة فى مسئلة العلم ، حتى لو سلم ذلك فالصورة المذكورة شرط فى حصول العلم لا انها نفس العلم .

وايضا فهذه الشبهة مع ركاكة الفاظها وفساد مقدماتها منقوضة فانا اذا اخذنا حجرا او خشبة قلنا هذا جوهر قائم بنفسه ، فذاته حاضرة عند ذاته فيجب فى هذه الجمادات ان تكون عالمة بذواتها .

وايضا فجميع الحيوانات مدركة لذواتها فلو كان كون الشىء مدركا لذاته يقتضى كون ذاته جوهرا مجردا لزم كون نفوس الحيوانات باسرها جواهر مجردة وانتم لا تقولون بذلك .

فصل

قولكم فى السابع الواحد مما يتخيل بحرا من زئبق وجبلا من ياقوت الى آخره وهو شبهة ابى البركات البغدادى - فشبهة داحضة جدا فانها مبنية على ان تلك المتخيلات امور موجودة وانها منطبعة فى النفس الناطقة انطباع النقس فى محاله ومعلوم قطعا ان هذه المتخيلات لا حقيقة لها فى ذاتها وانما الذهن يفرضها تقديرا وليست منطبعة فى النفس فان العلوم الخارجية لا تنطبع صورها فى النفس فكيف بالخيالات المعدومة ؟ فهذه مند حضة ولا يمنع من وقوع التمييز بين الاعدام المضافة فان العقل يميز بين عدم السمع وعدم البصر وعدم الشم وغير ذلك ولا يلزم من هذا التمييز كون هذه الاعدام موجودة، بل يميز بين انواع المستحيلات التى لا يمكن رجودها البتة. ثم نقول اذا عقل حلول الاشكال والمقادير فيما كان مجردا عن الحجمية والمقدار من كل الوجوه أفلا يعقل حلول العلم بالشكل العظيم والمقدار العظيم فى الجسم الصغير ؟ وايضا فاذا كان عدم الانطباق من جميع الوجوه لا يمنع من حلول الصورة والشكل فى الجوهر المجرد فعدم انطباق العظيم على الصغير اولى ان لا يمنع من حلول الصورة العظيمة فى المحل الصغير.

وايضا فان سلفكم من الاوائل اقاموا الدليل على ان انطباع الصورة الحالة فى الجوهر المجرد محال وذكروا له وجوها.

فصل

قولكم فى الثامن لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت فى زمن الشيخوخة وليس كذلك - جوابه من وجوه (الوجه الاول) لم لا يجوز أن يقال القدر المحتاج اليه من صحة البدن فى كمال القوة العقلية مقدار معين، واما كمال حال البدن فى الصحة فانه غير معتبر فى كمال حال القوة العقلية، واذا احتمل ذلك لم يبعد أن يقال ذلك القدر المحتاج اليه باق الى آخر الشيخوخة فيبقى العقل الى آخرها.

(الوجه الثانى) ان الشيخ لعله انما يمكنه ان يستمر فى الادراكات العقلية على الصحة

أن عقله يبقى ببعض الاعضاء التى يتأخر الفساد والاستحالة اليها فاذا انتهى اليها الفساد والاستحالة فسد عقله وادراكه .

(الوجه الثالث) انه لايمتنع ان يكون بعض الامزجة اوفق لبعض القوى، فلعل مزاج الشيخ اوفق للقوة العقلية فلهذا السبب تقوى فيه القوة العاقلة .

(الوجه الرابع) ان المزاج اذا كان فى غاية القوة والشدة كانت سائر القوى قوية فتكون القوة الشهوانية والغضبية قوية جدا وقوة هذه القوى تمنع العقل من الاستكمال، فاذا حصلت الشيخوخة وحصل الضعف حصل بسبب الضعف ضعف فى هذه القوى المانعة للعقل من الاستكمال وحصل فى العقل ايضا ضعف ولكن بعد ماحصل فى العقل من الضعف حصل ذلك فى اضداده فينجبر النقصان من احد الجانبين بالنقصان من الجانب الآخر فيقع الاعتدال .

(الوجه الخامس) ان الشيخ حفظ العلوم والتجارب الكثيرة ومارس الامور ودربها وكثرت تجاربه، وهذه الاحوال تعينه على وجوه الفكر وقوة النظر فقام(١) النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى .

(الوجه السادس) ان كثرة الافعال بسبب حصول الملكات الراسخة فصارت الزيادة الحاصلة بهذا الطريق جابرا للنقصان الحاصل بسبب اختلال البدن .

(الوجه السابع) انه قد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يهرم ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل. والواقع شاهد لهذا الحديث مع ان الحرص والامل من القوى الجسمانية والصفات الخيالية ثم ان ضعف البدن لم يوجب ضعف هاتين الصفتين فعلم انه لايلزم من اختلال البدن وضعفه ضعف الصفات البدنية .

(الوجه الثامن) انا نرى كثيرا من الشيوخ يصيرون الى الخرف وضعف العقل بل هذا هو الاغلب ويدل عليه قوله تعالى (ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا) فالشيخ فى ارذل عمره يصير كالطفل اواسوأ حالا منه واما من لم يحصل له ذلك فانه لايرد الى ارذل العمر .

---

(١) كذا ولعله فقام مقام – ح .

(الوجه التاسع) انه لاتلازم بين قوة البدن وقوة النفس ولابين ضعفه وضعفها فقد يكون الرجل قوى البدن ضعيف النفس جبانا خوارا وقديكون ضعيف البدن قوى النفس فيكون شجاعا مقداما على ضعف بدنه .

(الوجه العاشر) انه لو سلم لكم ما ذكرتم لم يدل على كون النفس جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هى فى البدن ولا خارجة عنه لانها اذا كانت جسما صافيا مشرقا سماويا مخالفا للاجسام الارضية لم تقبل الانحلال والذبول والتبدل كما تقبله الاجسام المتحللة الارضية فلايلزم من حصول الانحلال والذبول فى هذه البدن حصولها فى جوهر النفس .

فصل

قولكم فى التاسع ان القوة العقلية غنية فى افعالها عن الجسم وما كان غنيا عن الجسم فى افعاله كان غنيا عنه فى ذاته الى آخره — جوابه ان يقال لا يلزم من ثبوت حكم فى قوة جسمانية ثبوت مثل ذلك الحكم فى جميع القوى الجسمانية وليس معكم غير الدعوى المجردة والقياس الفاسد .

وايضا فالصور والاعراض محتاجة الى محلها وليس احتياجها الى تلك المحال الا لمجرد ذواتها ولا يلزم من استقلالها بهذا الحكم استغناؤها فى ذواتها عن تلك المحال فلايلزم من كون الشيء مستقلا باقتضاء حكم من الاحكام ان يكون مستغنيا فى ذاته عن المحل — والله اعلم .

فصل

قولكم فى العاشر إن القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوى بعد الضعيف الى آخره جوابه ان القوة الخيالية جسمانية ثم انها تقوى على تخيل الاشياء العظيمة مع تخيلها الاشياء الحقيرة فانها يمكنها ان تتخيل الشعلة الصغيرة حال ما تخيل الشمس والقمر .

وايضا فان الابصار القوية القاهرة تمنع ابصار الاشياء الضعيفة ؟ فكذلك نقول

العقول العظيمة العالية تمنع تعقل المعقولات الضعيفة فان المستغرق فى معرفة جلال رب الارض والسموات واسمائه وصفاته يمتنع عليه فى تلك الحال الفكر فى ثبوت الجوهر الفرد وحقيقته .

فصل

قولكم فى الحادى عشر انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل فى الذهن ماهية السواد والبياض معا والبداهة حاكمة بان اجتماعهما فى الجسم محال ـ جوابه ان هذا مبنى على ان من ادرك شيئا فقد حصل فى ذات المدرك صورة مساوية للمدرك ، وهذا باطل واستدلالكم على صحته بانطباع الصورة فى المرآة باطل فان المرآة لم ينطبع فيها شيء البتة كما يقوله جمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم والقول بالانطباع باطل من وجوه كثيرة . ثم نقول اذا كنتم قد قلتم ان المنطبع فى النفس عند ادراك السواد والبياض رسومهما ومثالها لا حقيقتهما فلم لايجوز حصول رسوم هذه الاشياء فى المادة الجسمانية ؟

فصل

قولكم فى الثانى عشر أنه لو كان محل الادراكات جسما وكل جسم منقسم لم يمنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم علم بالشيء ، وبالجزء الآخر منه جهل به فيكون الانسان عالما بالشيء جاهلا به فى وقت واحد ـ جوابه ان هذه الشبهة منتقضة على اصولكم فان الشهوة والغضب والتخيل من الاحوال الجسمانية عندكم ومحلها منقسم فلزمكم ان تجوزوا قيام الشهوة والغضب باحد الجزئين وضدهما بالجزء الآخر فيكون مشتهيا للشيء نافرا عنه غضبان عليه غير غضبان فى وقت واحد .

فصل

(قولكم فى الثالث عشر) ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش مخصوصة امتنع فيها حصول مثلها والنفوس البشرية بضد ذلك ـ الى آخره .

(جوابه) ان غاية هذا ان يكون قياسا ممتازا بغير جامع وذلك لايفيد الظن فضلا عن

اليقين فان النقوش العقلية هى العلوم والادراكات والنقوش الجسمانية هى الاشكال والصور، ولاريب ان العلوم مخالفة بحقائقها للصور والاشكال ولا يلزم من ثبوت حكم فى نوع من انواع الماهيات ثبوته فيما يخالف ذلك النوع .

فصل

(قولكم فى الرابع عشر) لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته للحركة زمان ـ الى آخره .

(جوابه) ان النفس مع الجسد لا تخلو من ثلاثة احوال، إما ان تكون لابسة لجميعه من خارج كالثوب، اوتكون فى موضع واحد كالقلب والدماغ، اوتكون سارية فى جميع اجزاء الجسد . وعلى كل تقدير من هذه التقادير فتحريكها لماتريد تحريكه يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقيه وادراك السمع والشم والذوق، واذا قطع العضو لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو سواء كانت لابسة له من داخل اومن خارج بل تفارق العضو الذى بطل حسه فى الوقت وتتقلص عنه بلازمان ويكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء اذا ملئ ماء . واما ان كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من البدن لم يلزم ان تبين مع العضو المقطوع . واما ان كانت لابسة للبدن من خارج لم يلزم ان يكون بين ارادتها لتحريكه ونفس التحريك زمان بل يكون فعلها حينئذ فى تحريك الاعضاء كفعل المغناطيس فى الحديد وان لم يلاصقه .

ثم نقول هذا الهذيان الذى شغلتم به الزمان وارد عليكم بعينه فانها عندكم غير متصلة بالبدن ولا منفصلة عنه ولا داخلة فيه ولا خارجة عنه فيلزمكم مثل ذلك .

فصل

(قولكم فى الخامس عشر) لو كانت جسما لكانت منقسمة ولصح عليها ان تعلم بعضها وتجهل بعضها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الآخر .

(جوابه) ان هذه الشبهة مركبة من مقدمتين تلازمية واستثنائية والمنع واقع

فى كلا المقدمتين او احداهما فلانسلم انها لو كانت جسما لصح ان تعلم بعضها وتجهل بعضها فان النفس بسيطة غير مركبة من هذه العناصر ولا من الاجزاء المختلفة فمتى شعرت بذاتها شعرت بجملها . فهذا منع المقدمة التلازمية .

واما الاستثنائية فلانسلم انها لا يصح ان تعلم بعضها حال غفلتها عن البعض الآخر ولم تذكروا على بطلان ذلك شبهة فضلا عن دليل، ومن المعلوم ان الانسان قد يشعر بنفسه من بعض الوجوه دون كلها ويتفاوت الناس فى ذلك فمنهم من يكون شعوره بنفسه اتم من غيره بدرجات كثيرة وقد قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم) فهؤلاء نسوا انفوسهم لا من جميع الوجوه بل من الوجه الذى به مصالحها وكمالها وسعادتها وان لم ينسوها من الوجه الذى منه شهوتها وحظها وارادتها فأنساهم مصالح نفوسهم ان يفعلوها ويطلبوها، وعيوبها ونقائصها ان يزيلوها ويجتنبوها، وكمالها الذى خلقت له ان يعرفوه ويطلبوه، فهم جاهلون بحقائق انفسهم من هذه الوجوه وان كانوا عالمين بها من وجوه أخر .

فصل

قولكم فى السادس عشر لو كانت النفس جسما لوجب ثقل البدن بدخولها فيه لان من شأن الجسم اذا زدت عليه جسما آخر أن يثقل به .

فهذه شبهة فى غاية الثقالة والمحتج بها اثقل واثقل وليس كل جسم زيد عليه جسم آخر ثقله فهذه الخشبة تكون ثقيلة فاذا زيد عليها جسم النار خفت جدا، وهذا الظرف يكون ثقيلا فاذا دخله جسم الهواء خف . وهذا انما يكون فى الاجسام الثقال التى تطلب المركز والوسط بطبعها وهى تتحرك بالطبع اليه، وأما الاجسام التى تتحرك بطبعها الى العلو فلا يعرض لها ذلك بل الامر فيها بالضد من تلك الاجسام الثقال بل اذا اضيفت الى جسم ثقيل اكسبته الخفة وقد اخذ هذا المعنى بعضهم فقال

ثقلت زجاجات اتتنا فرغا . حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت . وكذا الجسوم تخف بالارواح

فصل

فصل

قولكم فى السابع عشر لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التى لا تخلو منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والنعومة والخشونة ـ الى آخره . شبهة فاسدة وحجة داحضة . فانه لا يجب اشتراك الاجسام فى جميع الكيفيات والصفات وقد فاوت الله سبحانه بين صفاتها وكيفياتها وطبائعها فمنها ما يرى بالبصر ويلمس باليد ، ومنها ما لا يرى ولا يلمس ، ومنها ما له لون ومنها ما لا لون له ، ومنها ما يقبل الحرارة والبرودة ، ومنها ما لا يقبله ، على ان للنفس من الكيفيات المختصة بها ما لا يشاركها فيها البدن ولها خفة وثقل وحرارة وبرودة ويبس ولين بحسبها وانت تجد الانسان فى غاية الثقالة وبدنه نحيل جدا وتجده فى غاية الخفة وبدنه ثقيل ، وتجد نفسا لينة وادعة ونفسا يابسة قاسية ، ومن له حس سليم يشم رائحة بعض النفوس كالجيفة المنتنة ورائحة بعضها اطيب من ريح المسك ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مر فى طريق بقى اثر رائحته فى الطريق ويعرف انه مر بها وتلك رائحة نفسه وقلبه ، وكانت رائحة عرقه من اطيب شيء وذلك تابع لطيب نفسه وبدنه ، واخبر وهو اصدق البشر أن الروح عند المفارقة يوجد لها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض او كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض . ولولا الزكام الغالب لشم الحاضرون ذلك على ان كثيرا من الناس يجد ذلك وقد اخبر به غير واحد ويكفى فيه خبر الصادق المصدوق ، وكذلك اخبر بان ارواح المؤمنين مشرقة وارواح الكفار سود .

وبالجملة فكيفيات النفوس اظهر من ان ينكرها الا من هو من اجهل الناس بها

فصل

قولكم فى الثامن عشر لو كانت النفس جسما لوجب ان تقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها ـ الى آخره .

فجوابه منع اللزوم فانكم لم تذكروا عليه شبهة فضلا عن دليل ، ومنع انتفاء اللازم فان الروح تدرك بالحواس فتلمس وترى وتشم لها الرائحة الطيبة والخبيثة كما تقدم فى النفوس المستفيضة ولكن لا نشاهد نحن ذلك ، وهذا الدليل لا يمكن ممن يصدق الرسل ان يحتج به فان الملك جسم ولا يقع تحت حاسة من حواسنا ، وكذلك الجن والشياطين اجسام لطاف لا تقع تحت حاسة من حواسنا ، والاجسام متفاوتة فى ذلك تفاوتا كثيرا ، فمنها ما يدرك باكثر الحواس ، ومنها ما لا يدرك باكثرها ، ومنها ما يدرك بحاسة واحدة ، ومنها ما لا ندركه نحن فى الغالب وان ادرك فى بعض الاحوال لكونه لم يخلق لنا ادراكه او لمانع يمنع من ادراكه او للطفه عن ادراك حواسنا ، فما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء والنار فى عنصرها ، وما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالنار والحصا والزجاج ، وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن .

وايضا فالروح هى المدركة لمدارك هذه الحواس بواسطة آلاتها فالنفس هى الحاسة المدركة وان لم تكن محسوسة فالاجسام والاعراض محسوسة والنفس محسة بها ، وهى القابلة لاعراضها المتعاقبة عليها من الفضائل والرذائل كقبول الاجرام لاعراضها المتعاقبة عليها ، وهى المتحركة باختيارها المحركة للبدن قسرا وقهرا ، وهى مؤثرة فى البدن متأثرة به تألم وتلذ وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتنعم وتبأس وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل وتعرف وتنكر ، وآثارها من ادل الدلائل على وجودها كما ان آثار الخالق سبحانه دالة على وجوده وعلى كماله فان دلالة الاثر على مؤثره ضرورية .

وتأثيرات النفوس بعضها فى بعض امر لا ينكره ذو حس سليم ولا عقل مستقيم ولاسيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فان قواها تتضاعف وتتزايد بحسب ذلك ولاسيما عند مخالفة هواها وحملها على الاخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف الاخلاق ورذائلها وسافلها فان تأثيرها فى العالم يقوى جدا تأثيرا يعجز عنه البدن واعراضه ان تنظر (١) الى

---

(١) لعله كأن تنظر اذ العبارة لا تستقيم بلفظ ان .

حجر عظيم فتشقه او حيوان كبير فتتلفه او الى نعمة فتزيلها وهذا امر قد شاهده الامم على اختلاف اجناسها واديانها وهو الذى يسمى اصابة العين فيضيفون الاثر الى العين وليس لها فى الحقيقة وانما هو للنفس المتكيفة بكيفية ردية سمية ، وقد تكون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء من بعيد فتتكيف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده وانت ترى تأثير النفس فى الاجسام صفرة وحمرة وارتعاشا بمجرد مقابلتها لها وقوتها وهذه وأضعافها آثار خارجة عن تأثير البدن واعراضه فان البدن لا يؤثر الا فيما لاقاه وماسه تأثيرا مخصوصا ولم تزل الامم تشهد تأثير الهمم الفعالة فى العالم وتستعين بها وتحذر آثارها ، وقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يغسل العائن مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فانه يزيل عنه تأثير نفسه فيه وذلك بسبب امر طبعى اقتضته حكمة الله سبحانه فان النفس الامارة لها بهذه المواضع تعلق وألف والارواح الخبيثة الخارجية تساعدها وتألف هذه المواضع غالبا للمناسبة بينها وبينها فاذا غسلت بالماء طفئت تلك النارية منها كما يطفأ الحديد المحمى بالماء فاذا صب ذلك الماء على المصاب طفأ عنه تلك النارية التى وصلت اليه من العائن وقد وصف الاطباء الماء الذى يطفأ فيه الحديد لآلام واوجاع معروفة ، وقد جرب الناس من تأثير الارواح بعضها فى بعض عند تجردها فى المنام عجائب تفوت الحصر وقد نبهنا على بعضها فيما مضى فعالم الارواح عالم آخر اعظم من عالم الابدان واحكامه وآثاره اعجب من آثار الابدان بل كل ما فى العالم من الآثار الانسانية فانما هى من تأثير النفوس بواسطة البدن فالنفوس والابدان يتعاونان على التأثير تعاون المشتركين فى الفعل وتنفرد النفس بآثار لا يشاركها فيها البدن ولا يكون للبدن تأثير لا تشاركه فيه النفس .

فصل

قولكم فى التاسع عشر لو كانت النفس جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وشكل وسطح وهذه المقادير لا تقوم الا بمادة – الى آخره .

(جوابه) انا نقول قولكم هذه المقادير لا تقوم الا بمادة قلنا وكان ماذا ؟ والنفس

لها مادة خلقت منها وجعلت على شكل معين وصورة معينة (قولكم) مادتها ان كانت نفسا لزم اجتماع نفسين وان كانت غير نفس كانت مركبة من بدن وصورة (قلنا) مادتها ليست نفسا كما ان مادة الانسان ليست انسانا ومادة الجن ليست جنا ومادة الحيوان ليست حيوانا (قولكم) يلزم كون النفس مركبة من بدن وصورة - مقدمة كاذبة وانما يلزم كون النفس مخلوقة من مادة ولها صورة معينة وهكذا نقول سواء ولم تذكروا على بطلان هذا شبهة فضلا عن حجة ظنية او قطعية .

فصل

قولكم فى الوجه العشرين ان خاصة الجسم ان يقبل التجزى وان الجزء الصغير منه ليس كالكبير فلو قبلت التجزى فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا .

(جوابه) ان اردتم ان كل جسم يقبل التجزى فى الخارج فكذب ظاهر فان الشمس والقمر والكواكب لا تقبل ذلك ولا يلزم ان كل جسم يصح عليه التجزى والتبعيض فى الخارج ، أما على قول نفاة الجوهر الفرد فظاهر وأما على قول مثبتيه فانه عندهم جوهر متحيز لا يصح عليه قبول الانقسام ، سلمنا انها تقبل الانقسام فاى شيء يلزم من ذلك ؟ (قولكم) ان كان كل جزء من تلك الاجزاء نفسا لزم اجتماع نفوس كثيرة فى الانسان (قلنا) انما يلزم ذلك لو انقسمت النفس بالفعل الى نفوس كثيرة وهذا محال (قولكم) وان لم يكن كل جزء نفسا لم يكن المجموع نفسا - مقدمة كاذبة منتقضة فكل ماهية ثبت لها حكم عند اجتماع اجزائها فان ذلك الحكم لا يثبت لكل جزء من تلك الاجزاء كماهية البيت والانسان والعشرة وغيرها .

فصل

قولكم فى الوجه الحادى والعشرين ان الجسم يحتاج فى قوامه وبقائه وحفظه الى نفس اخرى ويلزم التسلسل .

(جوابه) انه لايلزم من افتقار البدن الى نفس تحفظه افتقار النفس الى نفس تحفظها وهل ذلك الا مجرد دعوى كاذبة مستندة الى قياس قد تبين بطلانه فان كل جسم لايصير الى نفس تحفظه كاجسام المعادن وجسم الهواء والماء والنار والتراب واجسام سائر الجمادات (فان قلتم) ان هذه ليست احياء ناطقة بخلاف النفس فانها حية ناطقة (قلنا) فحينئذ يبقى الدليل هكذا ان كل جسم حى ناطق يحتاج فى حفظه وقيامه الى نفس تقوم به وهذه دعوى مجردة وهى كاذبة فان الجن والملائكة احياء ناطقون وليسوا مفتقرين فى قيامهم الى ارواح اخر تقوم بهم (فان قلتم) وكلامنا معكم فى الجن والملائكة فانهم ليسوا باجسام متحيزة (قلنا) الكلام مع من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأما من كفر بذلك فالكلام معه فى النفس ضائع وقد كفر بفاطر النفس ومبدعها وملائكته وما جاءت به رسله وكان تاركا مادل عليه العيان مع دليل الايمان فان الآثار المشهودة فى العالم من تأثيرات الملائكة والجن باذن ربهم لايمكن انكارها ولا هى موجودة بنفسها ولاتقدر عليها القوى البشرية .

فصل

(قولكم فى الثانى والعشرين) لو كانت جسما لكان اتصالها بالبدن ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان للانسان الواحد جسمان متلاصقان احدهما يرى والآخر لايرى .

جوابه من وجوه (احدها) ان تداخل الاجسام المحال ان يتداخل جسمان كثيفان احدهما فى الآخر بحيث يكون حيزهما واحدا واما ان يدخل جسم لطيف فى كثيف يسرى فيه فهذا ليس بمحال (الثانى) ان هذا باطل بصور كثيرة منها دخول الماء فى العود والسحاب ودخول النار فى الحديد ودخول الغذاء فى جميع اجزاء البدن ودخول الجن فى المصروع فالروح للطافتها لايمتنع عليها مشابكة البدن والدخول فى جميع اجزائه (الثالث) ان حيز النفس البدن وحيزه مكانه المنفصل عنه وهذا ليس بتداخل ممتنع فاذا فارقته صار لها حيز آخر غير حيزه وحينئذ

فلا يتداخلان بل يصير لكل منهما حيز يخصه ، وبالجملة فدخول الروح فى البدن الطف من دخول الماء فى الثرى والدهن فى البدن، فهذه الشبهة الفاسدة لا يعارض بها مادل عليها نصوص الوحى والادلة العقلية — وبالله التوفيق .

فصل

واما المسئلة العشرون وهى هل النفس والروح شىء واحد أو شيئان متغايران ؟ فاختلف الناس فى ذلك (فمن قائل) ان مسماهما واحد وهم الجمهور (ومن قائل) انهما متغايران . ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على امور (احدها الروح) قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش .

نجا سالما والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

اى بجفن سيف ومئزر (والنفس الدم) يقال سالت نفسه وفى الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه (والنفس الجسد) قال الشاعر .

نبئت ان بنى تميم ادخلوا ابناءهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم (والنفس العين) يقال اصابت فلانا نفس اى عين .

قلت ليس كما قال بل النفس هاهنا الروح ونسبة الاضافة الى العين توسع لانها تكون بواسطة النظر المصيب والذى اصابه انما هو نفس العائن كما تقدم .

قلت والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى (فسلموا على انفسكم وقوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم)وقوله تعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها)وقوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) .

وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة)وقوله تعالى (اخرجوا انفسكم)وقوله تعالى (ونهى النفس عن الهوى) وقوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) .

واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس ، وتطلق الروح على القرآن الذى اوحاه الله تعالى الى رسوله قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا

من امرنا) .

وعلى الوحى الذى يوحيه الى انبيائه ورسله قال تعالى (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون) وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها واسلم عاقبة .

وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة وهى من ذوات الواو ولهذا تجمع على ارواح قال الشاعر .

اذاهبت الارواح من نحو أرضكم　　وجدت لمسراها على كبدى بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة . فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشىء النفيس لنفاستها وشرفها ، واما من تنفس الشىء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها فى البدن سميت نفسا ، ومنه النفس بالتحريك ، فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث رجعت اليه .

فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات ، وانما سمى الدم نفسا لان خروجه الذى يكون معه الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا قال .

تسيل على حد الظباة نفوسنا　　وليست على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع وهلة واحدة ومنه الافاضة وهى الاندفاع بكثرة وسرعة لكن افاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا اندفع قسرا او قهرا فالله سبحانه هو الذى يفيضها عند الموت فتفيض هى .

فصل

وقالت فرقة اخرى من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس ،

قال مقاتل بن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التى يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه وتبقى الحياة والروح فى الجسد فبه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله عز وجل ان يميته فى المنام امسك تلك النفس التى خرجت ، وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح ويخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه قد رأى كيت وكيت .

قال ابوعبدالله بن منده ثم اختلفوا فى معرفة الروح والنفس فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية (وقال بعضهم) الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلى (وقالت طائفة) وهم اهل الاثر إن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد ، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو اعدى لابن آدم من نفسه فالنفس لاتريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها ، والروح تدعو الى الآخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس ، والشيطان تبع النفس والهوى ، والملك مع العقل والروح ، والله تعالى يمدها بالهامه وتوفيقه (وقال بعضهم) الارواح من امر الله اخفى حقيقتها وعلمها على الخلق (وقال بعضهم) الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله . ثم اختلفوا فى الارواح هل تموت بموت الابدان والانفس او لا تموت ؟ (فقال طائفة) الارواح لاتموت ولاتبلى (وقال جماعة) الارواح على صور الخلق لها ايد وارجل واعين وسمع وبصر ولسان (وقالت طائفة) للمؤمن ثلاثة ارواح وللمنافق والكافر روح واحدة (وقال بعضهم) للانبياء والصديقين خمس ارواح (وقال بعضهم) الارواح روحانية خلقت من الملكوت فاذا صفت رجعت الى الملكوت .

قلت اما الروح التى تتوفى وتقبض فهى روح واحدة وهى النفس ، واما مايؤيد الله به اولياءه من الروح فهى روح اخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (اولئك

كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وكذلك الروح الذى ايدبها روحه المسيح ابن مريم كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس) وكذلك الروح التى يلقيها على من يشاء من عباده هى غير الروح التى فى البدن .

واما القوى التى فى البدن فانها تسمى ايضا ارواحا فيقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشامّ ، فهذه الارواح قوى مودعة فى الابدان تموت بموت الابدان ، وهى غير الروح التى لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ، ويطلق الروح على اخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والانابة اليه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ، ونسبة هذه الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه ، وهى الروح التى يؤيدبها اهل ولايته وطاعته ، ولهذا يقول الناس فلان فيه روح ، وفلان مافيه روح وهو بو وهو قصبة فارغة ونحو ذلك . فللعلم روح ، وللاحسان روح ، وللاخلاص روح ، وللمحبة والانابة روح ، وللتوكل وللصدق روح ، والناس متفاوتون فى هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ، ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا بهيميا . والله المستعان .

فصل

واما المسئلة الحادية والعشرن وهى هل النفس واحدة ام ثلاث ؟

فقد وقع فى كلام كثير من الناس ان لابن آدم ثلاث انفس ، نفس مطمئنة ونفس لوامة ، ونفس امارة ، وان منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الاخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة) وبقوله تعالى (لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة) وبقوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) والتحقيق انها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم

فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها الى ربها بعبوديته ومحبته والانابة اليه والتوكل عليه والرضا به والسكون اليه ، فان سمة محبته وخوفه ورجائه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغنى بمحبته عن حب ماسواه ، وبذكره عن ذكر ما سواه ، وبالشوق اليه والى لقائه عن الشوق الى ما سواه ، فالطمأنينة الى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشارد اليه حتى كأنه جالس بين يديه ، يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به ، فتسرى تلك الطمأنينة فى نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه الى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله الى خدمته والتقرب اليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية الا بالله وبذكره وهو كلامه الذى انزله على رسوله كما قال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) فان طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه ، وهذا لايتأتى بشىء سوى الله تعالى وذكره البتة ، واما ما عداه فالطمأنينة اليه وبه غرور والثقة به عجز قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لامرد له ان من اطمأن الى شىء سواه اتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان ، بل لو اطمأن العبد الى علمه وحاله وعمله سلبه وزايله ، وقد جعل سبحانه نفوس المطمئنين الى سواه اغراضا لسهام البلاء ليعلم عباده واولياؤه ان المتعلق بغيره مقطوع ، والمطمئن الى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع . وحقيقة الطمأنينة التى تصير بها النفس مطمئنة ان تطمئن فى باب معرفة اسمائه وصفاته ونعوت كماله الى خبره الذى اخبر به عن نفسه واخبرت به عنه رسله فتتلقاه القبول والتسليم والاذعان وانشراح الصدر له وفرح القلب به ، فانه معرف من معرفات الرب سبحانه الى عبده على لسان رسوله فلا يزال القلب فى اعظم القلق والاضطراب فى هذا الباب حتى يخالط الايمان باسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحى بشاشة قلبه ، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش ، فيطمئن اليه ويسكن اليه ويفرح به

ويلين له قلبه ومفاصله حتى كأنه شاهد الأمر كما اخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس فى الظهيرة لعينه فلو خالفه فى ذلك من بين شرق الارض وغربها لم يلتفت الى خلافهم وقال اذا استوحش من الغربة قد كان الصديق الاكبر مطمئنا بالايمان وحده وجميع اهل الارض يخالفه وما نقص ذلك من طمأنينته شيئا، فهذا اول درجات الطمأنينة ثم لايزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا امر لانهاية له فهذه الطمأنينة اصل اصول الايمان التى قام عليها بناؤه، ثم يطمئن الى خبره عما بعد الموت من امور البرزخ ومابعدها من احوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا وهذا حقيقة اليقين الذى وصف به سبحانه تعالى اهل الايمان حيث قال (وبالآخرة هم يوقنون) فلا يحصل الايمان بالآخرة حتى يطمئن القلب الى ما اخبر الله سبحانه به عنها طمأنينته الى الامور التى لاشك فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر كما فى حديث حارثة اصبحت مؤمنا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا واهلها وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا والى اهل الجنة يتزاورون فيها واهل النار يعذبون فيها، فقال عبد نور الله قلبه.

فصل

والطمأنينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان طمأنينة الى الايمان بها واثباتها واعتقادها، وطمأنينة الى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية، مثاله الطمأنينة الى القدر واثباته والايمان به يقتضى الطمأنينة الى مواضع الاقدار التى لم يؤمر العبد بدفعها ولاقدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب ايمانه فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما اتاه لان المصيبة فيه مقدرة قبل ان تصل اليه وقبل ان يخلق كما قال تعالى (ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وقال تعالى (ما اصاب من مصيبة الا باذن الله

ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال غير واحد من السلف هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم انها من عندالله فيرضى ويسلم ، فهذه طمأنينة الى احكام الصفات وموجباتها وآثارها فى العالم وهى قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها، وكذلك سائر الصفات وآثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والعلم والرضا والغضب والمحبة فهذه طمأنينة الايمان .

واما طمأنينة الاحسان فهى الطمأنينة الى امره امتثالا واخلاصا ونصحا فلا يقدم على امره ارادة ولا هوى ولا تقليدا فلا يساكن شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض امره بل اذا مرت به انزلها منزلة الوساوس التى لأن يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يجدها، فهذا كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريح الايمان ، وعلامة هذه الطمأنينة ان يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها الى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ويسهل عليه ذلك بأن يعلم ان اللذة والحلاوة والفرحة فى الظفر بالتوبة ، وهذا امر لا يعرفه الا من ذاق الامرين وباشر قلبه آثارهما فللتوبة طمأنينة تقابل ما فى المعصية من الانزعاج والقلق ولو فتش العاصى عن قلبه لوجد حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب وانما يوارى عنه شهود ذلك سكر الغفلة والشهوة فان لكل شهوة سكرا يزيد على سكر الخمر ، وكذلك الغضب له سكر اعظم من سكر الشراب ولهذا ترى العاشق والغضبان يفعل ما لا يفعله شارب الخمر . وكذلك يطمئن من تلق الغفلة والاعراض الى سكون الاقبال على الله وحلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمأنينة للروح بدون هذا ابدا ولو انصفت نفسها لرأتها اذا فقدت ذلك فى غاية الانزعاج والقلق والاضطراب ولكن يواريها السكر فاذا كشف الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه .

فصل

وها هنا سر لطيف يجب التنبيه عليه والتنبه له والتوفيق له بيد من ازمة التوفيق بيده وهو أن الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان كمالا ان لم يحصل له فهو فى قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذى جعل له مثاله كمال العين

بالابصار، وكمال الاذن بالسمع، وكمال اللسان بالنطق، فاذا عدمت هذه الاعضاء القوى التى بها كمالها حصل الالم والنقص بحسب فوات ذلك؛ وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه فى معرفته سبحانه وارادته ومحبته والانابة اليه والاقبال عليه والشوق اليه والانس به، فاذا عدم القلب ذلك كان اشد عذابا واضطرابا من العين التى فقدت النور الباصر ومن اللسان الذى فقد قوة الكلام والذوق، ولاسبيل له الى الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدنيا واسبابها ومن العلوم ما نال الا بان يكون الله وحده هو محبوبه وإلهه ومعبوده وغاية مطلوبه وان يكون هو وحده مستعانه على تحصيل ذلك، فحقيقة الامر أنه لاطمأنينة له بدون التحقق باياك نعبد واياك نستعين. واقوال المفسرين فى الطمأنينة ترجع الى ذلك، قال ابن عباس رضى الله عنهما المطمئنة المصدقة، وقال قتادة هو المؤمن اطمأنت نفسه الى ما وعد الله، وقال الحسن المصدقة بما قال الله تعالى، وقال مجاهد هى النفس التى ايقنت بان الله ربها المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها، وروى منصور عنه قال النفس التى ايقنت ان الله ربها وضربت (١) جاشا لامره وطاعته، وقال ابن ابى نجيح عنه النفس المطمئنة المخبتة الى الله، وقال ايضا هى التى ايقنت بلقاء الله. فكلام السلف فى المطمئنة يدور على هذين الاصلين طمأنينة العلم والايمان وطمأنينة الارادة والعمل.

فصل

فاذا اطمأنت من الشك الى اليقين ومن الجهل الى العلم ومن الغفلة الى الذكر ومن الخيانة الى التوبة ومن الرئاء الى الاخلاص ومن الكذب الى الصدق ومن العجز الى الكيس ومن صولة العجب الى ذلة الاخبات ومن التيه الى التواضع ومن الفتور الى العمل فقد باشرت روح الطمأنينة، واصل ذلك كله ومنشؤه من اليقظة فهى اول مفاتيح الخير فان الغافل عن الاستعداد للقاء ربه والتزود

---

(١) هكذا ولعله سكنت أو بردت

لمعاده بمنزلة النائم بل اسوأ حالا منه ؟ فان العاقل يعلم وعدالله ووعيده وماتتقاضاه اوامر الرب تعالى ونواهيه واحكامه من الحقوق لكن يحجبه عن حقيقة الادارك ويقعده عن الاستدراك سنة القلب وهى غفلته التى رقد فيها فطال رقوده، وركد وأخلد الى نوازع الشهوات فاشتد اخلاده وركوده، وانغمس فى غمار الشهوات، واستولت عليه العادات، ومخالطة اهل البطالات، ورضى بالتشبه باهل اضاعة الأوقات، فهو فى رقاده مع النائمين، وفى سكرته مع المخمورين، فمتى انكشف عن قلبه سنة هـذه الغفلة بزجرة من زواجر الحق فى قلبه استجاب فيها لواعظ الله فى قلب عبده المؤمن، اوهمة علية أثارها معول الفكر فى المحل القابل فضرب بمعول فكره وكبر تكبيرة اضاءت له منها قصور الجنة فقال

الايا نفس ويحك ساعدينى   بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة ان تفوزى   بطيب العش فى تلك العلالى

فاثارت تلك الفكرة نورا رأى فى ضوئه ما خلق له وما سيلقاه بين يديه من حين الموت الى دخول دار القرار، ورأى سرعة انقضاء الدنيا وعدم وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وفعلها بهم انواع المثلات فنهض فى ذلك الضوء على ساق عزمه قائلا (ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله) فاستقبل بقية عمره التى لاقيمة لها مستدركا بها ما فات، محييا بها ما امات، مستقبلا بها ماتقدم له من العثرات، منتهزا فرصة الامكان التى ان فاتت فاته جميع الخيرات.

ثم يلحظ فى نور تلك اليقظة وفور نعمة ربه عـليه من حين استقر فى الرحم الى وقته وهو يتقلب فيها ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا ويقظة ومناما سرا وعلانية فلو اجتهد فى احصاء انواعها لما قدر، ويكفى ان ادناها نعمة النفس ولله عليه فى كل يوم اربعة وعشرون الف نعمة فما ظنك بغيرها.

ثم يرى فى ضوء ذلك النور أنـه آيس من حصرها واحصائها عاجز عن اداء حقها وان المنعم بها ان طالبه بحقوقها استوعب جميع اعماله حق نعمة واحدة منها فيتيقن حينئذ أنه لامطمع له فى النجاة الابعفو الله ورحمته وفضله.

ثم يرى فى ضوء تلك اليقظة انه لو عمل اعمال الثقلين من البر لاحتقرها بالنسبة الى جنب عظمة الرب تعالى و مايستحقه بجلال وجهه وعظم سلطانه، هذا لو كانت اعماله منه فكيف وهى مجرد فضل الله ومنته واحسانه حيث يسرها له واعانه عليها وهيأه لها وشاءها منه وكوّنها، ولو لم يفعل ذلك لم يكن له سبيل اليها، فحينئذ لا يرى اعماله منه، وإن الله سبحانه لن يقبل عملا يراه صاحبه من نفسه حتى يرى عين توفيق الله له وفضله عليه ومنته وانه من الله لا من نفسه وانه ليس له من نفسه الا الشر واسبابه، ومابه من نعمة فمن الله وحده صدقة تصدق بها عليه وفضلا منه ساقه اليه من غير أن يستحقه بسبب ويستأهله بوسيلة، فيرى ربه ووليه ومعبوده اهلا لكل خير ويرى نفسه اهلا لكل شر، وهذا اساس جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذى يرفعها ويجعلها فى ديوان اصحاب اليمين.

ثم تبرق له فى نور تلك اليقظة بارقة اخرى يرى فى ضوئها عيوب نفسه وآفات عمله وماتقدم له من الجنايات والاساءات وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق الواجبات فاذا انضم ذلك الى شهود نعم الله عليه واياديه لديه رأى ان حق المنعم عليه فى نعمه واوامره لم يبق له حسنة واحدة يرفع بها رأسه فيطمئن قلبه وانكسرت نفسه وخشعت جوارحه وسار الى الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعمه ومطالعة جناياته وعيوب نفسه وآفات عمله قائلا ابوء لك بنعمتك علىّ وابوء لك بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت، فلا يرى لنفسه حسنة ولا يراها اهلا لخير فيوجب له امرين عظيمين (احدهما) استكثار ما منّ الله عليه (والثانى) استقلال ما منه من الطاعة كائنة ما كانت. ثم تبرق له بارقة اخرى يرى فى ضوئها عزة وقته وخطره وشرفه وانه رأس مال سعادته فيبخل به ان يضيعه فيما لا يقربه الى ربه فان فى اضاعته الخسران والحسرة والندامة وفى حفظه وعمارته الربح والسعادة فيشح بأنفاسه ان يضيعها فيما لا ينفعه يوم معاده.

فصل

ثم يلحظ فى ضوء تلك البارقة ما تقتضيه يقظته من سنة غفلته من التوبة والمحاسبة

والمراقبة والغيرة لربه ان يؤثر عليه غيره وعلى حظه من رضاه وقربه وكرامته ببيعه بثمن بخس فى دار سريعة الزوال وعلى نفسه ان يملّك رقها لمعشوق لو فكر فى منتهى حسنه ورأى آخره بعين بصيرة لأنف لها من محبته .

فهذا كله من آثار اليقظة وموجباتها وهى اول منازل النفس المطمئنة التى تنشأ منها سفرها الى الله والدار الآخرة .

فصل

واما النفس اللوامة وهى التى اقسم بها سبحانه فى قوله (ولا اقسم بالنفس اللوامة) فاختلف فيها فقالت طائفة هى التى لا تثبت على حال واحدة_ اخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهى كثيرة التقلب والتلون وهى من اعظم آيات الله فانها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون فى الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألوانا متلونة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطيع وتعصى وتتقى وتفجر ، الى اضعاف اضعاف ذلك من حالاتها وتلونها فهى تتلون كل وقت الوانا كثيرة فهذا قول .

وقالت طائفة اللفظة مأخوذة من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هى نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة ، قال الحسن البصرى ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه دائما يقول ما اردت بهذا ؟ لم فعلت هذا ؟ كان غير هذا اولى ، اونحو هذا من الكلام .

وقال غيره هى نفس المؤمن توقعه فى الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الايمان بخلاف الشقى فانه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها وتلومه على فواته .

وقالت طائفة بل هذا اللوم للنوعين فان كل احد يلوم نفسه براكان اوفاجرا فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته والشقى لا يلومها الا على فوات حظها وهواها .

وقالت فرقة اخرى هذا اللوم يوم القيامة فان كل احد يلوم نفسه إن كان مسيئا

على اساءته وان كان محسنا على تقصيره .

وهذه الاقوال كلها حق ولا تنافى بينها فان النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت لوامة ، لكن اللوامة نوعان ، لوامة ملومة وهى النفس الجاهلة الظالمة التى يلومها الله وملائكته ، ولوامة غير ملومة وهى التى لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة ، وأشرف النفوس من لامت نفسها فى طاعة الله واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله ، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل فى الله ملام اللوام فهى التى يلومها الله عز وجل .

فصل

واما النفس الامارة فهى المذمومة فانها التى تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها الا ما وفقها الله وثبتها وأعانها ، فما تخلص احد من شر نفسه الا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكيا عن امرأة العزيز (وما ابرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم) وقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا) وقال تعالى لأكرم خلقه عليه وأحبهم اليه (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم خطبة الحاجة « الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له » فالشر كامن فى النفس وهو يوجب سيئات الاعمال فان خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الاعمال ، وان وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله فنسأل الله العظيم ان يعيذنا من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا .

وقد امتحن الله سبحانه الانسان بهاتين النفسين الامارة واللوامة كما اكرمه بالمطمئنة فهى نفس واحدة تكون امارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهى غاية كمالها وصلاحها ، وأيد المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذى يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه ويريها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه ويريها

قبح صورته، وامدها بما علمها من القرآن والاذكار واعمال البر وجعل وفود الخيرات ومداد التوفيق تنتابها وتصل اليها من كل ناحية وكلما تلقتها بالقبول والشكر والحمدلله ورؤية اوليته فى ذلك كله ازداد مددها فتقوى على محاربة الامارة، فمن جندها وهو سلطان عساكرها وملكها الايمان واليقين فالجيوش الاسلامية كلها تحت لوائه ناظرة اليه ان ثبت ثبتت وان انهزم ولت على ادبارها، ثم امراء هذا الجيش ومقدمو عساكره شعب الايمان المتعلقة بالجوارح على اختلاف انواعها كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصيحة الخلق والاحسان اليهم بأنواع الاحسان، وشعبه الباطنة المتعلقة بالقلب كالاخلاص والتوكل والانابة والتوبة والمراقبة والصبر والحلم والتواضع والمسكنة وامتلاء القلب من محبة الله ورسوله وتعظيم اوامر الله وحقوقه والغيرة لله وفى الله والشجاعة والعفة والصدق والشفقة والرحمة، وملاك ذلك كله الاخلاص والصدق فلا يتعب الصادق المخلص فقد اقيم على الصراط المستقيم فيساربه وهو راقد، ولا يتعب من حرم الصدق والاخلاص فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين فى الارض حيران فان شاء فليعمل وان شاء فليترك فلا يزيده عمله من الله الابعدا، وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة.

واما النفس الامارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذى يليها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويأمرها بالسوء ويزينه لها ويطيل فى الامل ويريها الباطل فى صورة تقبلها وتستحسنها ويمدها بانواع الامداد الباطل من الامانى الكاذبة والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وارادتها فمنه يدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشىء هو ابلغ من هواها وارادتها اليه وقد علم ذلك اخوانه من شياطين الانس فلا يستعينون على الصور الممنوعة منهم بشىء ابلغ من هواهم وارادتهم (١) فاذا اعيتهم صورة طلبوا بجهدهم ماتحبه وتهواه ثم طلبوا بجهدهم تحصيله فاصطادوا به تلك الصورة فاذا فتحت لهم النفس باب

---

(١) كذا «والظاهر من هواها وارادتها» اى الصور – تدبر – ح .

الهوى دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وافسدوا وفتكوا وسبوا وفعلوا مايفعله العدو ببلاد عدوه اذا تحكم فيها فهدموا معالم الايمان والقرآن والذكر والصلاة وخربوا المساجد وعمروا البيع والكنائس والحانات والمواخير وقصدوا الى الملك فأسروه وسلبوه ملكه ونقلوه من عبادة الرحمن الى عبادة البغايا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية، ومن السماع الرحمانى الى السماع الشيطانى ومن الاستعداد للقاء رب العالمين الى الاستعداد للقاء اخوان الشياطين، فبيناهو يراعى حقوق الله وما امره به اذ صار يرعى الخنازير، وبينا هو منتصب لخدمة العزيز الرحيم اذ صار منتصبا لخدمة كل شيطان رجيم.

والمقصود أن الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الامارة، وقد روى ابو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمد الله ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقد رواه عمرو عن عطاء بن السائب وزاد فيه عمرو قال سمعنا فى هذا الحديث انه كان يقال اذا احس احدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله وليسأله من فضله واذا احس من لمة الشيطان شيئا فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان.

فصل

فالنفس المطمئنة والملك وجنده من الايمان يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد والاحسان والبر والتقوى والصبر والتوكل والتوبة والانابة والاقبال على الله وقصر الامل والاستعداد للموت وما بعده، والشيطان وجنده من الكفر يقتضيان من النفس الامارة ضد ذلك وقد سلط الله سبحانه الشيطان على كل ما ليس له ولم يرد به وجهه ولا هو طاعة له وجعل ذلك اقطاعه فهو يستنيب النفس الامارة على هذا العمل والاقطاع ويتقاضي ان تاخذ الاعمال من النفس المطمئنة

فتجعلها قوة لها فهى احرص شىء على تخليص الاعمال كلها لها وان تصير من حظوظها ، فأصعب شىء على النفس المطمئنة تخليص الاعمال من الشيطان ومن الامارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغى لنجا به العبد ولكن ابت الامارة والشيطان ان يدعا لها عملا واحدا يصل الى الله كما قال بعض العارفين بالله وبنفسه والله لو اعلم ان لى عملا واحدا وصل الى الله لكنت افرح بالموت من الغائب يقدم على اهله ، وقال عبدالله بن عمر لو اعلم ان الله تقبل منى سجدة واحدة لم يكن غائب احب الى من الموت (انما يتقبل الله المتقين) .

فصل

وقد انتصبت الامارة فى مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها فاذا جاءت بالايمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح فى الايمان من الشك والنفاق وما يقدح فى التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا ترضى حتى تقدم محبة غيره وخوفه ورجاءه على محبته سبحانه وخوفه ورجائه فيكون ماله عندها هو المؤخر وماللخلق هو المقدم، وهذا حال اكثر هذا الخلق ، واذا جاءت تلك بتجريد المتابعة للرسول جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال واقوالهم على الوحى وأتت من الشبه المضلة بما يمنعها من كمال المتابعة وتحكيم السنة وعدم الالتفات الى آراء الرجال فيقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله، واذا جاءت تلك بالاخلاص والصدق والتوكل والانابة والمراقبة جاءت هذه باضدادها واخرجتها فى عدة قوالب وتقسم بالله مامرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم انها كاذبة ومامرادها الا مجرد حظها واتباع هواها والتفلت من سجن المتابعة والتحكيم المحض للسنة الى قضاء ارادتها وشهوتها وحظوظها ولعمر الله ما تخلصت الا من فضاء المتابعة والتسليم الى سجن الهوى والارادة وضيقه وظلمته ووحشته فهى مسجونة فى هذا العالم وفى البرزخ فى اضيق منه ويوم المعاد الثانى فى اضيق منهما .

ومن اعجب امرها انها تسحر العقل والقلب فتأتى الى اشرف الاشياء وافضلها واجلها

فتخرجه فى صورة مذمومة واكثر الخلق صبيان العقول اطفال الاحلام لم يصلوا الى حد الفطام الاول عن العوائد والمألوفات فضلا عن البلوغ الذى يميز به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيؤثره وشر الشرين فيجتنبه فتريه صورة تجريد التوحيد التى هى ابهى من صورة الشمس والقمر فى صورة التنقيص المذموم وهضم العظماء منازلهم وحطهم منها الى مرتبة العبودية المحضة والمسكنة والذل والفقر المحض الذى لا ملكة لهم معه ولا ارادة ولا شفاعة الا من بعد إذن الله فتريهم النفس السحارة هذا القدر غاية تنقيصهم وهضمهم ونزول اقدارهم وعدم تمييزهم عن المساكين الفقراء فتنفر نفوسهم من تجريد التوحيد اشد النفار ويقولون (أجعل الآلهة الها واحدا إن هذا لشىء عجاب) وتريهم تجريد المتابعة للرسول وما جاء به وتقديمه على آراء الرجال فى صورة تنقيص العلماء والرغبة عن اقوالهم وما فهموه عن الله ورسوله وان هذا اساءة ادب عليهم وتقدم بين ايديهم وهو مفض الى اساءة الظن بهم وانهم قد فاتهم الصواب وكيف لنا قوة ان نرد عليهم ونفوز ونحظى بالصواب دونهم، فتنفر من ذلك اشد النفار وتجعل كلامهم هو المحكم الواجب الاتباع وكلام الرسول هو المتشابه الذى يعرض على اقوالهم فما وافقها قبلناه وما خالفها رددناه او اولناه او فوضناه وتقسم النفس السحارة بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم .

فصل

وتريه صورة الاخلاص فى صورة ينفر منها وهى الخروج عن حكم العقل المعيشى والمداراة والمداهنة التى بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس فمتى اخلص اعماله ولم يعمل لأحد شيئا تجنبو وتجنبوه وابغضهم وابغضوه وعاداهم وعادوه وسار على جادة وهم على جادة فينفر من ذلك اشد النفار وغايته ان يخلص فى القدر اليسير من اعماله التى لا تتعلق بهم وسائر اعماله لغير الله .

فصل

وتريه صورة الصدق مع الله وجهاد من خرج عن دينه وامره فى قالب الانتصاب

لعداوة الخلق وأذاهم وحربهم وانه يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق وانه يصير غرضا لسهام الطاعنين، وامثال ذلك من الشبه التى تقيمها النفس السحارة والخيالات التى تخيلها، وتريه حقيقة الجهاد فى صورة تقتل فيها النفس وتنكح المرأة ويصير الاولاد يتامى ويقسم المال، وتريه حقيقة الزكاة والصدقة فى صورة مفارقة المال ونقصه وخلو اليد منه واحتياجه الى الناس ومساواته للفقير وعوده بمنزلته وتريه حقيقة اثبات صفات الكمال لله فى صورة التشبيه والتمثيل فينفر من التصديق بها وينفر غيره، وتريه حقيقة التعطيل والالحاد فيها فى صورة التنزيه والتعظيم .

واعجب من ذلك انها تضاهى ما يحبه الله ورسوله من الصفات والاخلاق والافعال بما يبغضه منها، وتلبس على العبد احد الامرين بالآخر، ولا يخلص من هذا الا ارباب البصائر، فان الافعال تصدر عن الارادات وتظهر على الاركان من النفسين الامارة والمطمئنة فيتباين الفعلان فى البطلان (١) ويشتبهان فى الظاهر، ولذلك امثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة فالاول من المطمئنة والثانى من الامارة، وخشوع الايمان وخشوع النفاق، وشرف النفس والتيه، والحمية والجفاء، والتواضع والمهانة، والقوة فى امر الله والعلو فى الارض، والحمية لله والغضب له والحمية للنفس والغضب لها، والجود والسرف، والمهابة والكبر، والصيانة والتكبر، والشجاعة والجرأة، والحزم والجبن، والاقتصاد والشح، والاحتراز وسوء الظن، والفراسة والظن والنصيحة والغيبة، والهدية والرشوة، والصبر والقسوة والعفو والذل، وسلامة القلب والبله والغفلة، والثقة والغرة، والرجاء والتمنى، والتحدث بنعم الله والفخر بها، وفرح القلب وفرح النفس، ورقة القلب والجزع، والموجدة والحقد، والمنافسة والحسد، وحب الرياسة وحب الامامة والدعوة الى الله، والحب لله والحب مع الله، والتوكل لا جبنا وضعفا .

---

(١) كذا ولعله فى الباطن -

والعجز، والاحتياط والوسوسة، والهام الملك والهام الشيطان، والاناة والتسويف، والاقتصاد والتقصير، والاجتهاد والغلو، والنصيحة والتأنيب والمبادرة والعجلة، والاخبار بالحال عند الحاجة والشكوى .

فالشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو منقسم الى محمود ومذموم كالفرح والحزن، والاسف والغضب، والغيرة والخيلاء، والطمع والتجمل، والخشوع والحسد، والغبطة والجرأة والتحسر والحرص والتنافس واظهار النعمة والحلف والمسكنة والصمت والزهد والورع والتخلي والعزلة والانفة والحمية والغيبة ، وفى الحديث ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يكرهه فالغيرة التى يحبها الله الغيرة فى ريبة، والتى يكرهها الغيرة فى غير ريبة ، وان من الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يكرهه فالتى يحب الخيلاء فى الحرب . وفى الصحيح ايضا لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها . وفى الصحيح ايضا ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف . وفيه ايضا من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير فالرفق شيء والتوانى والكسل شيء فان المتوانى يتثاقل عن مصلحته بعد امكانها فيتقاعد عنها والرفيق يتلطف فى تحصيلها بحسب الامكان مع المطاوعة . وكذلك المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما ان المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق او يرده عن الباطل ، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق، وقد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المدارى الرفيق فتعرف حالها ثم أخذ فى تليينها حتى اذا نضجت اخذ فى بطها برفق وسهولة ، حتى اخرج ما فيها ثم وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فساده ويقطع مادته ثم تابع عليها بالمراهم التى تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها ثم يشد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت ، والمداهن قال لصاحبها لا بأس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقة ثم اله عنها فلا تزال مادتها

تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها ، وهذا المثل ايضا مطابق كل المطابقة لحال النفس الامارة مع المطمئنة فتأمله ، فاذا كانت هذه حال قرحة بقدر الحمصة فكيف بسقم هاج من نفس امارة بالسوء ، هى معدن الشهوات ومأوى كل فسق وقد قارنها شيطان فى غاية المكر والخداع يعدها ويمنيها ويسحرها بجميع انواع السحر حتى يخيل اليها النافع ضارا والضار نافعا والحسن قبيحا والقبيح جميلا وهذا لعمر الله من اعظم انواع السحر ولهذا يقول سبحانه (فانى تسحرون) والذى نسبوا اليه الرسل من كونهم مسحورين هو الذى اصابهم بعينه وهم اهله لأرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كما انهم نسبوهم الى الضلال والفساد فى الارض والجنون والسفه وما استعاذت (١) الانبياء والرسل وامراء الامم بالاستعاذة من شر النفس الامارة وصاحبها وقرينها الشيطان الا لانهما اصل كل شر وقاعدته ومنبعه وهما متساعدان عليه متعاونان .

رضيعى لبان ثدى ام تقاسما بأسحم داج عوض لا نتفرق

قال الله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وقال (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون) وقال تعالى (قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد) فهذا استعاذة من شر النفس وقال (قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) فهذا استعاذة من قرينها وصاحبها وبئس القرين والصاحب ، وأمر الله سبحانه نبيه واتباعه بالاستعاذة بربوبيته التامة الكاملة من هذين الخلقين العظيم شأنهما فى الشر والفساد ، والقلب بين هذين العدوين لانزال شرهما يطرقه وينتابه واول ما يدب فيه السقم من النفس الامارة من الشهوة وما يتبعها من الحب والحرص والطلب والغضب ويتبعه من الكبر والحسد والظلم والتسلط فيعلم الطبيب الغاش الخائن بمرضه فيعوده ويصف له انواع السموم

---

(١) كذا والظاهر – وما امرت – ح .

والمؤذيات ويخيل اليه بسحره ان شفاءه فيها ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة النفس الامارة والشيطان وتتابع امدادهما وانه نقد حاضر ولذة عاجلة والداعى اليه يدعو من كل ناحية والهوى ينفذ والشهوة تهون والتأسى بالاكثر والتشبه بهم والرضا بأن يصيبه ما اصابهم فكيف يستجيب مع هذه القواطع واضعافها لداعى الايمان ومنادى الجنة الا من امده الله بامداد التوفيق وايده برحمته وتولى حفظه وحمايته وفتح بصيرة قلبه فرأى سرعة انقطاع الدنيا وزوالها وتقلبها بأهلها وفعلها بهم وانها فى الحياة الدائمة كغمس اصبع فى البحر بالنسبة اليه .

فصل

والفرق بين خشوع الايمان وخشوع النفاق ان خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والاجلال والوقار والمهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو فيخشع القلب لامحالة فيتبعه خشوع الجوارح . واما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع ، وكان بعض الصحابة يقول اعوذ بالله من خشوع النفاق قيل له وما خشوع النفاق ؟ قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع . فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر واشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى حشى به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن الى الله وذكره بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له والمخبت المطمئن فان الخبت من الارض ما تطأ من فاستنقع فيه الماء ، فكذلك القلب المخبت قد خشع وتطأ من كالبقعة المطمئنة من الارض التى يجرى اليها الماء فيستقر فيها ، وعلامته ان يسجد بين يدى ربه اجلالا له وذلا وانكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه . واما القلب المتكبر فانه قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الارض لايستقر عليها الماء فهذا خشوع الايمان .

واما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف اسكان الجوارح تصنعا

ومراءاة ونفسه فى الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو يتخشع فى الظاهر وحية الوادى واسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة .

فصل

واما شرف النفس فهو صيانتها عن الدنايا والرذائل والمطامع التى تقطع اعناق الرجال فيربأ بنفسه عن ان يلقيها فى ذلك ، بخلاف التيه فانه خلق متولد بين امرين اعجابه بنفسه وازرائه بغيره فيتولد من بين هذين التيه ، والاول يتولد من بين خلقين كريمين اعزاز النفس واكرامها وتعظيم مالكها وسيدها ان يكون عبده دنيا وضيعا خسيسا فيتولد من بين هذين الخلقين شرف النفس وصيانتها ، واصل هذا كله استعداد النفس وتهيؤها وامداد وليها ومولاها لها فاذا فقد الاستعداد والامداد فقد الخير كله .

فصل

وكذلك الفرق بين الحمية والجفاء فالحمية فطام النفس عن رضاع اللوم من ثدى هو مصب الخبائث والرذائل والدنايا ولو غزر لبنه وتهالك الناس عليه فان لهم فطاما تنقطع معه الاكباد حسرات فلابد من الفطام. فان شئت عجل وانت محمود مشكور وان شئت اخر وانت غير مأجور. بخلاف الجفاء فانه غلظة فى النفس وقساوة فى القلب وكثافة فى الطبع يتولد عنها خلق يسمى الجفاء .

فصل

والفرق بين التواضع والمهانة ان التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة اسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته واجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عمله وآفاتها ، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على احد فضلا ولا يرى له عند احد حقا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق انما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه .

(واما المهانة) فهى الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها فى نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل فى نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة. وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم واوحى الى ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغى احد على احد. والتواضع المحمود على نوعين (النوع الاول) تواضع العبد عند امر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا فان النفس اطلب الراحة تتلكأ فى امره فيبد ومنها نوع اباء وشراد هربا من العبودية وتثبت عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه، فاذا وضع العبد نفسه لامر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية (والنوع الثانى) تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك فتواضعت اليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه وتطأ من لهيبته وأخبت لسلطانه، فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الاول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الامرين والله المستعان.

فصل

وكذلك القوة فى امر الله هى من تعظيمه وتعظيم اوامره وحقوقه حتى يقيمها لله والعلو فى الارض هو من تعظيم نفسه وطلب تفردها بالرياسة ونفاذ الكلمة سواء عز أمر الله او هان بل اذا عارضه امر الله وحقوقه ومرضاته فى طلب علوه لم يلتفت الى ذلك واهدره واماته فى تحصيل علوه.

وكذلك الحمية لله والحمية للنفس فالاولى يثيرها تعظيم الامر والآمر والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها فالحمية لله ان يحمى قلبه له من تعظيم حقوقه وهى حال عبد قد اشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ قلبه بذلك النور فاذا غضب فانما يغضب من اجل نور ذلك السلطان الذى القى على قلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب احمرت وجنتاه وبدا بين عينيه عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتقم لله، وروى زيد بن اسلم عن ابيه ان موسى بن عمران

صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا وهذا بخلاف الحمية للنفس فانها حرارة تهيج من نفسه لفوات حظها او طلبه فان الفتنة فى النفس والفتنة هى الحريق والنفس متلظية بنار الشهوة والغضب فانما هما حرارتان تظهران على الاركان حرارة من قبل النفس المطمئنة اثارها تعظيم حق الله وحرارة من قبل النفس الامارة اثارها استشعار فوت الحظ .

فصل

والفرق بين الجود والسرف ان الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه والمسرف مبذر قد يصادف عطاؤه موضعه وكثيرا لا يصادفه وايضاح ذلك ان الله سبحانه بحكمته جعل فى المال حقوقا وهى نوعان حقوق موظفة وحقوق ثانية (فالحقوق الموظفة) كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته (والثانية) كحق الضيف ومكافأة المهدى وما وقى به عرضه ونحو ذلك فالجواد يتوخى بماله اداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخالف فى الدنيا والثواب فى العقبى فهو يخرج ذلك بسماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فانه يبسط يده فى ماله بحكم هواه وشهوته جزافا لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة وان اتفقت له فالاول بمنزلة من بذر حبة فى الارض تنبت وتوخى ببذره مواضع المغل والانبات فهذا لا يعد مبذرا ولا سفيها والثانى بمنزلة من بذر حبة فى سباخ وعزاز من الارض وان اتفق بذره فى محل النبات بذر بذرا متراكما بعضه على بعض ، فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل ، وهذا المكان بذر بذرا متراكما بعضه على بعض ، فلذلك يحتاج ان يقلع بعض زرعه ليصلح الباقى ولئلا تضعف الارض عن تربيته . والله سبحانه هو الجواد على الاطلاق بل كل جود فى العالم العلوى والسفلى بالنسبة الى جوده اقل من قطرة فى بحار الدنيا وهى من جوده ومع هذا فانما ينزل بقدر ما يشاء وجوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وان خفى على اكثر الناس ان تلك مواضعه فالله يعلم حيث يضع فضله وأى المحال اولى به .

فصل

والفرق بين المهابة والكبر (ان المهابة) اثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته واجلاله فاذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة والبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فاخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة فحنت اليه الافئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعمله نور إن سكت علاه الوقار وان تكلم اخذ بالقلوب والاسماع .

(واما الكبر) فاثر من آثار العجب والبغى من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت فنظره الى الناس شزر ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الايثار ولا الانصاف ذاهب بنفسه تيها لا يبدأ من لقيه بالسلام وان رد عليه رأى انه قد بالغ فى الانعام عليه لاينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لاحد عليه حقا ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم لايزداد من الله الا بعدا ومن الناس الا صغارا او بغضا .

فصل

والفرق بين الصيانة والتكبر ان الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوبا جديدا نقى البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وانواع الآثار ابقاء على بياضه ونقائه فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التى يخشى منها عليه التلوث فلا يسمح باثر ولا طبع ولا اوث يعلو ثوبه وان اصابه شيء من ذلك على غرة بادر الى قلعه وازالته ومحو أثره وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها فان لها فى القلب طبوعا وآثارا اعظم من الطبوع الفاحشة فى الثوب النقى البياض ولكن على العيون غشاوة ان تدرك تلك الطبوع ، فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم مخافة ان يحصل لقلبه مايحصل للثوب الذى يخالط

الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم .

بخلاف صاحب العلو فانه وان شابه هذا فى تحرزه وتجنبه فهو يقصد ان يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه ، فهذا لون وذاك لون .

فصل

والفرق بين الشجاعة والجرأة (ان الشجاعة) من القلب وهى ثباته واستقراره عند المخاوف وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن فانه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت ، كما ان الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر واصل الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشأ من الرئة فاذا ساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب فى مكانه وضيقت عليه حتى ازعجته عن مستقره فاصابه الزلازل والاضطراب لانزعاج الرئة له وتضييقها عليه ولهذا جاء فى حديث عمرو بن العاص الذى رواه احمد وغيره عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم شر ما فى المرء جبن خالع وشح هالع . فسمى الجبن خالعا لانه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السحر وهو الرئة كما قال ابوجهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك ، فاذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الامور على غير مواضعها فالشجاعة حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فاذا رأته الاعضاء كذلك اعانته فانها خدم له وجنود كما انه اذا ولّى ولّت سائر جنوده .

واما الجرأة فهى اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر فى العاقبة بل تقدم النفس فى غير موضع الاقدام معرضة عن ملاحظة العارض فاما عليها واما لها .

فصل

واما الفرق بين الحزم والجبن فالحازم هو الذى قد جمع عليه همه وارادته وعقله ووزن الامور بعضها ببعض فأعد لكل منها قرنه ، ولفظة الحزم تدل على القوة والاجماع ومنه حزمة الحطب فحازم الرأى هو الذى اجتمعت له شئون رأيه

وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فاحجم فى موضع الاحجام رأيا وعقلا

العاجز الرأى مضياع لفرصته   حتى اذا فات امر عاتب القدرا (١)

فصل

واما الفرق بين الاقتصاد والشح ان الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة فبالعدل يعتدل فى المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذى يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)

واما الشح فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعا والهلع شدة الحرص على الشىء والشره به فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) .

فصل

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن ان المحترز بمنزلة رجل قدخرج بماله ومركوبه مسافرا فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل مكان يتوقع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد وأخذ الاسباب التى بها ينجو من المكروه، فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذى قدتأهب للقاء عدوه وأعدله عدته فهمه فى تهيئة اسباب النجاة ومحاربة عدوه قد اشغلته عن سوء الظن به وكلماساء به الظن اخذ فى انواع العدة والتأهب .

واما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه ، فهم معه ابدا فى الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض يبغضهم ويبغضونه ، ويلعنهم ويلعنونه ، ويحذرهم ويحذرون منه ، فالاول يخالطهم

---

(١) لم يذكر تفسير الجبن كأنه اكتفى بما تقدم فى الفصل الذى قبل هذا — ح .

ويحترز منهم ، والثانى يتجنبهم ويلحقه اذاهم ، الاول داخل فيهم بالنصيحة والاحسان مع الاحتراز ، والثانى خارج منهم مع الغش والدغل والبغض .

فصل

والفرق بين الفراسة والظن ان الظن يخطئ ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا امر تعالى باجتناب كثير منه واخبر أن بعضه اثم .

واما الفراسة فاثنى على اهلها ومدحهم فى قوله تعالى (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره اى للمتفرسين وقال تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم) وقال تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول) فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الادناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذى جعله فى قلبه ، وفى الترمذى وغيره من حديث ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله . وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله فان القلب اذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وادراكه وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه واضاء له النور بقدر قربه فرأى فى ذلك النور مالم يره البعيد والمحجوب كما ثبت فى الصحيح من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عن ربه عزوجل انه قال ماتقرب الىّ عبدى بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى . فاخبر سبحانه ان تقرب عبده منه يفيده محبته له فاذا احبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وابصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ماهى عليه فلا تكاد تخطئ له فراسة فان العبد اذا ابصر بالله ابصر الامر على ماهو عليه فاذا سمع بالله سمعه على ماهو عليه ، وليس هذا من علم الغيب

بل علام الغيوب قذف الحق فى قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الاباطيل والخيالات والوساوس التى تمنعه من حصول صور الحقائق فيه واذا غلب على القلب النور فاض على الاركان وبادر من القلب الى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى اصحابه فى الصلاة وهم خلفه كما يراهم امامه ، ورأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وابواب صنعاء ومدائن كسرى وهو بالمدينة يحفر الخندق ، ورأى امراءه بموتة وقد اصيبوا وهو بالمدينة ، ورأى النجاشى بالحبشة لما مات وهو بالمدينة فخرج الى المصلى فصلى عليه . ورأى عمر سارية بنهاوند من ارض فارس (١) هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فناداه يا سارية الجبل ، ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الاشتر النخعى فصعد فيه البصر وصوبه وقال ايهم هذا؟ قالوا مالك بن الحارث فقال ماله قاتله الله انى لأرى للمسلمين منه يوما عصيبا. ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان ان لم يحدث . وقيل ان الشافعى ومحمد بن الحسن جلسا فى المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد أتفرس انه نجار ، فقال الشافعى أتفرس انه حداد ، فسألاه فقال كنت حدادا وانا اليوم انجر ودخل ابو الحسن البوشنجى والحسن الحداد على ابى القاسم المناوى يعودانه فاشتريا فى طريقهما بنصف درهم تفاحا نسيئة فلما دخلا عليه قال ما هذه الظلمة؟ فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من قبل ثمن التفاح فاعطيا الثمن ثم عادا اليه فوقع بصره عليهما فقال يمكن الانسان ان يخرج من الظلمة بهذه السرعة؟ اخبرانى عن شأنكما فاخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه فى اعطاء الثمن والرجل مستحيى منكما فى التقاضى . وكان بين ابى زكريا النخشى وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس أبى عثمان الحيرى فتفكر فى شأنها فرفع ابو عثمان اليه رأسه وقال الا تستحيي . وكان شاه الكرمانى جيد الفراسة لا تخطئ فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه

---

(١) وكان عمر رضى الله عنه اذ ذاك بالمدينة المشرفة .

عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود اكل الحلال لم تخطئ فراسته . وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال ايش هذا الذى ذكر لى عنك؟ فقال له اعتقد شيئا ، فقال له الجنيد اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا ، فقال فاعتقد ثانيا قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا ، قال فاعتقد ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا ، فقال الشاب هذا عجب وانت صدوق وانا اعرف قلبى ، فقال الجنيد صدقت فى الاولى والثانية والثالثة لكن اردت ان امتحنك هل يتغير قلبك ، وقال ابو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيئا فقلت فى نفسى مثل هذا كلّ على الناس ، فنظر الىّ وقال (اعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه) قال فاستغفرت فى سرى فنادانى وقال (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وقال ابراهيم الخواص كنت فى الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لاصحابنا يقع لى انه يهودى! فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال ايش قال الشيخ فىّ ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال انك يهودى فجاء فاكب على يدى فاسلم فقلت ما السبب؟ فقال نجد فى كتابنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع هذا الشيخ علىّ وتفرسنى علمت انه صديق . وهذا عثمان بن عفان دخل عليه رجل من الصحابة وقد رأى امرأة فى الطريق فتأمل محاسنها فقال له عثمان يدخل علىّ احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه فقلت أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة .

فهذا شأن الفراسة وهى نور يقذفه الله فى القلب فيخطر له الشىء فيكون كما خطر له وينفذ الى العين فترى ما لا يراه غيرها .

فصل

فصل

والفرق بين النصيحة والغيبة ان النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع اوفتان اوغاش اومفسد فتذكر ما فيه اذا استشارك فى صحبته ومعاملته والتعلق به كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة بنت قيس وقد استشارته فى نكاح معاوية وابى جهم فقال أما معاوية فصعلوك واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وقال عن بعض اصحابه لمن سافر معه اذا اهبطت بلاد قومه فاحذره .

فاذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهى قربة الى الله من جملة الحسنات واذا وقعت على وجه ذم اخيك وتمزيق عرضه والتفكه بلحمه والغض منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهى الداء العضال ونار الحسنات التى تاكلها كما تاكل النار الحطب .

فصل

والفرق بين الهدية والرشوة وإن اشتبها فى الصورة القصد فان الراشى قصده بالرشوة التوصل الى ابطال حق اوتحقيق باطل فهذا الراشى الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشى وحده باللعنة .

واما المهدى فقصده استجلاب المودة والمعرفة والاحسان فان قصد المكافأة فهو معاوض وان قصد الربح فهو مستكثر .

فصل

والفرق بين الصبر والقسوة ان الصبر خلق كسبى يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكى فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغى فعله وهو ثبات القلب على الاحكام القدرية والشرعية .

واما القسوة فيبس فى القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنعه من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله .

وتحقيق هذا ان القلوب ثلاثة (قلب قاس) غليظ بمنزلة اليد اليابسة (وقلب مائع) رقيق جدا فالاول لاينفعل بمنزلة الحجر والثانى بمنزلة الماء وكلاهما ناقص وأصح القلوب (القلب الرقيق) الصافى الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويقبله (١) ويؤثره برقته ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته. وفى اثر « القلوب آنية الله فى ارضه فأحبها اليه ارقها واصلبها واصفاها » وهذا القلب الزجاجى فان الزجاجة جمعت الاوصاف الثلاثة ، وابغض القلوب الى الله القلب القاسى قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة اوأشد قسوة) وقال تعالى (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل القاء الشيطان فتنة لاصحاب هذين القلبين ورحمة لاصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافى الذى ميز بين القاء الشيطان والقاء الملك بصفائه وقبل الحق باخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته فقال تعالى عقيب ذلك (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم).

فصل

والفرق بين العفو والذل ان العفو اسقاط حقك جودا وكرما واحسانا مع قدرتك على الانتقام فتؤثر الترك رغبة فى الاحسان ومكارم الاخلاق - بخلاف الذل فان صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس ، فهذا مذموم غير محمود ولعل المنتقم بالحق احسن حالا منه قال تعالى (والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون) فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى اذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء مالهم عليه ندبهم الى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين) فذكر المقامات الثلاثة العدل واباحه ، والفضل وندب اليه ، والظلم وحرمه ، (فان قيل) فكيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان ؟ (قيل)

---

(١) اي الحق - كما يأتى - ح

لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام وانما مدحهم على الانتصار وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم فلما قدروا ندبهم الى العفو. قال بعض السلف فى هذه الآية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا، فمدحهم على عفو بعد قدرة لا على عفو ذل وعجز ومهانة وهذا هو الكمال الذى مدح سبحانه به نفسه فى قوله (وكان الله عفوا قديرا) والله غفور رحيم. وفى اثر معروف حملة العرش اربعة اثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، واثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. ولهذا قال المسيح صلوات الله وسلامه عليه (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) اى ان غفرت لهم غفرت عن عزة وهى كمال القدرة وحكمة وهى كمال العلم فغفرت بعد أن علمت ما عملوا واحاطت بهم قدرتك اذ المخلوق قد يغفر بعجزه عن الانتقام وجهله بحقيقة ما صدر من المسيء، والعفو من المخلوق ظاهره ضيم وذل وباطنه عز ومهابة، والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل فما زاد الله بعفو الا عزا ولا انتقم احد لنفسه الا ذل ولو لم يكن الا بفوات عز العفو، ولهذا ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه قط، وتأمل قوله سبحانه (هم ينتصرون) كيف يفهم منه ان فيهم من القوة ما يكونون هم بها المنتصرين لانفسهم لا ان غيرهم هو الذى ينصرهم. ولما كان الانتصار لا تقف النفوس فيه على حد العدل غالبا بل لا بد من المجاوزة شرع فيه سبحانه المماثلة والمساواة وحرم الزيادة وندب الى العفو.

والمقصود أن العفو من اخلاق النفس المطمئنة والذل من اخلاق الامارة ونكتة المسئلة ان الانتقام شيء والانتصار شيء فالانتصار أن ينتصر لحق الله ومن اجله ولا يقوى على ذلك الا من تخلص من ذل حظه ورق هواه فانه حينئذ ينال حظا من العز الذى قسم الله للمؤمنين فاذا بغى عليه انتصر من الباغى من اجل عز الله الذى اعزه به غيرة على ذلك العز أن يستضام ويقهر وحمية للعبد المنسوب الى العزيز الحميد أن يستذل، فهو يقول للباغى عليه انا مملوك من لا يذل مملوكه ولا يحب ان يذله احد، واذا كانت نفسه الامارة قائمة على اصولها لم تحب بعد طلبه الا الانتقام والانتصار

لحظها وظفرها بالباغى تشفيا فيه واذلالا له ، واما النفس المطمئنة التى خرجت من ذل حظها ورق هواها الى عز توحيدها وانابتها الى ربها فاذا نالها البغى قامت بالانتصار حمية ونصرة للعز الذى اعزها الله به ونالته منه وهو فى الحقيقة حمية لربها ومولاها وقد ضرب لذلك مثل بعبدين من عبيد الغلة حراثين ضرب احدهما صاحبه فعفا المضروب عن الضارب نصحا منه لسيده وشفقة على الضارب ان يعاقبه السيد فلم يجشم سيده خلقه (١) عقوبته وافساده بالضرب فشكر العافى على عفوه ووقع منه بموقع، وعبد آخر قد اقامه بين يديه وجمّله وألبسه ثيابا يقف بها بين يديه فعمد بعض سواس الدواب واضرابهم واطلخ تلك الثياب بالعذرة اومزقها فلو عفا عمن فعل به ذلك لم يوافق عفوه رأى سيده ولا محبته وكان الانتصار احب اليه واوفق لمرضاته كأنه يقول انما فعل هذا بك جرأة علىّ واستخفافا بسلطانى فاذا امكنه من عقوبته فاذله وقهره ولم يبق الا ان يبطش به فذل وانكسر قلبه فان سيده يحب منه ان لا يعاقبه لحظه وان يأخذ منه حق السيد فيكون انتصاره حينئذ لمحض حق سيده لا لنفسه كما روى عن على رضى الله عنه انه مر برجل فاستغاث به وقال هذا منعنى حقى ولم يعطنى اياه فقال أعطه حقه فلما جاوزهما لج الظالم ولطم صاحب الحق فاستغاث بعلى فرجع وقال اتاك الغوث فقال له استقد منه فقال قد عفوت ياامير المؤمنين فضربه علّى تسع درر وقال قد عفا عنك من لطمته وهذا حق السلطان فعاقبه على لما اجترأ على سلطان الله ولم يدعه، ويشبه هذا قصة الرجل الذى جاء الى ابى بكر رضى الله عنه فقال احملنى فوالله لأنا افرس منك ومن ابنك (١) وعنده المغيرة ابن شعبة فحسر عن ذراعه وصك بها انف الرجل فسال الدم فجاء قومه الى ابى بكر رضى الله عنه فقالوا أقدنا من المغيرة، فقال انا اقيدكم من وزعة الله؟ لا اقيدكم منه فرأى ابو بكر أن ذلك انتصارا من المغيرة وحمية لله وللعز الذى اعز به خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتمكن بذلك العز من حسن خلافته واقامة دينه فترك قوده لاجترائه على عز الله وسلطانه الذى اعز به رسوله ودينه وخليفته فهذا لون والضرب حمية للنفس الامارة لون .

---

(١) كذا

فصل

والفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل ان سلامة القلب تكون من عدم ارادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من ارادته وقصده لا من معرفته والعلم به ، وهذا بخلاف البله والغفلة فانها جهل وقلة معرفة وهذا لا يحمد اذ هو نقص وانما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه . والكمال ان يكون القلب عارفا بتفاصيل الشر سليما من ارادته قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لست بخب ولا يخدعنى الخب وكان عمر اعقل من ان يخدع واورع من ان يخدع وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) فهذا هو السليم من الآفات التى تعترى القلوب المريضة من مرض الشبهة التى توجب اتباع الظن ومرض الشهوة التى توجب اتباع ماتهوى الانفس فالقلب السليم الذى سلم من هذا وهذا .

فصل

والفرق بين الثقة والغرة ان الثقة سكون يستند الى ادلة وامارات يسكن القلب اليها فكلما قويت تلك الامارات قويت الثقة واستحكمت ولا سيما على كثرة التجارب وصدق الفراسة واللفظة كأنها والله اعلم من الوثاق وهو الرباط فالقلب قد ارتبط بمن وثق به توكلا عليه وحسن ظن به فصار فى وثاق محبته ومعاملته والاستناد اليه والاعتماد عليه فهو فى وثاقه بقلبه وروحه وبدنه فاذا سار القلب الى الله وانقطع اليه تقيد بحبه وصار فى وثاق العبودية فلم يبق له مفزع فى النوائب ولا ملجأ غيره ويصير عدته فى شدته وذخيرته فى نوائبه وملجاه فى نوازله ومستعانه فى حوائجه وضروراته .

واما الغرة فهى حال المغتر الذى غرته نفسه وشيطانه وهواه واملـه الخائب الكاذب بربه حتى أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى ، والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك الى من لا يسكن اليه ورجاؤك النفع من المحل الذى لا يأتى بخير كحال المغتر بالسراب قال تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وقال تعالى فى وصف المغترين (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وهؤلاء اذا انكشف الغطاء وثبتت حقائق الامور علموا انهم لم يكونوا على شىء (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) وفى اثر معروف اذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وانت مقيم على معصيته فاحذره فانما هو استدراج يستدرجك به . وشاهد هذا فى القرآن فى قوله تعالى (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وهذا من اعظم الغرة ان تراه يتابع عليك نعمه وانت مقيم على مايكره فالشيطان موكل بالغرور، وطبع النفس الامارة الاغترار فاذا اجتمع الرأى والبغى والرأى المحتاج (١) والشيطان الغرور والنفس المغترة لم يقع هناك خلاف، فالشياطين غروا المغترين بالله وأطمعوهم مع اقامتهم على مايسخط الله ويغضبه فى عفوه وتجاوزه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الاجل فأخذوا على اسوأ احوالهم وقال تعالى (وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور) وقال تعالى (يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) واعظم الناس غرورا بربه من اذا مسه الله برحمة منه وفضل (قال هذا لى) اى انا اهله وجدير به ومستحق له ثم قال (وما اظن الساعة قائمة) فظن انه اهل لما اولاه من النعم مع كفره بالله ثم زاد فى غروره فقال (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) يعنى الجنة والكرامة فهكذا تكون الغرة بالله فالمغتر بالشيطان مغتر بوعوده وامانيه وقد ساعده اغتراره بدنياه ونفسه فلايزال كذلك حتى يتردى فى آبار الهلاك .

فصل

والفرق بين الرجاء والتمنى ان الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة فى الاتيان باسباب الظفر والفوز (والتمنى) حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل

---

(١) لعله المحتاج .

الاسباب الموصلة اليه قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله) فطوى سبحانه بساط الرجاء الاعن هؤلاء وقال المغترون إن الذين ضيعوا اوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما اسخطه وتجنبوا مايرضيه اولئك يرجون رحمته، وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم، فالرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الايمان بالله واليوم الآخر فمثل بين عينيه ماوعده الله تعالى من كرامته وجنته فامتد القلب مائلا الى ذلك شوقا اليه وحرصا عليه فهو شبيه بالمادّ عنقه الى مطلوب قد صار نصب عينيه. وعلامة الرجاء الصحيح ان الراجى يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك مايخاف ان يحول بينه وبين دخولها فمثله مثل رجل خطب امرأة كريمة فى منصب وشرف الى اهلها فلما آن وقت العقد واجتماع الاشراف والاكابر واتيان الرجل الى الحضور اعلم عشية ذلك اليوم ليتاهب للحضور فتراه المرأة واكابر الناس فأخذ فى التاهب والتزين والتجمل فأخذ من فضول شعره وتنظف وتطيب ولبس اجمل ثيابه واتى الى تلك الدار متقيا فى طريقه كل وسخ ودنس واثر يصيبه اشد تقوى حتى الغبار والدخان وما هو دون ذلك فلما وصل الى الباب رحب به ربها ومكن له فى صدر الدار على الفرش والوسائد ورمقته العيون وقصد بالكرامة من كل ناحية، فلو أنه ذهب بعد أخذ هذه الزينة فجلس فى المزابل وتمرغ عليها وتمعك بها وتلطخ فى بدنه وثيابه بما عليها من عذرة وقذر ودخل ذلك فى شعره وبشره وثيابه فجاء على تلك الحال الى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذى سبق له لقام اليه البواب بالضرب والطرد والصياح عليه والابعاد له من بابها وطريقها فرجع متحيرا خاسئا. فالاول حال الراجى وهذا حال المتمنى، وان شئت مثلت حال الرجلين بملك هو من اغير الناس واعظمهم امانة واحسنهم معاملة لا يضيع لديه حق احد وهو يعامل الناس من وراء ستر لا يراه احد وبضائعه وامواله وتجاراته وعبيده واماؤه ظاهر بارز فى داره للعاملين فدخل عليه رجلان فكان احدهما يعامله بالصدق والامانة والنصيحة لم يجرب عليه غشا ولا خيانة ولا مكرا فباعه بضائعه كلها واعتمد مع مماليكه

وجواريه ما يجب ان يعتمد معهم فكان اذا دخل اليه ببضاعة تخير له احسن البضائع وأحبها اليه وان صنعها بيده بذل جهده فى تحسينها وتنميقها وجعل ماخفى منها احسن مما ظهر ويستلم المؤنة ممن امره ان يستلمها منه وامتثل ماامره به السفير بينه وبينه فى مقدار ما يعمله، صفته وهيئته وشكله ووقته وسائر شؤنه، وكان الآخر اذا دخل دخل بأخس بضاعة يجدها لم يخلصها من الغش ولا نصح فيها ولا اعتمد فى امرها ما قاله المترجم عن الملك والسفير بينه وبين الصناع والتجار بل كان يعملها على مايهواه هو ومع ذلك فكان يخون الملك فى داره اذ هو غائب عن عينه فلا يلوح له طمع الا خانه ولا حرمة للملك الا مد بصره اليها وحرص على افسادها ولا شيء يسخط الملك الا ارتكبه اذا قدر عليه فمضيا على ذلك مدة ثم قيل ان الملك يبرز اليوم لمعامليه حتى يحاسبهم ويعطيهم حقوقهم فوقف الرجلان بين يديه فعامل كل واحد منهما بما يستحقه. فتأمل هذين المثلين فان الواقع مطابق لهما فالراجى على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينه ورجاءه وأمله امتد اليها قلبه وسعى لها سعيها فان الرجاء هو امتداد القلب وميله، وحقق رجاءه كمال التأهب وخوف الفوت والاخذ بالحذر. واصله من التنحى ورجا البئر ناحيته وارجاء السماء نواحيها وامتداد القلب الى المحبوب منقطعا عما يقطعه عنه هو تنحّ عن النفس الامارة واسبابها وما تدعو اليه وهذا الامتداد والميل والخوف من شأن النفس المطمئنة فان القلب اذا انفتحت بصيرته فرأى الآخرة وما اعد الله فيها لاهل طاعته واهل معصيته خاف وخفّ مرتحلا الى الله والدار الآخرة وكان قبل ذلك مطمئنا الى النفس، والنفس الى الشهوات والدنيا فلما انكشف عنه غطاء النفس خف وارتحل عن جوارها طالبا جوار العزيز الرحيم فى جنات النعيم، ومن هاهنا صار كل خائف راجيا وكل راج خائفا فاطلق اسم احدهما على الآخر فان الراجى قلبه قريب الصفة من قلب الخائف هذا الراجى قد نحى قلبه عن مجاورة النفس والشيطان مرتحلا الى الله قد رفع له من الجنة علم فشمر اليه وله ماد اليه قلبه كله، وهذا الخائف فار من جوارها ملتجئ الى الله من حبسه فى سجنهما فى الدنيا فيحبس

معهما بعد الموت ويوم القيامة فان المرء مع قرينه فى الدنيا والآخرة فلما سمع الوعيد ارتحل من مجاورة جار السوء فى الدارين فاعطى اسم الخائف ، ولما سمع الوعد امتدّ واستطار شوقا اليه وفرحا بالظفر به فاعطى اسم الراجى ، وحالاه متلازمان لا ينفك عنهما فكل راج خائف من فوات ما يرجوه كما ان كل خائف راج امنه مما يخاف ، فلذلك تداول الاسمان عليه قال تعالى (مالكم لا ترجون لله وقارا) قالوا فى تفسيرها لا تخافون لله عظمة . وقد تقدم ان الله سبحانه طوى الرجاء الاعن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا وقد فسر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الايمان بانه ذو شعب واعمال ظاهرة وباطنة وفسر الهجرة بانها هجر ما نهى الله عنه، والجهاد بانه جهاد النفس فى ذات الله فقال المهاجر من هجر ما نهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله . والمقصود أن الله سبحانه جعل اهل الرجاء من آمن وهاجر وجاهدوا اخرج من سواهم من هذه الامم .

واما الامانى فانها رؤس اموال المفاليس اخرجوها فى قالب الرجاء وتلك امانيهم وهى تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فاظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه فى شهواتها وكلما فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة واحالته على العفو والمغفرة والفضل وان الكريم لا يستوفى حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمى ذلك رجاء وانما هو وسواس وامانى باطلة تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستريح اليها قال تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) فاذا ترك العبد ولاية الحق ونصرته ترك الله ولايته ونصرته ولم يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، واذا ترك ولايته ونصرته تولته نفسه والشيطان فصارا وليين له ووكل الى نفسه فصار انتصاره لها بدلا من نصرة الله ورسوله فاستبدل بولاية الله ولاية نفسه وشيطانه وبنصرته نصرة نفسه وهواه فلم يدع للرجاء موضعا . فاذا قالت لك النفس انا فى مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه امنية فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، فالكيس يعمل اعمال البر على الطمع والرجاء والاحمق العاجز يعطل اعمال البر ويتكل على الامانى التى يسميها

رجاء . والله الموفق .

فصل

والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها ان المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات وليها ومحض جوده واحسانه فهو مثن عليه باظهارها والتحدث بها شاكر له ناشر لجميع ما اولاه مقصوده بذلك اظهار صفات الله ومدحه والثناء وبعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى محبته ورجائه فيكون راغبا الى الله باظهار نعمه ونشرها والتحدث بها .

واما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس ويريهم انه اعز منهم واكبر ، فيركب اعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها اليه بالتعظيم والخدمة . قال النعمان بن بشير إن للشيطان مصالى (١) وفخوخا وان من مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله والكبر على عباد الله والفخر بعطية الله والهوى فى غير ذات الله .

فصل

والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ظاهر فان الفرح بالله ومعرفته ومحبته وكلامه من القلب قال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) فاذا كان اهل الكتاب يفرحون بالوحى فاولياء الله واتباع رسوله احق بالفرح به وقال تعالى (واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال ابو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ، ورحمته ان جعلكم من اهله . وقال هلال بن يساف فضل الله ورحمته الاسلام الذى هداكم اليه والقرآن الذى علمكم هو خير من الذهب والفضة الذى تجمعون . وقال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله الاسلام ورحمته القرآن ، فهذا فرح القلب وهو من الايمان ويثاب عليه العبد فان فرحه به يدل على رضاه به

---

(١) جمع مصلاة اى شرك « بفتحتين » كما فى النهاية .

بل هو فوق الرضا فالفرح بذلك على قدر محبته فان الفرح انما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر محبته يفرح بحصوله له فالفرح بالله واسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الايمان وصفوته ولبه وله عبودية عجيبة واثر فى القلب لايعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله واسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه افضل ما يعطاه بل هو اجلّ عطاياه، والفرح فى الآخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته فى الدنيا ، فالفرح بالوصول الى المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها ، فهذا شأن فرح القلب ، وله فرح آخر وهو فرحه بما منّ الله به عليه من معاملته والاخلاص له والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه وبه وكلما تمكن فى ذلك قوى فرحه وابتهاجه ، وله فرحة اخرى عظيمة الوقع عجيبة الشأن وهى الفرحة التى تحصل له بالتوبة فان لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية اليها البتة ، فلو علم العاصى ان لذة التوبة وفرحتها تزيد على لذة المعصية (١) وفرحتها اضعافا مضاعفة لبادر اليها اعظم من مبادرته الى لذة المعصية .

وسرّ هذا الفرح انما يعلمه من علم سر فرح الرب تعالى بتوبة عبده اشد فرح يقدر ، ولقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلا ليس فى انواع الفرح فى الدنيا اعظم منه وهو فرح رجل قد خرج براحلته التى عليها طعامه وشرابه فى سفر ففقدها فى ارض دوية مهلكة فاجتهد فى طلبها فلم يجدها فيئس منها فجلس ينتظر الموت حتى اذا طلع البدر رأى فى ضوئه راحلته وقد تعلق زمامها بشجرة فقال من شدة فرحه اللهم انت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح فالله افرح بتوبة عبده من هذا براحلته .

فلا ينكر أن يحصل للتائب نصيب وافر من الفرح بالتوبة ولكن ها هنا امر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يصل الى ذلك الا بعد ترحات ومضض ومحن لا تثبت لها الجبال فان صبر لها ظفر بلذة الفرح وان ضعف عن حملها ولم يصبر لها لم يظفر بشىء وآخر امره فوات ما آثره من فرحة المعصية ولذتها فيفوته الامران ويحصل على

---

(١) هذه هى لذة النفس التى تقابل لذة القلب ـ المصحح .

ضد اللذة من الالم المركب من وجود المؤذى وفوت المحبوب فالحكم لله العلى الكبير .

فصل

وهاهنا فرحة اعظم من هذا كله وهى فرحته عند مفارقته الدنيا الى الله اذا ارسل اليه الملائكة فبشروه بلقائه وقال له ملك الموت اخرجى ايتها الروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب، أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان، اخرجى راضية مرضيا عنك (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) فلو لم يكن بين يدى التائب الا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يأمر بايثارها فكيف ومن بعدها انواع من الفرح منها صلاة الملائكة الذين بين السماء والارض على روحه ، ومنها فتح ابواب السماء لها وصلاة ملائكة السماء عليها وتشييع مقربيها لها الى السماء الثانية فتفتح ويصلى عليها اهلها ويشيعها مقربوها هكذا الى السماء السابعة فكيف يقدر فرحها وقد استؤذن لها على ربها ووليها وحبيبها فوقفت بين يديه واذن لها بالسجود فسجدت ثم سمعته سبحانه يقول اكتبوا كتابه فى عليين ثم يذهب به فيرى الجنة ومقعده فيها وما اعد الله له ويلقى اصحابه واهله فيستبشرون به ويفرحون به ويفرح بهم فرح الغائب يقدم على اهله فيجدهم على احسن حال ويقدم عليهم بخير ما قدم به مسافر، هذا كله قبل الفرح الاكبر يوم حشر الاجساد بجلوسه فى ظل العرش وشربه من الحوض وأخذه كتابه بيمينه وثقل ميزانه وبياض وجهه واعطائه النور التام والناس فى الظلمة وقطعه جسر جهنم بلا تعويق وانتهائه الى باب الجنة وقد ازلفت له فى الموقف وتلقى خزنتها له بالترحيب والسلام والبشارة وقدومه على منازله وقصوره وازواجه وسراريه .

وبعد ذلك فرح آخر لا يقدر قدره ولا يعبر عنه تتلاشى هذه الافراح كلها عنده وانما يكون هذا لاهل السنة المصدقين برؤية وجه ربهم تبارك وتعالى من فوقهم وسلامه عليهم وتكليمه اياهم ومحاضرته لهم .

وليست هذه الفرحات الا   لذى الترحات فى دار الرزايا

فشمر ما استطعت الساق واجهد لعلك ان تفوز بذى العطايا
وصم عن لذة حشيت بلاء للذات خلصن من البلايا
ودع امنية ان لم تنلها تعذب او تنل كانت منايا
ولا تستبط وعدا من رسول اتى بالحق من رب البرايا
فهذا الوعد ادنى من نعيم مضى بالامس او وفقت رايا

فصل

والفرق بين رقة القلب والجزع ان الجزع ضعف فى النفس وخوف فى القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الايمان بالقدر والا فمتى علم ان المقدر كائن ولابد كان الجزع عناء محضا ومصيبة ثانية قال تعالى (ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فمتى آمن العبد بالقدر وعلم ان المصيبة مقدرة فى الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح .

ولا ينافى هذا رقة القلب فانها ناشئة من صفة الرحمة التى هى كمال والله سبحانه انما يرحم من عباده الرحماء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارق الناس قلبا وابعدهم من الجزع ، فرقة القلب رأفة ورحمة ، وجزعه مرض وضعف ، فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الامارة فأخذ بانفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة وصار فى سجن الهوى والنفس وهو سجن ضيق الارجاء مظلم المسالك فانحصار القلب وضيقه يجزع من ادنى مايصيبه ولايحتمله فاذا اشرق فيه نور الايمان واليقين بالوعد وامتلأ من محبة الله واجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيما رقيق القلب بكل ذى قربى ومسلم يرحم النملة فى جحرها والطير فى وكره فضلا عن بنى جنسه فهذا اقرب القلوب من الله قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارحم الناس بالعيال . والله سبحانه اذا اراد أن يرحم عبدا اسكن فى قلبه الرأفة والرحمة واذا اراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة وابدله بهما الغلظة والقسوة وفى الحديث الثابت لا تنزع الرحمة الا من

شقى، وفيه من لايرحم لايرحم، وفيه ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء، وفيه اهل الجنة ثلاثة ذوسلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذوعيال. والصديق رضى الله عنه انما فضل الامة بما كان فى قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية ولهذا اظهر اثرها فى جميع مقاماته حتى فى الاسارى يوم بدر واستقر الامر على ما اشار به وضرب له صلى الله عليه وآله وسلم مثلا بعيسى وابراهيم، والرب سبحانه وتعالى هو الرؤف الرحيم واقرب الخلق اليه اعظمهم رأفة ورحمة كما ان ابعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لايلجه الا الافراد فى العالم.

فصل

والفرق بين الموجدة والحقد أن الوجد الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس فى رفعه فهو كمال، واما الحقد فهو اضمار الشر وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه فلايزايل القلب اثره.

وفرق آخر وهو أن الموجدة لما ينالك منه، والحقد لما يناله منك؛ فالموجدة وجود ما نالك من اذاه، والحقد توقع وجود مايناله من المقابلة؛ فالموجدة سريعة الزوال والحقد بطىء الزوال، والحقد يجىء مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه، بخلاف الموجدة فانها تكون مع قوته وصلابته وقوة نوره واحساسه.

فصل

والفرق بين المنافسة والحسد أن المنافسة المبادرة الى الكمال الذى تشاهد من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه او تجاوزه فهى من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) واصلها من الشىء النفيس الذى تتعلق به النفوس طلبا ورغبة فينافس فيه كل من النفسين الاخرى وربما فرحت اذا شاركتها فيه كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنافسون

فى الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهى نوع من المسابقة وقد قال تعالى (فاستبقوا الخيرات) وقال تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء) وكان عمر بن الخطاب يسابق ابابكر رضى الله عنهما فلم يظفر بسبقه ابدا فلما علم انه قد استولى على الامامة قال والله لااسابقك الى شيء ابدا وقال والله ماسابقته الى خير الا وجدته قدسبقنى اليه . والمتنافسان كعبدين بين يدى سيدهما يتباريان ويتنافسان فى مرضاته ويتسابقان الى محابه ، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة سيده .

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى ان لوفاته كسبها حتى يساويها فى العدم كما قال تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقال تعالى (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره ان يعلو عليه ويحب لحاقه به أو مجاوزته له فى الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه فى النقصان ، واكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من اهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرا فانه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه ، وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه باهل الفضل .

فصل

والفرق بين حب الرياسة وحب الامارة للدعوة الى الله هو الفرق بين تعظيم

امر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعى فى حظها فان الناصح لله المعظم له المحب له يحب ان يطاع ربه فلا يعصى وان تكون كلمته هى العليا وأن يكون الدين كله لله وان يكون العباد ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله فى عبوديته وناصح خلقه فى الدعوة الى الله فهو يحب الامامة فى الدين بل يسأل ربه ان يجعله للمتقين اماما يقتدى به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين فاذا احب هذا العبد الداعى الى الله ان يكون فى اعينهم جليلا وفى قلوبهم مهيبا واليهم حبيبا وان يكون فيهم مطاعا لكى يأتموا به ويقتفوا اثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لانه داع الى الله يحب ان يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا اليه ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه واثنى عليهم فى تنزيله واحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم بأحسن اعمالهم واوصافهم ثم قال (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما) فسألوه ان يقر أعينهم بطاعة ازواجهم وذرياتهم له سبحانه وان يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته فان الامام والمؤتم متعاونان على الطاعة فانما سألوه ما يعاونون به المتقين على مرضاته وطاعته وهو دعوتهم الى الله بالامامة فى الدين التى اساسها الصبر واليقين كما قال تعالى (وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وسؤالهم ان يجعلهم ائمة للمتقين هو سؤال ان يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التى لا تتم الامامة الا بها ، وتأمل كيف نسبهم فى هذه الآيات الى اسمه الرحمن جل جلاله ليعلم خلقه ان هذا انما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته ، وتأمل كيف جعل جزاءهم فى هذه السورة الغرف وهى المنازل العالية فى الجنة لما كانت الامامة فى الدين من الرتب العالية بل من اعلى مرتبة يعطاها العبد فى الدين كان جزاؤه عليها الغرفة العالية فى الجنة .

وهذا بخلاف طلب الرياسة فان طلابها يسعون فى تحصيلها لينالوا بها اغراضهم من العلو فى الارض وتعبد القلوب لهم وميلها اليهم ومساعدتهم لهم على جميع

اغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لا يعلمه الا الله من البغى والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من اكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية الا بذلك ولا تنال الا به وباضعافه من المفاسد والرؤساء فى عمى عن هذا فاذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما اذا حشروا فى صور الذر يطؤهم اهل الموقف بارجلهم اهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا امر الله وحقروا عباده .

فصل

والفرق بين الحب فى الله والحب مع الله وهذا من اهم الفروق وكل احد محتاج بل مضطر الى الفرق بين هذا وهذا ، فالحب فى الله هو من كمال الايمان ، والحب مع الله هو عين الشرك . والفرق بينهما ان المحب فى الحب تابع لمحبة الله فاذا تمكنت محبته من قلب العبد اوجبت تلك المحبة ان يحب ما يحبه الله فاذا احب ما احبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وانبياءه وملائكته واولياءه لكونه تعالى يحبهم ، ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم وعلامة هذا الحب والبغض فى الله انه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبا لاحسانه اليه وخدمته له وقضاء حوائجه ، ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضا اذا وصل اليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه إما خطأ واما عمدا مطيعا لله فيه او متأولا او مجتهدا او باغيا نازعا تائبا والدين كله يدور على اربع قواعد حب وبغض ويترتب عليهما فعل وترك فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان بحيث اذا احب احب لله واذا بغض ابغض لله واذا فعل فعل لله واذ ترك ترك لله ، وما نقص من اصنافه هذه الاربعة نقص من ايمانه ودينه بحسبه . وهذا بخلاف الحب مع الله فهو نوعان نوع يقدح فى اصل التوحيد وهو شرك ونوع يقدح فى كمال الاخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الاسلام (فالاول) كمحبة المشركين لاوثانهم واندادهم قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) وهؤلاء المشركون يحبون اوثانهم واصنامهم وآلهتهم

مع الله كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله، ولا يتم الايمان الا بمعاداة هذه الانداد وشدة بغضها وبغض اهلها ومعاداتهم ومحاربتهم وبذلك ارسل الله جميع رسله وانزل جميع كتبه وخلق النار لاهل هذه المحبة الشركية وخلق الجنة لمن حارب اهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته فكل من عبد شيئا من لدن عرشه الى قرار ارضه فقد اتخذ من دون الله الها ووليا واشرك به كائنا ذلك المعبود ما كان ولا بد أن يتبرأ منه احوج ما كان اليه (والنوع الثاني) محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء فهذه المحبة ثلاثة انواع فان احبها لله توصلا بها اليه واستعانة على مرضاته وطاعته اثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلا بها اليه ويلتذ بالتمتع بها وهذا حال اكمل الخلق الذي حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بامره، وان احبها لموافقة طبعه وهواه وارادته، ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه، وان كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه (فالاولى) محبة السابقين (والثانية) محبة المقتصدين (والثالثة) محبة الظالمين. فتامل هذا الموضع ومافيه من الجمع والفرق فانه معترك النفس الامارة والمطمئنة. والمهدى من هداه الله.

فصل

والفرق بين التوكل والعجز أن التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله وثقة به والتجاء اليه وتفويضا اليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده اذا فوض اليه مع قيامه بالاسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم احد بين درعين واختفى في الغار ثلاثا فكان متوكلا في السبب لا على

بل

السبب .

واما العجز فهو تعطيل الامرين اواحدهما فاما ان يعطل السبب عجزا منه ويزعم ان ذلك توكل ولعمر الله انه لعجز وتفريط وإما ان يقوم بالسبب ناظرا اليه معتمدا عليه غافلا عن المسبب معرضا عنه وان خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر ولم يعلق قلبه به تعلقا تاما بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السبب فهذا توكله عجز وعجزه توكل .

وهذا موضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطا (فاحد الطرفين) عطل الاسباب محافظة على التوكل (والثانى) عطل التوكل محافظة على السبب (والوسط) علم ان حقيقة التوكل لا يتم الا بالقيام بالسبب فتوكل على الله فى نفس السبب ، واما من عطل السبب وزعم انه متوكل فهو مغرور مخدوع متمن كمن عطل النكاح والتسرى وتوكل فى حصول الولد ، وعطل الحرث والبذر وتوكل فى حصول الزرع ، وعطل الاكل والشرب وتوكل فى حصول الشبع والرى ، فالتوكل نظير الرجاء ، والعجز نظير التمنى فحقيقة التوكل ان يتخذ العبد ربه وكيلا له قد فوض اليه كما يفوض الموكل الى وكيله العالم بكفايته ونهضته ونصحه وامانته وخبرته وحسن اختياره والرب سبحانه قد امر عبده بالاحتيال وتوكل له ان يستخرج له من حيلته مايصلحه فأمره ان يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه فى ضمان ذلك كما قدره سبحانه ودبره واقتضته حكمته وامره ان لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته به وتوكله عليه واخبره أنه سبحانه الملى بالوكالة الوفى بالكفالة فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره وقعد كسلان طالبا للراحة مؤثرا للدعة يقول الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه اجله وسيأتينى ما قدرلى على ضعفى ولن انال مالم يقدرلى مع قوتى ولو أنى هربت من رزقى كما اهرب من الموت للحقنى ، فيقال له نعم هذا كله حق وقد علمت ان الرزق مقدر فمايدريك كيف قدرلك ، بسعيك ام بسعى غيرك ، واذا كان بسعيك فباى سبب ومن اى وجه ، واذا خفى عليك هذا كله فمن اين علمت انه يقدرلك اتيانه عفوا بلا سعى ولا كد فكم من شىء

سعيت فيه فقدر لغيرك وكم من شيء سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا! فاذا رأيت هذا عيانا فكيف علمت ان رزقك كله بسعى غيرك؟ وايضا فهذا الذى اوردته عليك النفس يجب عليك طرده فى جميع الاسباب مع مسبباتها حتى فى اسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل تعطلها اعتمادا على التوكل ام تقوم بها مع التوكل؟ بلى لن تخلو الارض من متوكل صبر نفسه لله وملأ قلبه من الثقة به ورجائه وحسن الظن به فضاق قلبه مع ذلك عن مباشرة بعض الاسباب فسكن قلبه الى الله واطمأن اليه ووثق به وكان هذا من اقوى اسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب وانما رغب عن سبب الى سبب اقوى منه فكان توكله اوثق الاسباب عنده، فكان اشتغال قلبه بالله وسكونه اليه وتضرعه اليه احب اليه من اشتغاله بسبب يمنعه من ذلك او من كماله فلم يتسع قلبه للامرين فأعرض عن احدهما الى الآخر ولاريب ان هذا اكمل حالا ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه، واكمل منهما من جمع الامرين وهى حال الرسل والصحابة فقد كان زكريا نجارا وقد امر الله نوحا ان يصنع السفينة ولم يكن فى الصحابة من يعطل السبب اعتمادا على التوكل بل كانوا اقوم الناس بالامرين ألاترى انهم بذلوا جهدهم فى محاربة اعداء الدين بايديهم والسنتهم وقاموا فى ذلك بحقيقة التوكل وعمروا اموالهم واصلحوها وأعدوا لاهليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه وآله.

فصل

والفرق بين الاحتياط والوسوسة ان الاحتياط الاستقصاء والمبالغة فى اتباع السنة وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه من غير غلو ومجاوزة ولا تقصير ولا تفريط فهذا هو الاحتياط الذى يرضاه الله ورسوله.

واما الوسوسة فهى ابتداع مالم تأت به السنة ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا احد من الصحابة زاعما انه يصل بذلك الى تحصيل المشروع وضبطه كمن يحتاط بزعمه ويغسل اعضاءه فى الوضوء فوق الثلاثة فيسرف فى

صب الماء فى وضوئه وغسله ويصرح بالتلفظ بنية الصلاة مرارا اومرة واحدة ويغسل ثيابه مما لا يتيقن نجاسته احتياطا ويرغب عن الصلاة فى نعله احتياطا الى اضعاف اضعاف هذا مما اتخذه الوسوسون دينا وزعموا انه احتياط وقد كان الاحتياط باتباع هدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه اولى بهم فانه الاحتياط الذى من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط والاحتياط كل الاحتياط الخروج عن خلاف السنة ولو خالفت اكثر اهل الارض بل كلهم .

فصل

والفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان من وجوه (منها) ان ما كان لله موافقا لمرضاته وما جاء به رسوله فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من القاء الشيطان (ومنها) ان ما اثمر اقبالا على الله وانابة اليه وذكرا له وهمة صاعدة اليه فهو من القاء الملك وما اثمر ضد ذلك فهو من الشيطان (ومنها) ان ما اورث انسا ونورا فى القلب وانشراحا فى الصدر فهو من الملك وما اورث ضد ذلك فهو من الشيطان (ومنها) ان ما اورث سكينة وطمأنينة فهو من الملك وما اورث قلقا وانزعاجا واضطرابا فهو من الشيطان (فالالهام الملكى) يكثر فى القلوب الطاهرة النقية التى قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فانه طيب طاهر لا يجاور الا قلبا يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب اكثر من لمة الشيطان، واما القلب المظلم الذى قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فالقاء الشيطان ولمته به اكثر من لمة الملك .

فصل

والفرق بين الاقتصاد والتقصير أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفى الافراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة فالمقتصد قد اخذ بالوسط وعدل عن الطرفين قال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان

بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) والدين كله بين هذين الطرفين بل الاسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالى فيه والجافى عنه وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد فى موافقة الامر، والغلو مجاوزته وتعديه، وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان فاما الى غلو ومجاوزة واما الى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما فى الاعتقاد والقصد والعمل الا من مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك اقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لاقوالهم وارآئهم وهذان المرضان الخطران قد استوليا على اكثر بنى آدم ولهذا حذر السلف منهما اشد التحذير وخوفوا من بلى باحدهما بالهلاك وقد يجتمعان فى الشخص الواحد كما هو حال اكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا فى بعض دينه غاليا متجاوزا فى بعضه والمهدى من هداه الله .

فصل

والفرق بين النصيحة والتأنيب ان النصيحة احسان الى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو احسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والاحسان الى خلقه فيتلطف فى بذلها غاية التلطف ويحتمل اذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشبع مرضا وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته، ونفرته ويتلطف فى وصول الدواء اليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح .

واما المؤنب فهو رجل قصده التعيير والاهانة وذم من انبه وشتمه فى صورة النصح فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا يامستحقا للذم والاهانة فى صورة ناصح مشفق ، وعلامة هذا انه لو رأى من يحبه ويحسن اليه على مثل عمل هذا او شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئا ويطلب له وجوه المعاذير فان غلب قال وانى ضمنت له العصمة والانسان عرضة للخطأ ومحاسنه اكثر من مساويه والله غفور رحيم ونحو ذلك فيا عجبا كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه وكيف كان

حظ ذلك منك التأنيب فى صورة النصح وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير .

ومن الفروق بين الناصح والمؤنب ان الناصح لايعاديك اذلم تقبل نصيحته وقال قد وقع اجرى على الله قبلت اولم تقبل ويدعولك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولايبينها فى الناس ، والمؤنب بضد ذلك .

فصل

والفرق بين المبادرة والعجلة ان المبادرة انتهاز الفرصة فى وقتها ولا يتركها حتى اذا فاتت طلبها فهولا يطلب الامور فى ادبارها ولا قبل وقتها بل إذا حضر وقتها بادر اليها ووثب عليها وثوب الاسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر الى اخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها .

والعجلة طلب اخذ الشىء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل اوان ادراكها فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين احدهما التفريط والاضاعة والثانى الاستعجال قبل الوقت ، ولهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش وحدة فى العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الاشياء فى غير مواضعها وتجلب عليه انواعا من الشرور وتمنعه انواعا من الخير وهى قرين الندامة فقلّ من استعجل الّاندم كما ان الكسل قرين الفوت والاضاعة .

فصل

والفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى وان اشتبهت صورتها ان الاخبار بالحال يقصد المخبر به قصدا صحيحا من علم سبب ادائه أو الاعتذار لاخيه من أمر طلبه منه او يحذره من الوقوع فى مثل ما وقع فيه فيكون ناصحا باخباره له اوحمله على الصبر بالتأسى به كما يذكر عن الاحنف انه شكا اليه رجل شكوى فقال يا ابن اخى لقد ذهب ضوء عينى من كذا وكذا سنة فما اعلمت به احدا . ففى ضمن هذا الاخبار من حمل الشاكى على التأسى والصبر ما يثاب عليه المخبر وصورته صورة

الشكوى ولكن القصد ميز بينهما. ولعل من هذا قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما قالت عائشة وارأساه فقال بل انا وارأساه . اى الوجع القوى بى انا دونك فتاسى بى فلا تشتكى، ويلوح لى فيه معنى آخر وهو أنها كانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كانت احب النساء اليه على الاطلاق فلما شكت اليه رأسها اخبرها ان بمحبها من الالم مثل الذى بها وهذا غاية الموافقة من المحب ومحبوبه يتألم بتألمه ويسر بسروره حتى اذا آلمه عضو من اعضائه آلم المحب ذلك العضو بعينه وهذا من صدق المحبة وصفاء المودة فالمعنى الاول يفهم انك لاتشتكى واصبرى فبى من الوجع مثل مابك فتاسى بى فى الصبر وعدم الشكوى ، والمعنى الثانى يفهم اعلامها بصدق محبته لها اى انظرى قوة محبتى لك كيف واسيتك فى المك ووجع رأسك فلم تكونى متوجعة وانا سليم من الوجع بل يؤلمنى ما يؤلمك كما يسرنى مايسرك كما قيل .

وان اولى البرايا ان تواسيه   عندالسرور الذى واساك فى الحزن

واما الشكوى فلاخبار العارى عن القصد الصحيح بل يكون مصدره السخط وشكاية المبتلى الى غيره فان شكا اليه سبحانه وتعالى لم يكن ذلك شكوى بل استعطاف وتملق واسترحام له كقول ايوب (رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين) وقول يعقوب (انما اشكو بثى وحزنى الى الله) وقول موسى اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك . وقول سيد ولد آدم اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى اوالى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك غضب على فلاابالى غير أن عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان يحل علىّ غضبك اوينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك. فالشكوى الى الله سبحانه لاتنافى الصبر بوجه فان الله تعالى قال عن ايوب (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) مع اخباره عنه بالشكوى اليه

فى قولـه (مسنى الضر) واخبر عن نبيه يعقوب انه وعد من نفسه بالصبر الجميل والنبى اذا قال وفى مع قوله (انما اشكو بثى وحزنى الى الله) ولم يجعل ذلك نقصا لصبره. ولا يلتفت الى غير هذا من ترهات القوم كما قال بعضهم لما قال (مسنى الضر) قال تعالى (انا وجدناه صابرا) ولم يقل صبورا حيث قال مسنى الضر، وقال بعضهم لم يقل ارحمنى وانما قال انت ارحم الراحمين فلم يزد على الاخبار بحاله ووصف ربه، وقال بعضهم انما شكا مس الضر حين ضعف لسانه عن الذكر فشكا مس ضر ضعف الذكر لا ضر المرض والالم، وقال بعضهم استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء من هذه الامة، وكأن هذا القائل رأى ان الشكوى الى الله تنافى الصبر وغلط اقبح الغلط فالمنافى للصبر شكواه لا الشكوى اليه فالله يبتلى عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى اليه ولا يحب التجلد عليه وأحب ما اليه انكسار قلب عبده بين يديه وتذلله له واظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر من اظهار التجلد عليه وعليك بالتضرع والتمسكن وابداء العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته اقرب الى هذا القلب من اليد للفم

فصل

وهذا باب من الفروق مطول ولعل ان ساعد القدر أن نفرد فيه كتابا كبيرا وانما نبهنا بما ذكرنا على اصوله واللبيب يكتفى ببعض ذلك والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فرق بين الناس ومن اتقى الله جعل له فرقانا (ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) وسمى يوم بدر يوم الفرقان لانه فرق بين اولياء الله واعدائه فالهدى كله فرقان، والضلال اصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الاوثان ومحبته ومحبة الاوثان وبين مايحبه ويرضاه وبين ماقدره وقضاه فجعلوا الامر واحدا واستدلوا بقضائه وقدره على محبته ورضاه وجمعوا بين الربا والبيع فقالوا (انما البيع مثل الربا) وجمعوا بين المذكى والميتة وقالوا كيف ناكل ماقتلنا ولا نأكل ماقتل الله، وجمع المنسلخون عن الشرائع بين الحلال والحرام فقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذا الحيوان خلقه

وهذا خلقه فكيف يحل هذا ويحرم هذا؟ وجمعوا بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان، وجاءت طائفة الاتحادية فطموا الوادى على القرى وجمعوا الكل فى ذات واحدة وقالوا هى الله الذى لا اله الا هو وقال صاحب فصوصهم وواضع نصوصهم واعلم ان الامر قرآنا لا فرقانا .

ما الامر الا نسق واحد ۔ ما فيه من مدح ولا ذم
وانما العادة قد خصصت ۔ والطبع والشارع بالحكم

والمقصود أن ارباب البصائر هم اصحاب الفرقان فاعظم الناس فرقانا بين المشتبهات اعظم الناس بصيرة. والتشابه يقع فى الاقوال والاعمال والاحوال والاموال والرجال وانما اتى اكثر اهل العلم من المتشابهات فى ذلك كله ولا يحصل الفرقان الا بنور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده يرى فى ضوئه حقائق الامور ويميز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولا تستطل هذا الفصل فلعله من انفع فصول الكتاب والحاجة اليه شديدة فان رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه الى فرقان اعظم منه وهو الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين، والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه اهل التعطيل، والفرق بين اثبات الصفات والعلو والتكلم والتكليم حقيقة وبين التشبيه والتمثيل، والفرق بين تجريد التوحيد العملى الارادى وبين هضم ارباب المراتب مراتبهم التى انزلهم الله اياها، والفرق بين تجريد متابعة المعصوم وبين اهدار أقوال العلماء والغائها وعدم الالتفات اليها، والفرق بين تقليد العالم وبين الاستضاءة بنور علمه والاستعانة بفهمه، والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان، والفرق بين الحال الايمانى الرحمانى والحال الشيطانى الكفرى والحال النفسانى، والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع على كل واحد والحكم المؤول الذى نهايته ان يكون جائز الاتباع عند الضرورة ولا درك على مخالفه .

فصل

ونحن نختم الكتاب باشارة لطيفة الى الفروق بين هذه الامور اذ كل فرق منها

يستدعي بسطه كتاباً كبيراً فالفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين ان توحيد الرسل اثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له فلا يجعل له نداً في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر بل يرفع العبد الانداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته كما انها معدومة في نفس الامر لا وجود لها البتة فلا يجعل لها وجوداً في قلبه ولا لسانه.

واما توحيد المعطلين فنفي حقائق اسمائه وصفاته وتعطيلها ومن امكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديثاً يصرح بشيء منها ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفى حقيقتها وجعلها اسماً فارغاً لا معنى له او معناه من جنس الالغاز والاحاجي على ان من طرد تعطيله منهم علم انه يلزمه في ما حرف اليه النص من المعنى نظير ما فر منه سواء فان لزم تمثيل او تشبيه او حدوث في الحقيقة لزم في المعنى الذي حمل عليه النص وان لا يلزم في هذا فهو اولى ان لا يلزم في الحقيقة فلما علم هذا لم يمكنه الا تعطيل الجميع فهذا طرد لاصل التعطيل والمفرق اقرب منه ولكنه متناقض يتحكم بالباطل حيث اثبت لله بعض ما اثبته لنفسه ونفى عنه البعض الآخر واللازم الباطل فيهما واحد واللازم الحق لا يفرق بينهما.

والمقصود انهم سموا هذا التعطيل توحيداً وانما هو الحاد في اسماء الرب تعالى وصفاته وتعطيل لحقائقها.

فصل

والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة ان الرسل نزهوه سبحانه عن النقائص والعيوب التي نزه نفسه عنها وهي المنافية لكماله وكمال ربوبيته وعظمته كالسنة والنوم والغفلة والموت واللغوب والظلم وارادته والتسمي به والشريك والصاحبة والظهير والولد والشفيع بدون اذنه وان يترك عباده سدى هملاً وان يكون خلقهم عبثاً وان يكون خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً لا لثواب ولا عقاب ولا امر ولا نهي وان يسوي بين اوليائه واعدائه وبين الابرار والفجار وبين

الكفار والمؤمنين وان يكون فى ملكه مالايشاء وان يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه وان يكون لغيره معه من الامر شىء وان يعرض له غفلة اوسهو اونسيان وان يخلف وعده او تبدل كلماته او يضاف اليه الشر اسما او وصفا او فعلا بل اسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال وافعاله كلها خير وحكمة ومصلحة ، فهذا تنزيه الرسل لربهم .

واما المعطلون فنزهوه عما وصف به نفسه من الكمال فنزهوه عن ان يتكلم اويكلم احد اونزهوه عن استوائه على عرشه وان ترفع اليه الايدى وان يصعد اليه الكلم الطيب وان ينزل من عنده شىء اوتعرج اليه الملائكة والروح وان يكون فوق عباده وفوق جميع مخلوقاته عاليا عليها ، ونزهوه ان يقبض السموات بيده والارض باليد الاخرى وان يمسك السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع ، ونزهوه ان يكون له وجه وان يراه المؤمنون بابصارهم فى الجنة وان يكلمهم ويسلم عليهم ويتجلى لهم ضاحكا وان ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول من يستغفرنى فاغفر له من يسألنى فاعطيه فلا نزول عندهم ولا قول ، ونزهوه ان يفعل شيئا لشىء بل افعاله لالحكمة ولالغرض مقصود ، ونزهوه ان يكون تام المشيئة نافذ الارادة بل يشاء الشىء ويشاء عباده خلافه فيكون ماشاء العبد دون ماشاء الرب ، ولايشاء الشىء فيكون مالايشاء ويشاء مالايكون ، وسموا هذا عدلا كما سموا ذلك التنزيه توحيدا ، ونزهوه عن ان يحب اويحب ، ونزهوه عن الرأفة والرحمة والغضب والرضا ، ونزهه آخرون عن السمع والبصر ، وآخرون عن العلم ، ونزهه آخرون عن الوجود فقالوا الذى فر اليه هؤلاء المنزهون من التشبيه والتمثيل يلزمنا فى الوجود فيجب علينا ان ننزهه عنه فهذا تنزيه الملحدين والاول تنزيه المرسلين .

فصل

والفرق بين اثبات حقائق الاسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل ما قاله الامام احمد ومن وافقه من ائمة الهدى ان التشبيه والتمثيل ان تقول يد كيدى اوسمع

كسمعي او بصر كبصري ونحو ذلك ، واما اذا قلت سمع وبصر ويد ووجه واستواء لا يماثل شيئا من صفات المخلوقين بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف فاى تمثيل ههنا واى تشبيه لولا تلبيس الملحدين ، فمدار الحق الذى اتفقت عليه الرسل على ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، اثبات الصفات ونفى مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن اثبت له حقائق الاسماء والصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى الى صراط مستقيم .

فصل

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب ان تجريد التوحيد ان لا يعطى المخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يصلى له ولا يسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يؤله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب الى الله زلفى ولا يساوى برب العالمين فى قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله وانا بالله وبك وانا متوكل على الله وعليك والله لى فى السماء وانت فى الارض وهذا من صدقاتك وصدقات الله وانا تائب الى الله واليك وانا فى حسب الله وحسبك فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم ، يحلق راسه له ويحلف باسمه وينذر له ويسجد لقبره بعد موته ويستغيث به فى حوائجه ومهماته ويرضيه بسخط الله ولا يسخطه فى رضا الله ويتقرب اليه اعظم مما يتقرب الى الله ويحبه ويخافه ويرجوه اكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه او يساويه . فاذا هضم المخلوق خصائص الربوبية وانزله منزلة العبد المحض الذى لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لم يكن هذا تنقصا له ولا حطا من مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه انه قال لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . وقال ايها الناس ما احب ان ترفعونى فوق منزلتى . وقال لا تتخذوا قبرى

عيدا . وقال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد . وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد . وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله ندا؟ وقال له رجل قداذنب اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب الى محمد ، فقال عرف الحق لاهله ، وقد قال الله له (ليس لك من الامر شىء) وقال (قل ان الامر كله لله) وقال (قل لااملك لنفسى ضرا ولا نفعا الاماشاء الله) وقال (قل انى لا املك لنفسى ضرا ولارشدا قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا) اى لن اجد من دونه من ألتجئ اليه ، وأعتمد عليه وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية لااملك لكم من الله شيئا وفى لفظ فى الصحيح لا اغنى عنكم من الله شيئا ، فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم وابوا ذلك كله وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم ، وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون) .

فصل

والفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم واهدار اقوال العلماء والغائها ان تجريد المتابعة ان لاتقدم على ماجاء به قول احد ولا رأيه كائنا من كان بل تنظر فى صحة الحديث اولا فاذا صح لك نظرت فى معناه ثانيا فاذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب ومعاذ الله ان تتفق الامة على مخالفة ماجاء به نبيها بل لابد أن يكون فى الامة من قال به ولو لم تعلمه فلاتجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم انه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل اليك ، هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وامانتهم واجتهادهم فى حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الاجر والاجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا اهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة انه اعلم بها منك فان كان كذلك فمن ذهب الى النص

اعلم به منك فهلا وافقته ان كنت صادقا فمن عرض اقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر اقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم امروا بذلك فمتبعهم حقا من امتثل ما اوصوا به لا من خالفهم فخلافهم فى القول الذى جاء النص بخلافه اسهل من مخالفتهم فى القاعدة الكلية التى امروا ودعوا اليها من تقديم النص على اقوالهم ، ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم فى كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه ، فالاول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذى يلقيه فى عنقه يقلده به ولذلك سمى تقليدا بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه فى الوصول الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فانه يجعلهم بمنزلة الدليل الى الدليل الاول فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فانه اذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى قال الشافعى اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد .

فصل

والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان أن اولياء الرحمن (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وهم المذكورون فى اول سورة البقرة الى قوله (هم المفلحون) وفى وسطها فى قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الى قوله (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وفى اول الانفال الى قوله (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وفى اول سورة المؤمنين الى قوله (هم فيها خالدون) وفى آخر سورة الفرقان ، وفى قوله (ان المسلمين والمسلمات) الى آخر الآية وفى قوله (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وفى قوله (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) وفى قوله (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) الى قوله (فى جنات مكرمون) وفى قوله (التائبون

العابدون الحامدون) الى آخر الآية .

فاولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله فى الحرم والحل الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها فلا يبتدعون ولا يدعون الى بدعة ولا يتحيزون الى فئة غير الله ورسوله واصحابه ولا يتخذون دينهم لهوا ولعبا ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة الافتان على مرضاة الرحمن ولا المعازف والمثانى على السبع المثانى .

برئنا الى الله من معشر بهم مرض مورد للضنا
وكم قلت يا قوم انتم على شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا بتنبيهنا تركنا غويا وما قد جنا
وهل يستجيب لداعى الهدى غوى اصار الغنا ديدنا؟
فعشنا على ملة المصطفى وماتوا على تاتنا ننتنا

ولا يشتبه اولياء الرحمن باولياء الشيطان الا على فاقد البصيرة والايمان وانى يكون المعرضون عن كتابه وهدى رسوله وسنته المخالفون له الى غيره اولياءه وقد ضربوا لمخالفته جاشا وعدلوا عن هدى نبيه وطريقته (وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون .)

فاولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم الداعون اليه المحاربون لمن خرج عنه واولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون اليه ويحاربون من نهاهم عنه . فاذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطانى ومؤذن الشيطان واخوان الشياطين ويدعو الى ما يحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت انه من اوليائه ، فان اشتبه عليك فاكشفه فى ثلاثة مواطن فى صلاته ومحبته للسنة واهلها ونفرته عنهم ودعوته الى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار فى الهواء .

فصل

وبهذا يعلم الفرق بين الحال الايمانى والحال الشيطانى فان الحال الايمانى ثمرة

المتابعة للرسول والاخلاص فى العمل وتجريد التوحيد ونتيجته منفعة المسلمين فى دينهم ودنياهم وهو انما يصح بالاستقامة على السنة والوقوف مع الامر والنهى .

والحال الشيطانى نسبته اما شرك او فجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهذا الحال يكون لعباد الاصنام والصلبان والنيران والشيطان فان صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حالا يصطاد به ضعفاء العقول والايمان ولا اله الا الله كم هلك بهؤلاء من الخلق (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه) فكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وما جاء به الرسول فهو شيطانى كائنا ما كان ، وقد سمعت باحوال السحرة وعباد النار وعباد الصليب وكثير ممن ينتسب الى الاسلام ظاهرا وهو برىء منه فى الباطن له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته للشيطان ومعاداته للرحمن ، وقد يكون الرجل صادقا ولكن يكون ملبوسا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيا مع زهد وعبادة واخلاص لكن لبس عليه الامر لقلة علمه بامور الشياطين والملائكة وجهله بحقائق الايمان ، وقد حكى هؤلاء وهؤلاء من ليس منهم بل هو متشبه صاحب مخاييل ومخاريق ووقع الناس فى البلاء بسبب عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة ، والفرقان اعز ما فى هذا العالم وهو نور يقذفه الله فى القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الامور خيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع ولا بد فى اشراك الشيطان فالله المستعان وعليه التكلان .

فصل

والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المؤول الذى غايته ان يكون جائز الاتباع ان الحكم المنزل هو الذى انزله الله على رسوله وحكم به بين عباده وهو حكمه الذى لا حكم له سواه .

واما الحكم المؤول فهو اقوال المجتهدين المختلفة التى لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فان اصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ، ولم يلزموا به الامة بل قال ابو حنيفة هذا رأيي فمن جاءنا

بخير منه تبدله. ولو كان هو عين حكم الله لما ساغ لابى يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه، وكذلك مالك استشاره الرشيد ان يحمل الناس على ما فى الموطأ فمنعه من ذلك وقال قد تفرق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين، وهذا الشافعى ينهى اصحابه عن تقليده ويوصيهم بترك قوله اذا جاء الحديث بخلافه، وهذا الامام احمد ينكر على من كتب فتاواه ودونها ويقول لا تقلدنى ولا تقلد فلانا ولا فلانا وخذ من حيث اخذوا. ولو علموا رضى الله عنهم ان اقوالهم يجب اتباعها لحرموا على اصحابهم مخالفتهم ولما ساغ لاصحابهم ان يفتوا بخلافهم فى شيء، ولما كان احدهم يقول القول ثم يفتى بخلافه فيروى عنه فى المسئلة القولان والثلاثة واكثر من ذلك فالرأى والاجتهاد احسن احواله ان يسوغ اتباعه، والحكم المنزل لا يحل لمسلم ان يخالفه ولا يخرج عنه.

واما الحكم المبدل وهو الحكم بغير ما انزل الله فلا يحل تنفيذه ولا العمل به ولا يسوغ اتباعه وصاحبه بين الكفر والفسوق والظلم.

والمقصود التنبيه على بعض احوال النفس المطمئنة واللوامة والامارة وما تشترك فيه النفوس الثلاثة وما يتميز به بعضها من بعض وافعال كل واحدة منها واختلافها ومقاصدها ونياتها وفى ذلك تنبيه على ما وراءه، وهى نفس واحدة تكون امارة تارة ولوامة اخرى ومطمئنة اخرى، واكثر الناس الغالب عليهم الامارة، واما المطمئنة فهى اقل النفوس البشرية عددا واعظمها عند الله قدرا وهى التى يقال لها (ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى).

والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الاجابة ان يجعل نفوسنا مطمئنة اليه عاكفة بهمتها عليه راهبة منه راغبة فيما لديه وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا وان لا يجعلنا ممن اغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا ولا يجعلنا من (الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) انه سميع الدعاء واهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قد تم طبعه فى مطبعة الجمعية العلمية العليا ، ذات الأيادى البيضاء ، المشهورة (بدائرة المعارف العثمانية) بحيدرآباد الدكن صانها الله تعالى عن الفتن والمحن فى ظل الملك المؤيد المنان ، الذى اشتهر فضله فى كل مكان ، وعم كرمه القاصى والدان ، السلطان بن السلطان سلطان العلوم مظفر الممالك آصف جاه السابع مير عثمان على خان بهادر لازالت مملكته بالعز والبقاء ، دائمة التقديم والارتقاء .

وهذه الجمعية تحت صدارة ذى الفضائل السنية ، والمفاخر العالية ، النواب السير حيدر نواز جنك بهادر رئيس المجلس الانتظامى ورئيس الوزراء فى الدولة الآصفية ، والعالم العامل بقية الافاضل النواب محمد يار جنك بهادر رئيس المجلس العلمى للجمعية ، وتحت اعتماد الماجد الاريب الشريف الحسيب النواب مهدى يار جنك بهادر عميد الجمعية ووزير المعارف والسياسة فى الدولة الآصفية ونائب امير الجامعة العثمانية ، والماجد الهمام النواب ناظر يار جنك بهادر شريك عميد الجمعية وركن العدلية - وضمن ادارة ذى الفضل السنى والمنهج السوى ، مولانا السيد هاشم الندوى ، ركن الجمعية ومدير المطبعة ادام الله تعالى درجاتهم سامية ومحاسنهم زاكية .

وعنى بتصحيحه من رجال الدائرة مولانا المدقق السيد هاشم الندوى والرفقاء الافاضل الشيخ محمد طه الندوى والسيد احمد الله الندوى والشيخ محمد عادل القدوسى والسيد حسن جمال الليل المدنى والشيخ احمد بن محمد اليمانى وخادمهم الحقير عبد الرحمن بن يحيى اليمانى ، ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم وكان تمام الطبع فى يوم الاربعاء ثانى عاشر شهر ذى القعدة سنة ١٣٥٧ والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين آمين

صفحه	مضمون
٢	خطبة الكتاب
٤	المسئلة الاولى فى معرفة الاموات بزيارة الاحياء وسلامهم
٦	مايقول الطير يوم الجمعة
١٠	تواطؤ رؤيا المؤمنين كتواطيء روايتهم
«	الميت يستأنس بالمشيعين
«	القراءة عند دفن الميت
١١	القراءة عند القبور عقيب الدفن
١٣	فصل فى ان الموتى يسالون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم
١٤	فصل فى الاستدلال على سماع الموتى من اجراء العمل على تلقين الميت فى القبر
١٥	اخبار الاموات بما حدث فى اهلهم بعدهم وبما يحدث
١٧	قصة وصية ثابت بن قيس رضى الله عنه بعد موته
«	انفذ ابو بكر رضى الله عنه وصية ثابت بن قيس التى اوصى بها فى المنام بعد الممات
١٩	المسئلة الثانية فى ان ارواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ام لا
٢٠	ذكر الدجال وياجوج وماجوج
٢٢	الاحاديث الدالة على تلاقى ارواح الموتى وتعارفهم
٢٣	المسئلة الثالثة هل تتلاقى ارواح الاحياء وارواح الاموات ام لا
٢٦	قصة وفاة مالك بن دينار رحمه الله تعالى
٢٧	قصة رؤية رجاء بن حيوة بعد موته
«	قصة رؤيا رابعة رحمها الله بعد موتها
٢٨	رؤيا بعض اهل عاصم الجحدرى بعد مماته اياه
٢٩	قصة رؤيا مرة الهمدانى رحمه الله تعالى

صفحه	مضمون
»	قصة رؤيا اويس القرنى بعد وفاته رحمه الله تعالى
»	ذكر عرض الحسنات والسيئات كلها على الارواح
٣٠	رؤيا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع اصحابه الاربعة فى المنام
٣١	ذكر رؤية معاذ بن جبل رضى الله عنه وما كان عليه من النعيم
٣٢	ذكر منزلة الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى الآخرة
٣٣	رؤية بشر الحافى رحمه الله تعالى بعد موته
»	اتباع الآثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من العزيز الغفار
٣٥	الدلائل العقلية على ملاقاة الارواح
٣٦	الرؤيا على ثلاثة انواع منها الرؤيا الصحيحة ولها اقسام
»	الاسئلة الثلاثة العجيبة عن على كرم الله وجهه مع جواباتها
٣٧	يعرج بروح النائم الى العرش ويؤذن لها بالسجود إن كان طاهرا
»	كيف تلتقى روح النائم وروح اليقظان
٣٨	ذكر الحكم والمصالح من الله تعالى للعباد فى الرؤيا
٣٩	نوادر رؤيا ابى محمد البغانشى
٤٠	جلوس العفريت على المال
»	المسئلة الرابعة ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده
٤١	بحث فى معنى موت النفوس
»	ذكر نفخ الصور والصعق ومن هو مستثنى عنه
٤٢	بيان حديث الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق الخ
٤٣	بحث فى معنى الموت ما هو
٤٥	المسئلة الخامسة ان الارواح كيف يتميز بعد مفارقة الابدان بعضها من بعض

صفحه	مضمون
٤٦	الروح ذات قائمة بنفسها على اصول اهل السنة
٤٩	المسئلة السادسة هل تعاد الروح فى قبره وقت السؤال ام لا
٥٣	الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق
٥٣	رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم الانبياء ليلة الاسراء
٥٥	تحقيق سماع الموتى
٥٦	ذكر حالة النزع لروح المؤمن ولروح الكافر وما يمضى عليهما فى القبر مفصلا
٦٢	فصل فى ان هل عذاب القبر على النفس والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس فى النعيم والعذاب ام لا
٦٣	فصل فى ان مذهب السلف ان الميت اذا مات يكون فى نعيم او عذاب مع الروح والبدن
٦٤	فصل فى ذكر احاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير
٦٥	عذاب القبر تسمعه البهائم
»	حكاية عجيبة لاستماع الدابة عذاب القبر بمرأى من الناس
٦٦	تمثل الاعمال فى القبر لوقاية صاحبها
٦٧	تمثل الشمس فى القبر كأنها تغرب
»	احاديث ضغطة القبر
٧٠	فصل فى ان عذاب القبر حق باتفاق اهل السنة
٧١	فصل فى ان عذاب القبر ينال من هو مستحق له قبر أو لم يقبر ولو اكلته السباع
»	ذكر عذاب القبر لمن يحدث بالكذب

صفحه	مضمون
٧٢	ذكر عذاب الزناة وآكلى الربا
	عذاب من صلى بغير طهورا ومر على مظلوم فلم ينصره
٧٣	ذكر قصة الاسراء
«	عذاب المتهاون بالصلاة
«	عذاب مانعى الزكاة
٧٥	المسئلة السابعة فى جواب الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه وما يتعلق بهما
٧٦	ذكر الامور التى يعلم بها الجواب للملاحدة والزنادقة
«	الامر الاول
٧٧	الامر الثانى
«	الامر الثالث
٧٨	توجيه لطيف فى اثبات عذاب القبر
٧٩	الامر الرابع
«	قصة سلام الملائكة على المحتضر وجوابه
«	قصة خير النساج رحمه الله تعالى
«	قصة وفاة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى
٨١	الامر الخامس والسادس
٨٢	ذكر الحكمة فى ستر العذاب من الناس دون البهائم
«	عذاب القبر يظهر احيانا اذا شاء الله تعالى
٨٣	عذاب تأخير الصلاة والصلاة بغير طهور
٨٤	عذاب المشى تبخترا
٨٦	عذاب سوء الادب فى شأن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
٨٧	الامر السابع

عدم

صفحه	مضمون
»	عدم كشف عذاب القبر رحمة للعباد
٨٨	الامر الثامن
٨٩	تفسير آية وان من شىء الا يسبح بحمده الخ
»	اذا وقع الشعور للاشجار والاحجار فالاجسام ذات الارواح اولى بذلك
٩٠	الامر التاسع
»	عذاب القبر هو عذاب البرزخ
٩١	الامر العاشر
»	ذكر القيامة الصغرى والقيامة الكبرى
»	البرزخ اول دار الجزاء
٩٢	(المسئلة الثامنة فى ان ما الحكمة فى عدم ذكر عذاب القبر فى القرآن مع شدة الحاجة اليه)
»	الحكمة هى السنة بالاجماع
٩٤	المسئلة التاسعة وهى قول السائل ما الاسباب التى تعذب بها اصحاب القبور
٩٨	المسئلة العاشرة فى الاسباب المنجية من عذاب القبر
»	ذكر محاسبة النفس عند النوم
»	ذكر فضائل الشهداء
٩٩	فضيلة سورة الملك
١٠٠	من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة اجير من عذاب القبر
١٠١	ذكر مدافعة انواع العذاب بانواع الاعمال مفصلا
١٠٢	رؤيا الانبياء وحى
١٠٣	(المسئلة الحادية عشر ان السؤال فى القبر هل هو عام فى حق المسلمين

صفحه	مضمون
	والمنافقين والكفارا ويختص بالمسلم والمنافق)
١٠٥	اسم الفاجر يعم الكافر قطعا فى القرآن
١٠٧	(المسئلة الثانية عشر فى ان سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها)
١٠٨	المسئلة الثالثة عشر أن الاطفال هل يمتحنون فى قبورهم
١١٠	المسئلة الرابعة عشر وهى قوله هل عذاب القبر دائم او منقطع
١١٢	المسئلة الخامسة عشر فى انه اين مستقر الارواح مابين الموت الى يوم القيامة الخ
١١٥	الارواح على افنية القبور سبعة ايام
«	فصل فى بيان قول من قال ان الارواح فى الجنة
١٢٢	فصل فى بيان قول مجاهد إن الارواح ليست فى الجنة
١٢٤	فصل فى بيان قول من قال ان الارواح على افنية قبورها
١٢٥	روح النائم تصعد فتسجد بين يدى العرش
١٢٧	فصل فى ان شان الروح يختلف بحسب حال الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر
١٢٩	فصل فى بيان قول من قال ان ارواح المؤمنين عند الله تعالى
١٣٠	بيان سدرة المنتهى وسجين وعليين
«	قصة قبض روح ادريس عليه السلام فى السماء الرابعة
«	وجه تسمية سدرة المنتهى
١٣١	فصل فى بيان قول ان ارواح المؤمنين بالجابية واراح الكفار بحضر موت برهوت
١٣٢	نصل فى بيان قول ان الارواح تجتمع فى الارض التى قال الله فيها يرثها عبادى الصالحون

صفحه	مضمون
١٣٣	فصل فی بیان قول من قال مستقرارواح المؤمنین فی علیین والکفار فی سجین
١٣٤	فصل فی ابطال کون الارواح فی بئرزمزم
«	فصل فی بیان قول ان ارواح المؤمنین فی برزخ من الارض تذهب حیث شاءت
«	فصل فی بیان قول ان ارواح المؤمنین عن یمین آدم علیه السلام وارواح الکفار عن یساره
١٣٥	فصل فی بیان قول ابن حزم ان مستقر الارواح حیث کانت قبل خلق اجسادها
١٣٧	فصل فی بیان قول من قال ان مستقر الارواح العدم المحض
١٣٩	فصل فی بیان قول من قال ان للارواح بعد الموت ابدان أخر غیر هذه الابدان
١٤٢	القول الراجح فی مستقر الارواح
١٤٤	للنفس اربع دور کل دار منها اعظم من التی قبلها
١٤٥	المسئلة السادسة عشر هل تنتفع ارواح الموتی من سعی الاحیاء ام لا
١٤٦	الدلیل علی انتفاع المیت بما تسبب الیه فی حیاته
«	فصل فی الدلیل علی انتفاع المیت بغیر ماتسبب فیه
١٤٨	فصل فی اثبات وصول ثواب الصدقة الی المیت
١٤٩	فصل فی وصول ثواب الصوم والحج
١٥٠	فصل فی وصول ثواب الحج
١٥١	العبادات قسمان مالیة وبدنیة
«	دلائل المانعین من وصول ثواب العبادات الی الاموات
١٥٢	ذکر سبع یجری علی المیت اجرهن فی قبره

صفحه	مضمون
١٥٣	دلائل المقتصرين على وصول ثواب العبادات التى تدخلها النيابة
»	وجوه الجواب
١٥٩	فصل فى نفى عقوبة العبد بعمل غيره
»	فصل فى ان الاستدلال بحديث اذا مات العبد ساقط
١٦٠	فصل فى جواب قولهم الاهداء حوالة الخ
»	فصل فى جواب قولهم الايثار بسبب الثواب مكروه
١٦١	فصل فى جواب قولهم لوساغ الاهداء الى الميت لساغ الى الحى
١٦٣	فصل فى جواب فولهم لوساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت
»	فصل فى جواب قولهم لوساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد أن يعمله لنفسه
١٦٤	فصل فى جواب قولهم لوساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات التى تجب على الحى
١٦٥	فصل فى جواب قولهم ان التكاليف امتحان وابتلاء لاتقبل البذل
١٦١	قراءة الامام قراءة لمن خلفه
»	فصل فى جواب قولهم انه لو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه واسلامه عنه
١٦٧	فصل فى جواب قولهم العبادات نوعان الخ
١٦٨	فصل فى الجواب عن رد حديث من مات وعليه صيام الخ
١٦٩	فصل فى جواب ماقالوا ان ابن عباس هو روى حديث الصوم عن الميت الخ
١٧٠	فصل فى جواب ماقالوا انه حديث اختلف فى اسناده الخ
١٧٢	فصل فى جواب تغليط راوى حديث ابن عباس ان نذر ام سعد كان صوما الخ
١٧٣	فصل فى ذكر اقوال اهل العلم فى الصوم عن الميت

صفحه	مضمون
«	فصل فى جواب من فرق بين ثواب النفقة و بين ثواب الحج
١٧٤	فصل هل يشترط فى ايصال الثواب التلفظ بالاهداء ام يكفى مجرد النية
١٧٥	هل يتعين فى اهداء الثواب تعليق العمل بالقبول ام لا
«	اى الاعمال افضل فى اهداء الثواب الى الميت
«	بيان وصول ثواب قراءة القرآن وما يتعلق به
١٧٧	اهداء ثواب الاعمال الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
«	المسئلة السابعة عشر وهى هل الروح قديمة او محدثة مخلوقة
١٧٨	اختلاف الاقوال فى الروح على مانقله الحافظ ابن منده
«	الروح تموت ام لا
١٨٠	فصل فى بيان الدلائل على خلق الارواح
١٨٥	ذكر الاختلاف فى معنى الروح فى الآية الكريمة بين السلف والخلف
١٨٨	بيان اختلاف الروايات عن ابن عباس فى تفسير آية ويسئلونك عن الروح
١٨٩	بيان ان معنى الروح فى القرآن على عدة اوجه
١٩٠	فصل فى بيان اضافات الصفات الى الله تعالى
١٩٢	المسئلة الثامنة عشر وهى تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها
١٩٣	دلائل من يقول بتقدم خلق الارواح على خلق الابدان
١٩٧	فصل فى ذكر الدليل على ان الارواح خلقت بعد خلق الابدان والجواب عما استدل به القائلون بتقدم خلق الارواح
٢٠١	تفسير آية واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم الخ
٢٠٢	فصل فى القول الآخر فى تفسير الآية
٢١١	فصل على كل تقدير لاتدل الآية على خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا ـ

صفحه	مضمون
٢١٢	فصل فى الدليل على ان خلق الا رواح متأخر عن خلق ابدانها
٢١٦	المسئلة التاسعة عشر وهى ما حقيقة النفس
٢٢٠	القول الصواب فى حقيقة الروح الذى دل عليه الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل وذكر دلائله
٢٢٤	فصل
»	فصل
٢٢٥	فصل
»	فصل
٢٣٠	فصل
»	قصة ذبح الرافضى الذى كان يسب الشيخين رضى الله عنهما فى المنام
٢٣١	قصة سواد الوجه لساب على كرم الله وجهه فى المنام
٢٣٢	حكاية تسويد نصف الوجه لساب الشيخين رضى الله عنهما
»	قصة ذبح ساب الشيخين رضى الله عنهما
٢٣٣	قصة سواد الوجه لتاخير الافطار خلاف امره صلى الله عليه وآله وسلم
٢٣٤	دعاء رد البصر
»	علاج وجع الورك
٢٣٥	علاج وجع المعدة من روح جالينوس الحكيم
»	فصل
»	فصل
٢٤٠	فصل فى بيان ادلة المنازعين فى جسمية الروح وتجيزها
٢٤٥	فصل فى جواب الشبهة الاولى لمنازعى جسمية الروح والنفس
»	فصل فى جواب الشبهة الثانية
٢٤٩	فصل فى جواب الشبهة الثالثة

فصل

صفحه	مضمون
٢٥٠	فصل فى جواب الشبهة الرابعة
٢٥١	فصل فى جواب الشبهة الخامسة
٢٥٢	فصل فى جواب الشبهة السادسة
٢٥٣	فصل فى جواب الشبهة السابعة
»	فصل فى جواب الشبهة الثامنة
٢٥٥	فصل فى جواب الشبهة التاسعة
»	فصل فى جواب الشبهة العاشره
٢٥٦	فصل فى جواب الشبهة الحادية عشر
»	فصل فى جواب الشبهة الثانية عشر
»	فصل فى جواب الشبهة الثالثة عشر
٢٥٧	فصل فى جواب الشبهة الرابعة عشر
»	فصل فى جواب الشبهة الخامسة عشر
٢٥٨	فصل فى جواب الشبهة السادسة عشر
٢٨٩	فصل فى جواب الشبهة السابعة عشر
»	فصل فى جواب الشبهة الثامنة عشر
٢٦١	عمل دفع ضرر العين
»	فصل فى جواب الشبهة التاسعة عشر
٢٦٢	فصل فى جواب الشبهة العشرين
»	فصل فى جواب الشبهة الحادية والعشرين
٢٦٣	تكفير منكرى الجن والملائكة
»	فصل فى جواب الشبهة الثانية والعشرين
»	دخول الجن فى المصروع
٢٦٤	المسئلة العشرون وهى هل النفس والروح شيء واحداً وشيئان

صفحة	مضمون
٢٦٤	وجه تسمية الروح والنفس والفرق بينهما
٢٦٥	فصل فى قول من قال ان الروح غير النفس
٢٦٧	المسئلة الحادية والعشرون هل النفس واحدة ام ثلاث
٢٦٩	فصل فى ان الطمأنينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان
٢٧٠	فصل فى ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان كمالا الخ
٢٧١	فصل فى مباشرة الروح الطمانينة
٢٧٣	فصل فى المحاسبة والمراقبة
٢٧٤	فصل فى النفس اللوامة واحوالها
٢٧٥	فصل فى ذكر النفس الامارة واحوالها
٢٧٧	فصل فى ان النفس الامارة فى مقابلة النفس المطمئنة
٢٧٨	فصل فى اراءة النفس الامارة الاخلاص فى صورة ينفر منها
٢٧٩	فصل فى اراءتها صورة الصدق والجهاد وغيرها فى صورة متضادة
٢٨٣	فصل فى الفرق بين خشوع الايمان وخشوع النفاق
٢٨٤	فصل فى الفرق بين شرف النفس والتيه
«	فصل فى الفرق بين الحمية والجفاء
«	فصل فى الفرق بين التواضع والمهانة
٢٨٥	فصل فى الفرق بين القوة فى امر الله والعلو فى الارض وفى الحمية لله والحمية للنفس
٢٨٦	فصل فى الفرق بين الجود والسرف
٢٨٧	فصل فى الفرق بين المهابة والكبر
«	فصل فى الفرق بين الصيانة والتكبر
٢٨٨	فصل فى الفرق بين الشجاعة والجرأة
«	فصل فى الفرق بين الحزم والجبن

صفحه	مضامين
٢٨٩	فصل فى الفرق بين الاقتصاد والشح
»	فصل فى الفرق بين الاحتراز و سوء الظن
٢٩٠	فصل فى الفرق بين الفراسة والظن
٢٩١	حكايات تفرس امير المؤمنين عمر و عثمان رض الله عنهما وغيرهما من اكابر الدين
٢٩٣	فصل فى الفرق بين النصيحة والغيبة
»	فصل فى الفرق بين الهدية والرشوة
»	اعطاء الرشوه لدفع الظلم
»	فصل فى الفرق بين الصبر والقسوة
٢٩٤	القلوب ثلاثة
»	فصل فى الفرق بين العفو والذل
٢٩٥	تسبيح حملة العرش وهم اربعة
»	الفرق بين الانتصار والانتقام
٢٩٧	فصل فى الفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل
»	فصل فى الفرق بين الثقة والغرة
٢٩٨	فصل فى الفرق بين الرجاء والتمنى
٣٠٢	فصل فى الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها
»	فصل فى الفرق بين فرح القلب وفرح النفس
٣٠٤	فصل فى بيان اعظم الفرح
٣٠٥	فصل فى الفرق بين رقة القلب والجزع
٣٠٦	فصل فى الفرق بين الموجدة والحقد
»	فصل فى الفرق بين المنافسة والحسد
٣٠٧	فصل فى الفرق بين حب الرياسة وحب الامارة

صفحه	مضامين
٣٠٩	فصل فى الفرق بين الحب فى الله والحب مع الله
٣١٠	فصل فى الفرق بين التوكل والعجز
٣١٢	فصل فى الفرق بين الاحتياط والوسوسة
٣١٣	فصل فى الفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان
«	فصل فى الفرق بين الاقتصاد والتقصير
٣١٤	فصل فى الفرق بين النصيحة والتأنيب
٣١٥	فصل فى الفرق بين المبادرة والعجلة
«	فصل فى الفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى
٧١٣	فصل الدين كله فرق والضلال كله جمع۔
٣١٨	الرد على الطائفة الاتحادية فى مقولة الاتحاد وذكر نصوصهم وواضع نصوصهم
«	فصل فى بيان الاشارة اللطيفة الى الفروق بين هذه الامور المذكورة آنفا
٣١٩	فصل فى الفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة
٣٢٠	فصل فى الفرق بين حقائق الاسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل
٣٢١	فصل فى الفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب
٣٢٢	فصل فى الفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم واهدار اقوال العلماء والغائها
٣٢٣	فصل فى الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
٣٢٤	فصل فى الفرق بين الحال الايمانى والحال الشيطانى
٣٢٥	فصل فى الفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المؤول الذى غايته ان يكون جائز الاتباع والحكم المبدل
٣٢٧	خاتمة الطبع

استدراك ما وقع من الخطأ
فى طبع كتاب الروح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٨	الزوحين	الروحين
٣	١١	عل	على
٥	١٤	عشية الجمعة كله	عشية الجمعة ويوم الجمعة كله
»	٢٣	مظرف	مطرف
٨	٤	تسميته المسلم	تسمية المسلم
١١	٩	الواراق	الوراق
١٥	١٨	ورأيت	قال ورأيت
»	»	عنقة	عنقه
١٦	٢٠	شيهدا	شهيدا
»	٢١	»	»
١٧	٦	»	»
»	٢٥	هلكنت	هلكت
٣٠	٦	قان	قلن
»	١٢	اببض	ابيض
»	١٩	ذلك حتى اقصر	ذلك القصر
٣١	٧	فسلمت	فسلمت وجلست
٣٢	٢	نخلة شجرة	نخلة الى شجرة
٣٦	١٤	واحداة	واحدة
٣٧	٣	والاراح	والارواح
٣٩	١٠	الغائيات	الغائبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥	٢٢	وقدر	ولاقدر
٤٨	٢٣	واحولها	واحوالها
٥٤	٢٤	العبد	البعد
٥٧	١	يفسح	ثم يفسح
٦١	١٤	قربهم	تمربهم
٦٢	٣	المواتره	المتواترة
٦٤	٨	ايعذبان	ليعذبان وما يعذبان
«	٢١	جنهم	جهنم
٧٧	١	هدى	هدى ولارحمة
٧٨	٣	يظهر ما	مايظهر
٧٩	٩	يوم كان	وماكان
«	٢١	يوم	يومه
٨٣	٢	يلهب	يلتهب
«	٢٣	ايضا	ابيضان
٨٤	١٥	قبله	قلبه
٨٥	٢	أفلا	فلا
٨٦	٦	كنت	قال كنت
٨٧	١٦	صلى الله	صلى الله عليه وآله وسلم
٨٨	١٢	الايمان	والايمان
٩٠	٦	امره	ماامره
٩٢	٨	اكمل فحكمة	اكمل فاذا بعث كمل وصول ذلك الاثر اليه فحكمة
			فقال

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٤	١٥	فقال	فيقال
«	٢٤	وارتكابها	وارتكابهم
٩٥	٢	عبد	عبده
٩٨	٩	استيقذ	استيقظ
١٠٣	٧	وحكيا	وحكياه
١٠٧	١٠	يستخرج	ليستخرج
«	١٣	وقالوالهذه	وقالوا السؤال لهذه
١٠٨	٢٠	يقيم	يقيهم
١١١	٥	يشفع	ان يشفع
١١٤	١١	ويحاسب فريق	يحاسب الخلق فريق
١١٩	١٠	لاتحسبن	ولا تحسبن
١٢٣	٦	هذا	هذا من هذا
«	١٥	وما عدتنا	ولا تؤتنا ما وعدتنا
١٢٥	١٣	دائر	دائما
١٢٨	٥	من اهل الموقف وكذلك مجيئه الى الارض	من اهل الموقف وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه واشراق الارض بنوره وكذلك مجيئه الى
«	١٠	ان ماذكرنا	ان ماذكرناه
١٢٨	٦	البدن	الى البدن
١٢٩	١٥	ابن ابي بكر	ابن ابي بكير
١٣٠	٧	عزوجل موعدها	عزوجل تنتظر موعده

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٠	١٨	جند اباپس	جند ابليس
١٣١	١٠	قوله تعالى	وذلك قوله تعالى
١٣٧	١٤	قول الباقلانى	قول ابن الباقلانى
١٣٩	١٠	للروح لها	للروح كالبدن لها
١٤٠	١٦	ابى شيية	ابى شيبة
١٤١	١٤	ولا يبطلة	ولا يبطله
١٤٢	١٨	ماإ	إما
١٤٤	١٥	بحال البدن	بحال الولد
»	٢١	والنار	او النار
١٤٥	٣	لا شريك له الملك	لا شريك له الذى له الملك
»	١٣	واستغفارهم	واستغفارهم له
١٤٦	١	قسبب	تسبب
»	٣	من ثلاث من	الا من صدقة
»	٦	ان مما	انما
»	١٧	وزروه	وزره
١٤٨	٣	صحيحح	صحيح
١٤٩	٢	(عن)	(وعن)
»	١١	يقض	يقضى
١٥١	٧	الاخرى	الآخر
١٥٢	١٥	وايضا	قالوا وايضا
»	٢٣	اهداؤه	اهداءه
١٥٤	١٤	عن على خبر	على خبر
١٥٥	٢٠	يغتر	تغة

ذلك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٩	٦	ذلك قول	وقد دل على ذلك قول
»	١٠	انما	وانما
١٦٣	٢٣	وتقارنها	او تقارنها
١٦٦	١١	ومسلمة ومؤمنة	ومسلمة ومؤمن ومؤمنة
١٧٠	٣	عنها	عنهما
١٨٢	٧	بدنه	ببدنه
١٩٤	٢٤	الوليد راشد	الوليد عن راشد
١٩٥	٧	انه	ان
»	٢١	من بنى آدم ذريتهم	من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
»	٢٣	مثياقهم	ميثاقهم
٢٠١	٧	ارسل	ارسال
٢٠٢	١٣	عز و وجل	عز وجل
»	٢١	انفسم	انفسهم
٢٠٣	١	»	»
»	٢٠	واذ	واذا
٢٠٤	٨	امر هزيمة	امر من هزيمة
٢١٦	١٣	نفس	انفس
٢١٧	١٢	الصافى من	الصافى الخالص من
٢٢٣	٢٣	اوالنار	والنار
٢٢٩	٣	ترون نه	ترونه
٢٣٠	١٦	تأثر	تأثير
٢٣٣	١١	ومه	ومعه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٢	٢٠	الضعيف	الضعف
»	٢٣	»	»
٢٥٥	٨	هذه	هذا
»	٢٠	الضعيف	الضعف
٢٧٧	٦	الاسعتداد	الاستعداد
٢٧٨	٧	الله المتقين	الله من المتقين
٢٧٩	٢٠	تجنبو	تجنبهم
٢٨٠	٧	غير	غيره
»	٢٣	لاجبنا وضعفا	....
٢٨٨	١٠	لانزعاج	لازعاج
٢٨٩	١	وعقلا العاجز	وعقلا لاجبنا وضعفا العاجز
٢٩٦	٨	النياب	الثياب
٢٩٧	٢٣	واستفرغ	واستفراغ
٣٠٣	٨	ورجائه وبه	ورجائه به
٣٠٧	١٥	والحسود الخيرة	والحسود يحب
»	١٦	الفاضلة تنتفع	الفاضلة الخيرة تنتفع
٣١٥	١٩	صورتها	صورتهما

ALLAMA IQBAL LIBRARY
2499

BOOK-DEPO OSMANIA ORIENTAL PUB
HYD

ALLAMA
IQBAL LIBRARY
UNIVERSITY OF KASHMIR
HELP TO KEEP THIS BOOK
FRESH AND CLEAN